جملة الشرط في ضوء النحو العالمي
(تشومسكي أنموذجاً)

الدكتور مازن الوعر[*]

Abstract

This study has two goals : the first is to read the Arabic traditional grammar with the eye of modern technical linguistics in order to scientifically understand the grammatical theory proposed by the early Arab grammarians, namely Sebawayhi. The second is to try to determine the place of this grammar on the map of universal grammar. Regardless of what the results of this attempt might be, the aim is to probe traditional Arabic theory, which, is hoped will deepen our understanding of that theory, and help us to include it in the modern and technical linguistic knowledge. At the same time, we can go beyond it to a more beneficial and scientific development, required by modern demands. These modern demands require traditional Arabic grammar to be developed by integrating itself in modern theories of grammar. Thus the Arabic language can face new challenges.

Thus, we have chosen the conditional sentence and Sebawayhi analysis as it is presented in his book Al-Kitab. Our study has clarified the syntactic and semantic structure of that type of sentences. It has also worked out the grammatical rules which generate the conditional sentences and the syntactic and semantic constraints imposed on these rules. The study has argued that the "then-clause" is embodded within the "if-clause" by means of binding notion i.e. ta'liq according to Sebawayhi. Besides, the study has explained the movement of operators which govern the conditional sentence, and the operators which cancel such an operation while binding "then-clause" to it.

In this study, we have looked at different approaches of the Arabic conditional sentence in order to place them within the framework of universal grammar as proposed by Chomsky to determine whether or not such approaches meet the scientific formula of observation, checking, experiment, exactness and objectivity.

Finally, the study concludes that although the thinking of the early Arab grammarian on the structure of the conditional sentence was adequate and insightful, it needs to be modernized and brought up to date by the techniques of modern linguistics science.

This will help us to develop the Arabic language, so that it can face real scientific challenges on the footstep of entry into a new millenium.

(*) أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية بجامعة دمشق

1. تمهيد:

سوف نستخدم هنا الجهاز المفاهيمي الذي اقترحه تشومسكي في النظرية التوليدية والتحويلية ثم نطبقه على التراكيب العربية الشرطية آخذين بالحسبان الإطار النظري لفرضية الجزاء عند سيبويه وذلك للتوصل إلى أفضل الطرق التي تمكننا من معرفة النظرية النحوية التراثية على نحو دقيق، ثم معرفة مدى فعاليتها في ضوء النظرية اللسانية العالمية الحديثة.

إن الهدف من هذا العمل هو الخروج بصيغة افتراضية كافية من أجل وصف التراكيب الشرطية وشرحها على نحو دقيق مستفيدين من مبدأ تراكمية العلم الذي يذهب إلى أن القديم لا بد أن يستفاد منه في الحديث ولكن بعد فهمه وهضمه لكي يتم تجاوزه إلى ما هو أحدث منه في المعرفة اللسانية.

2. الإطار النظري لتحليل الجملة:

قبل أن نطبق الجهاز المفاهيمي لنظرية تشومسكي على التراكيب العربية الشرطية ونمتحن في الوقت نفسه الفرضية الجزائية عند سيبويه، أحب أن أبين الإطار النظري الذي سأحلل بهديه الجملة العربية.

تتألف بنية الكلام العربي من ثلاثة مكونات:

يُدْعى المكون الرئيسي الأول بـــ المسند(م) أي خبر الجملة، ويدعى المكون الرئيسي الثاني بـــ المسند إليه(م إ) أي فاعل الجملة أو المبتدأ، ويدعى المكون الثالث بـــ الفُضْلة (ف) أي المكون الذي ليس مسنداً ولا مسنداً إليه. وتُدْعى العلاقة التي تربط هذه المكونات بـــ الإسناد (إس) أي العلاقة الإسنادية.

سوف نقدم هنا مكوناً آخر يمكنه أن يحوّل الكلام الأساسي البسيط إلى كلام شرطي معقد. يُدْعى هذا المكون الأداة (أد). إن عجرة الإسناد وعجرة الأداة ستحكمان من خلال عجرة عليا تدعى الكلام (ك). وسنعتمد في التحليل النحوي أيضاً على الحركات الإعرابية المعروفة وهي الرفع (رفع) والنصب (نصب) والجر (جر) والجزم (جزم)، فهذه الحركات، كما سوف نرى، تُسْهِم في تحديد البنية الدلالية للكلام العربي.

وأخيرا سوف يعتمد التحليل النحوي للشرط على القواعد التوليدية والتحويلية الأساسية التي وضعها اللساني الأمريكي تشومسكي (957-1981)، تلك القواعد المعدّلة طبقاً للنظرية النحوية العربية التراثية[1].

3. الربط والتعليق في الجملة الشرطية:

إن القواعد التوليدية والتحويلية للجزاء الأصل يمكن أن توضّح من خلال الجملة (1) :

البنية السطحية

(1) أ- كيفما تصنعْ أصنعْ..

ب- كيف تصنعْ أصنعْ.

القواعد التفريعية (تفرع المستويات العليا إلى مستويات دنيا)

1. ك ← أد - إس1 - إس2
2. أد ← [+ شرط] - Ø
3. إس ← م - م إ - ف
4. م ← فعل
5. م إ ← ضمير
6. ف ← حال

القواعد المعجمية (تمنح الكلمات معاني معجمية)

7. فعل← تصنع، أصنع

(1) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع يُفضل مراجعة كتابنا : نحو نظرية لسانية عربية حديثة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1987)، دمشق.

8. ضمير ← أنت، أنا

9. حال ← كيفما (= كيف)

القواعد التحويلية (تحول التركيب الأساسي إلى تركيب شرطي مشتق)

10. قاعدة تحويلية للشرط:

تصنع	أنت	كيفما	أصنع	أنا
1	2	3	4	5 ⇐
3	1	2	4	5

11. قاعدة تحويلية للحذف:

كيفما	تصنع	أنت	أصنع	أنا
1	2	3	4	5 ⇐
1	2	Ø	4	Ø

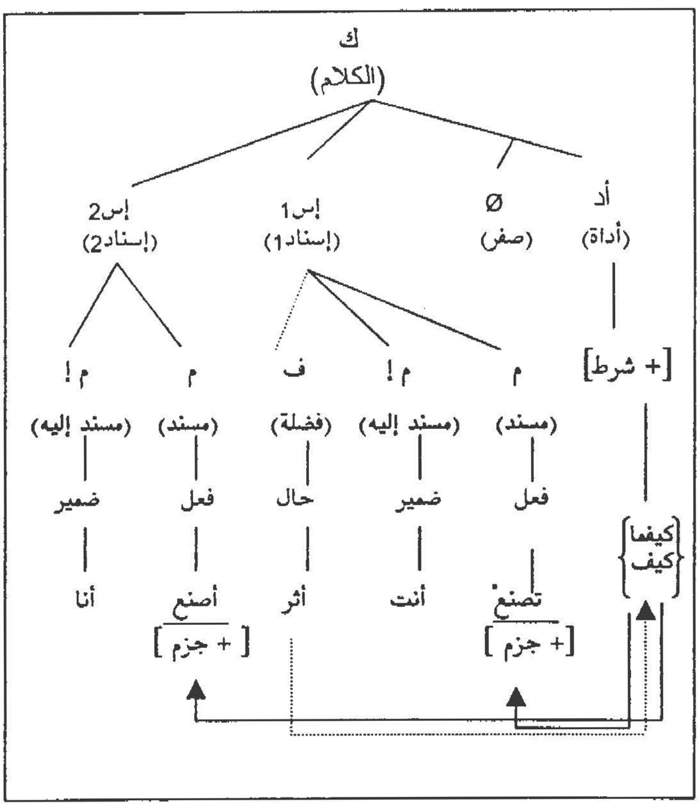
القواعد الصوتية – الصرفية (تمنح الكلمات الصيغ والحركات المناسبة)

12. تصنعُ ← تصنعْ

13. أصنعُ ← أصنعْ

البنية العميقة (الأصل)

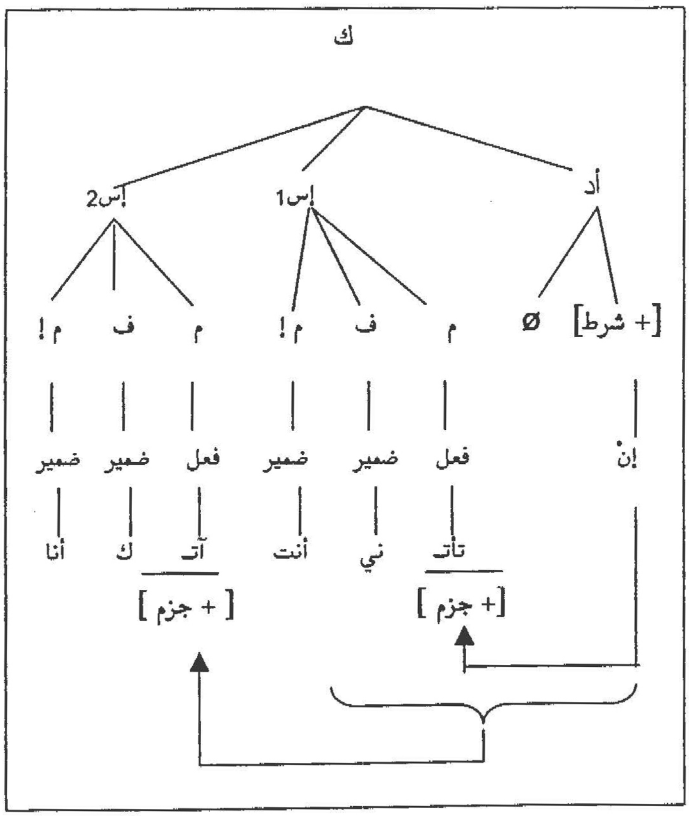
جـ .



يذكر سيبويه بعد أن سأل الخليل عن بعض الروابط الشرطية التي ليست من الجزاء ولكنها تبنى وتحمل على الجزاء دلالة. ورغم ذلك تبقى "مستكرهة"، مع صحة قواعديتها كما هي الحال في المثال السابق (1 ب). فالجزاء في (1 أ) هو الأصل ولكنه في (1 ب) محمول على الأصل من جهة المعنى.

نستطيع أن ننقل هنا الفضلة (كيفما) من عجرة الـ (إس1) إلى عجرة الـ (أد) من خلال قاعدة تحويلية (طبقاً لتشومسكي)... أو من خلال تعليقها بالفعل تصنع (طبقا لسيبويه). ولكن الـ (ف) في كلتا الحالتين تترك أثراً مكانها، هذا الأثر يتجلى من خلال عمل الفعل (م- تصنع) في (ف- كيفما) ومنحها حركة النصب ثم منحها دوراً دلالياً هو الحال. لذلك فإن موقع (كيفما) الإعرابي حسب رأي سيبويه هو أنها اسم شرط جازم في محل نصب حال.

ب.



لنلاحظ أن الرابط الشرطي (كيفما)، عندما ينتقل إلى عجرة الـ (أد)، فإنه يعود ليربط الجزاء بالجواب ويعمل فيهما ويمنحهما علامة الـ (+ جزم).

إن العمل هنا متداخل، فمرة تكون (كيفما) معمولة ومرة تكون عاملة وهذا دليل قوي على علائقية العناصر اللغوية وتداخلها في الفرضية الجزائية العربية.

وثمة مفهوم متميز يطرحه الخليل في فرضية الجزاء العربية يتلخص في أن الرابط في الجملة الشرطية هو الأداة وفعل الجزاء معا، وليس الأداة وحدها..... تتجلى العلاقات الرابطية من خلال الجملة المتمثلة في (2 أ) و (2 ب) :

(2) إن تأتني آتك

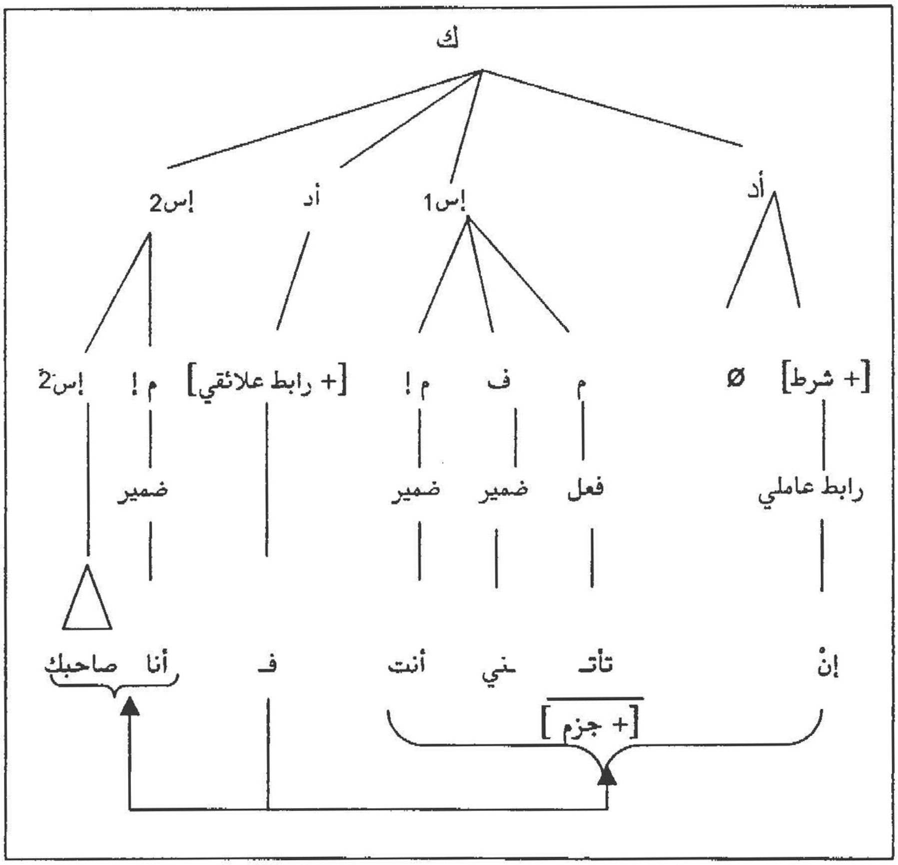
إن معالجة الخليل للكلام الجزائي هي معالجة عاملية علائقية تجعل الجواب مجزوماً جزماً معمولًا (Governed) بـ (إنْ) وجزْماً معلقاً (Bound) بـ (إنْ تأتني...).

هذا الربط العاملي — العلائقي يدعوه الخليل وسيبويه بـ "التعليق" ذلك المفهوم الذي استخدمه تشومسكي في نظريته المسماة (Government and Binding) أي العمل والربط الإحالي.

والواقع تُظهر اللغة العربية تراكيب شرطية يكون الرابط فيها (فاء). ذلك أن الجواب لا تتم دلالته إلا بدمجه في الجزاء وهذا لا يحدث إلا عندما يكون الجزاء جملة اسمية كما هو مبين في (3 ب):

(3) أ. إنْ تأتني **فأنا** صاحبك.

ب.

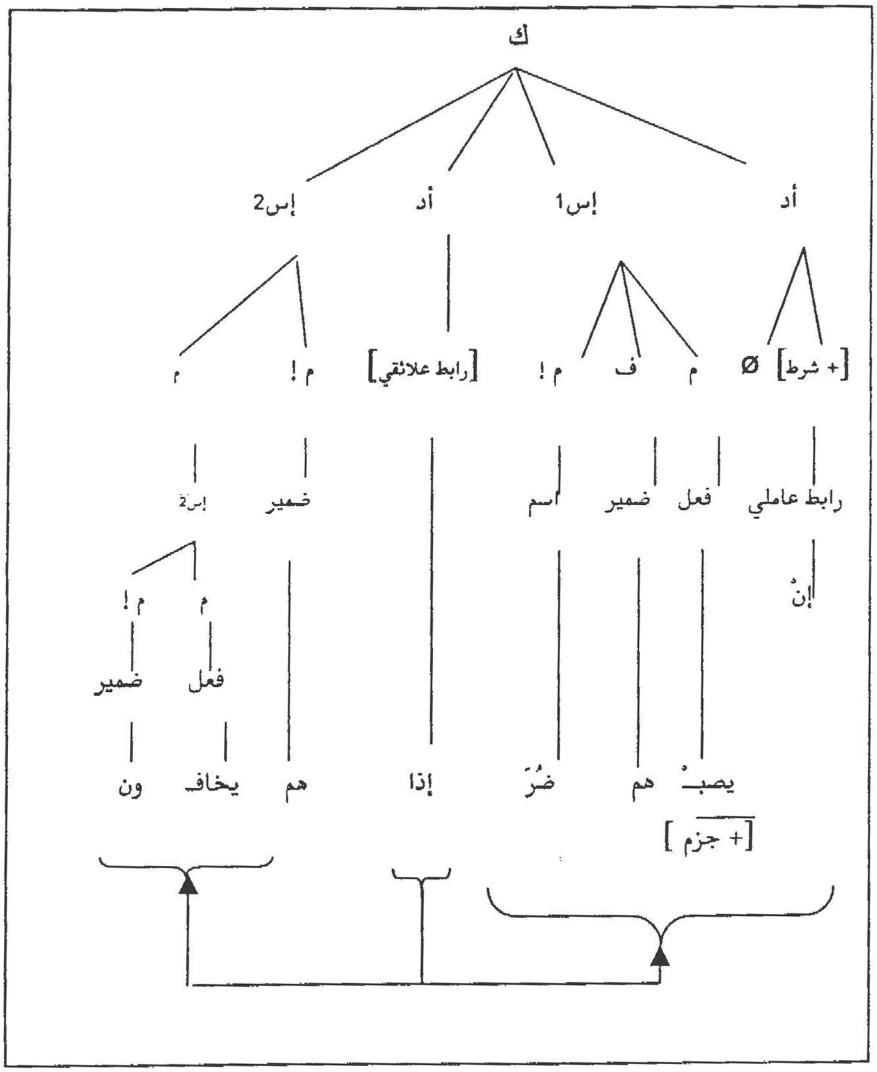


إن (الفاء) هنا تربط الجزاء بجوابه، ثم إن وجودها دليل على أن الجواب (أنا صاحبك) هو جواب الجزاء وليس مبنياً على الابتداء حسب رأي سيبويه.

وهناك أداة رابطية أخرى تعلّق الجزاء بجملة الجواب الاسمية وهي إذا كما هو موضح في (4 ب) :

(4) أ. "إنْ يصبهم ضُرّ إذا هم يخافون"

ب.

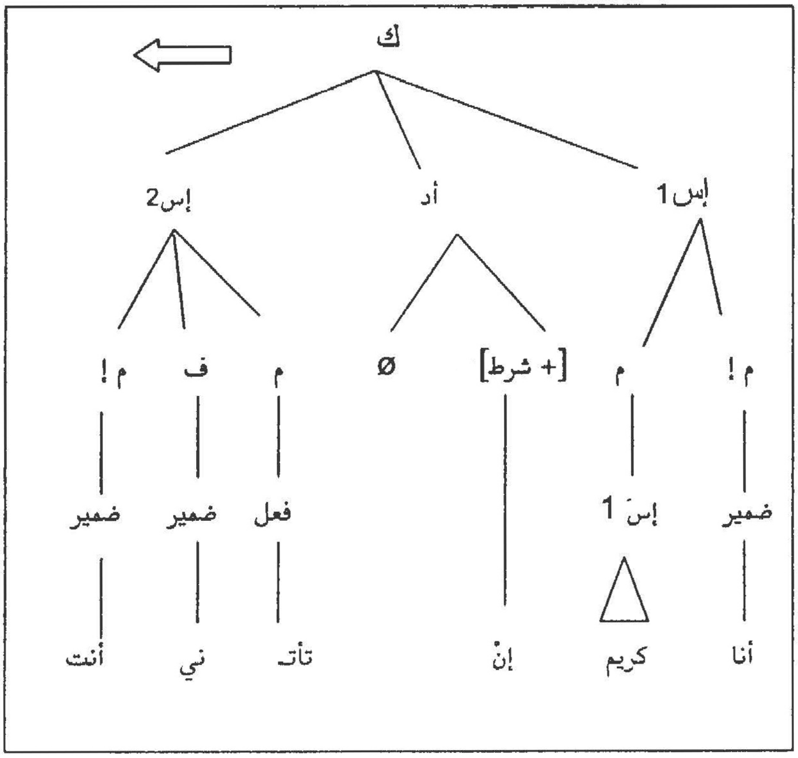


إن الرابط المعلّق في (4 ب) هو إذا التي تشبه الرابط المعلّق في (3 ب) وهو الفاء. من هنا لا يجوز أن نُدخِل الفاء هذه على إذا ونقول (فإذا هم يخافون) خشية أن يصبح عندنا رابطان للجزاء بجوابه وبذلك سيكون الكلام قبيحاً نحوياً.

لنفترض أن جملة الجزاء وجوابه ليس فيها رابط معلّق فإن التحويل سيتخذ مساراً آخر كما هي الحال في التحويل الذي يجري على (5 ب) لتصبح (6 ب) :

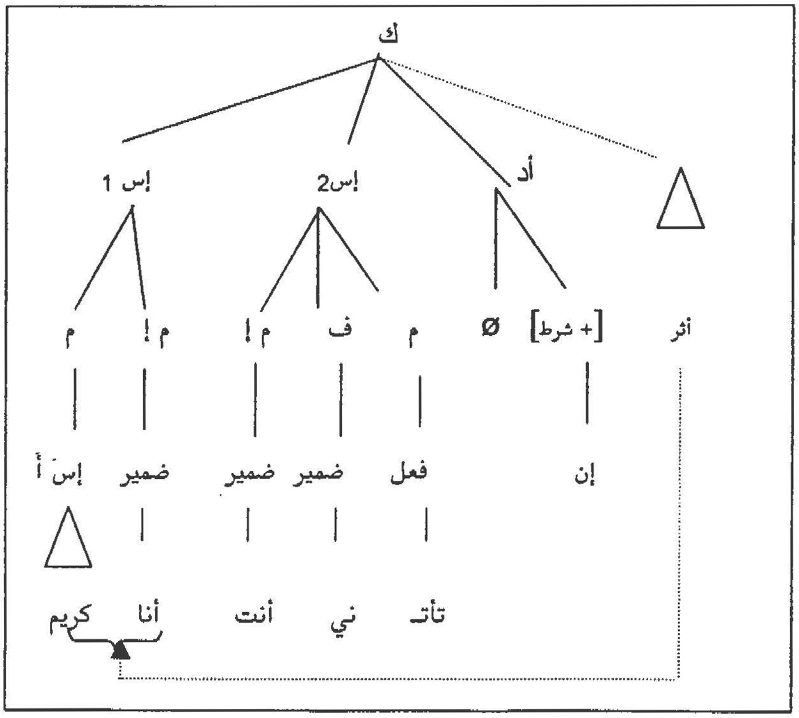
(5) أ. أنا كريم إن تأتني (جملة نواة = الأصل)

ب



(6) أ. إن تأتني أنا كريم (مبنية على الأصل) (من ضرائر الشعر)

ب.



نلاحظ في الأمثلة (5 ب) و(6 ب) عدم وجود رابط شرطي يعمل في الجواب ويعلقه بالجزاء، ذلك لأن الجملة التحويلية (6 أ) جاءت نتيجة لضرورة شعرية، لذلك فإن الجواب حُمل وبُني على الابتداء (أي عُلّق بالابتداء) وأرجع إلى الأصل كما هو في (5 أ) أي (أنا كريم إن تأتني).

وهكذا يمكننا أن نقول بأن الخروج عن الجزاء يمكن أن يكون لضوابط ثلاثة :

(أ) للابتداء.

(ب) لليمين أو للقسم.

(جـ) لمعيار دلالي (كيفما تصنع أصنع= أي على أي حال تكن أكن).

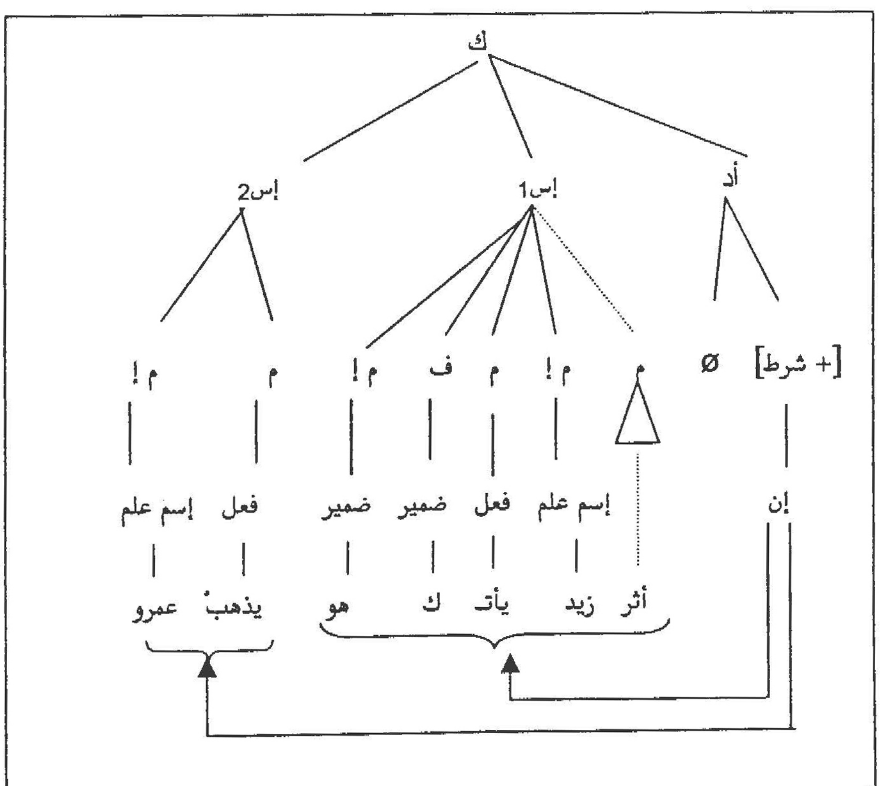
من هنا يمكننا أن ننقل جملة الابتداء ونضعها في محل جواب الشرط دون عمل الشرط فيها.

ونرى سيبويه يتحدث عن **"خروج"**، آخر وذلك عندما يتقدم الاسم على فعل الجزاء فتجتمع الأداة مع الاسم الأمر الذي يجعل الجزاء وجوابه قبيحا في نظر سيبويه. فإذا حدث مثل هذا في الشعر فإن سيبويه يضع له ضابطا معينا لتخريجه وإجازته. يتلخص هذا التخريج بربط الاسم الذي يأتي بعد الأداة بفعل محذوف يفسره ما بعده وبذلك فإن الاسم سيعلَّق بهذا الفعل المحذوف ويأخذ منه صفاته النحوية والدلالية.

إن مثل هذا التركيب يخضع لقاعدة الحذف التحويلية (deletion). ويتضح هذا الإجراء في الأمثلة التالية:

(7) أ. إن زيدٌ يأتك يذهبْ عمرو

ب.



وهكذا فإن البنية العميقة (أو الأصل)للتركيب(7 أ) هي :

جـ : إن يأتك زيدٌ يأتك يذهب عمرو

ولكن بعد تطبيق قاعدة الحذف يصبح الفعل في البنية التقديرية (بمصطلح سيبويه) أو في البنية العميقة (بمصطلح تشومسكي). وشبيه بهذا الربط والتعليق بالمحذوف بعض التراكيب التي يحذف منها فعل الجزاء وجوابه يقول سيبويه :

"ومن العرب من يقول : إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً.

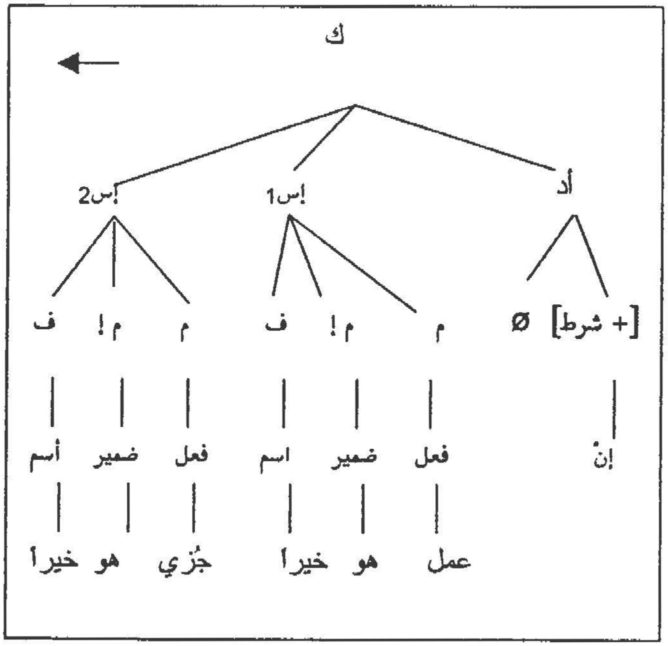
كأنه قال: إن كان (الذي عمل) خيراً جُزي خيراً، وإن شراً جُزي شراً"[2].

وهذا يعني أن فعل الجزاء وفاعله ثم فعل الجواب وفاعله قد حذفا من التركيب وقد أدخلت (الفاء) الرابطة لتعليق الجواب بالجزاء.

فإذا وضعنا ما قاله سيبويه بهذا الشأن في إطار المدرسة التوليدية والتحويلية، فإن ذلك يعني أن هناك قاعدتين تحويليتين: الأولى هي قاعدة الحذف (deletion) والثانية هي قاعدة الإضافة (addition). يتبين هذا الإجراء من خلال المثال التالي:

(8) أ. إن عمل هو خيراً جُزي هو خيراً

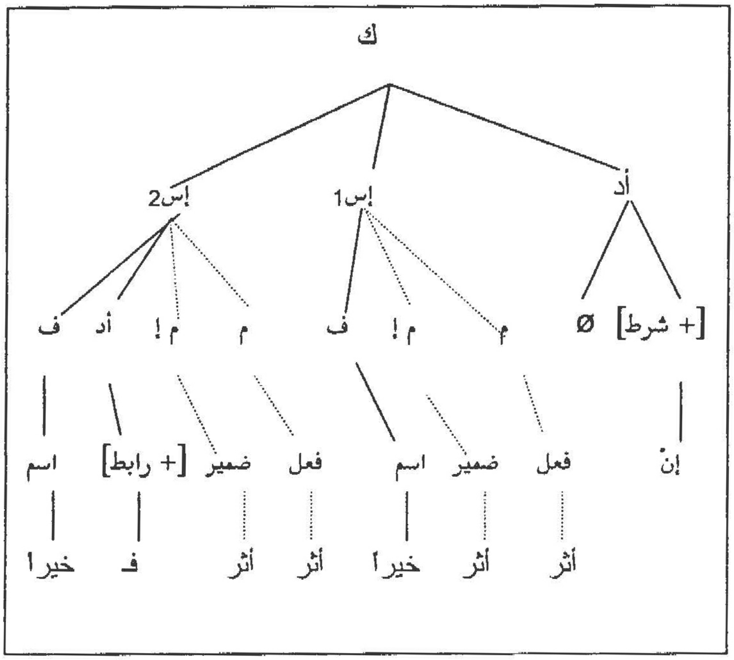
ب.



---

[2] سيبويه (ت180هـ) الكتاب مج3 (ص 258)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (1966) الطبعة الأولى.

جـ .



إن مفهوم الخروج هذا يمكننا ترجمته بمفهوم التحويل المقيد عند تشومسكي(Condition on Transformation). أي الخروج عن قواعد الأصل إلى قواعد القيد. وعلى هذا نستطيع أن نتلمس هنا التشابه بين مفاهيم النحاة العرب ومفاهيم اللسانيات الحديثة. فإذا لم يجز قواعدياً أن نربط جملة الجواب الفعلية بالجزاء عن طريق (الفاء) ونقول:

- إنْ تأتني فأكرمْك (بجزم الجواب)

فإنه يجوز (قبولياً) أن نحمِّل تلك الجملة على الابتداء (فأنا أكرمُك) ونقول:

- إنْ تأتني فأكرمُك (برفع الجواب)

إن البنية التقديرية لهذه الجملة عند سيبويه هي:

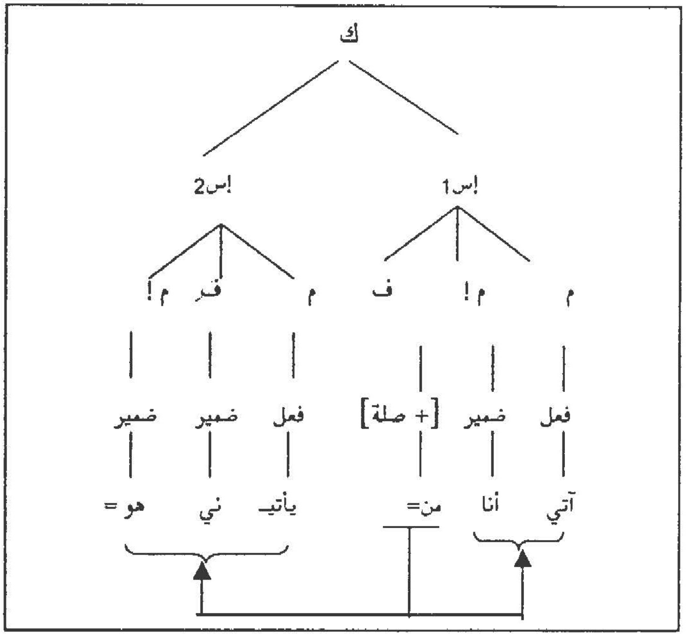
- إن تأتني فأنا أكرمُك

وبمصطلح تشومسكي إنها البنية العميقة التي تولد الجمل التي هي لضرائر معينة.

ومن الروابط التي تربط الجزاء بجوابه **رابط الصلة** كما هو موضح في الأمثلة التالية:

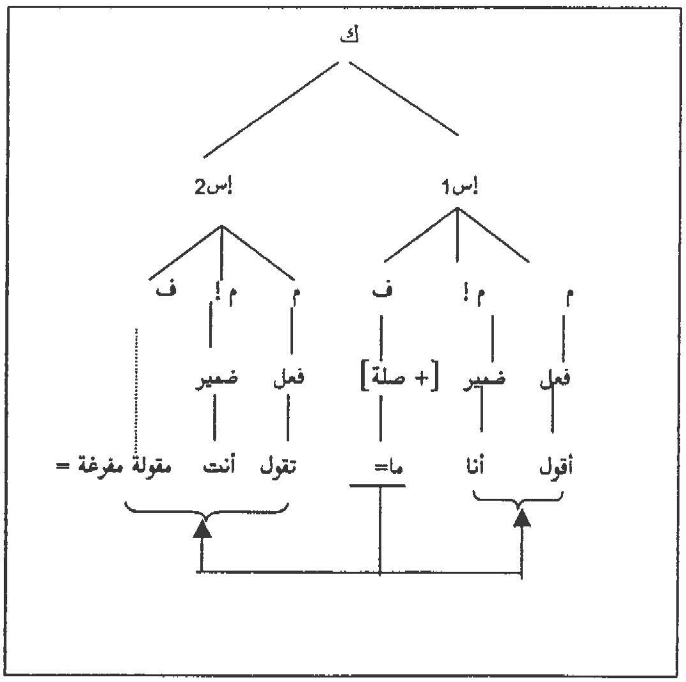
(9) أ. آتي مَن يأتيني

ب.



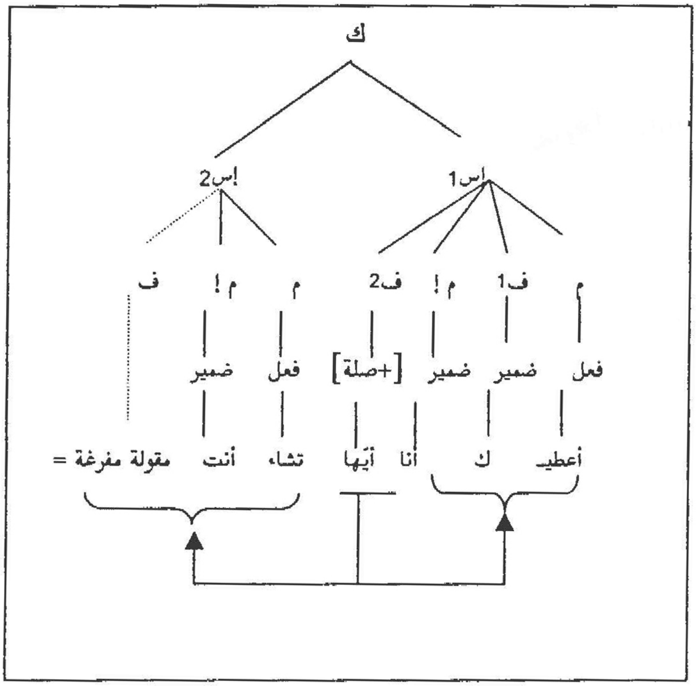
(10) أ. أقول ما تقول

ب.



(11) أ. أعطيك أيّها تشاء

ب.



إن الأسماء التي يجازى بها في الأمثلة السابقة وهي (من- ما- أيها) تتنـزل منـزلة الاسم الموصول فتحمل عليه. **والاسم** الموصول بطبيعة الحال معلّق بما قبله بنيوياً **(في محل** نصب مفعول به) ومعلّق بما بعده جزائياً، أي إنه يدمج التركيب الذي بعده بالتركيب الذي قبله، ثم إن هذا الاسم الموصول متطابق مع ما بعده، فهو يتطابق مع الـ (م ! = هو) في (9 ب) ومع الـ (ف = مقولة مفرغة) في (10 ب) ومع الـ (ف = مقولة مفرغة) في (11 ب).

هناك نوع آخر من **الروابط** التي تربط الجواب بالجزاء، ذلك لأن الجواب هنا معلّق بالأول غير مستغن عنه، كما أن الأول معلّق بالثاني لأنه لا يستطيع أن يستغني عنه بنية ووظيفة.

يقول سيبويه:

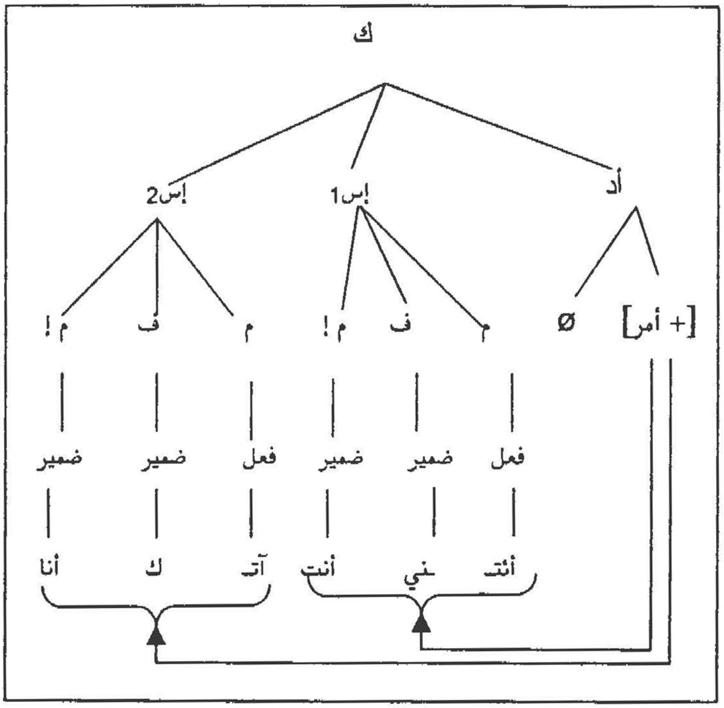
"... هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جواباً لأمر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض"[3]

(3) المصدر نفسه (ص 93-94).

التعليق بالأمر

(12) أ. ائتني آتك

ب.

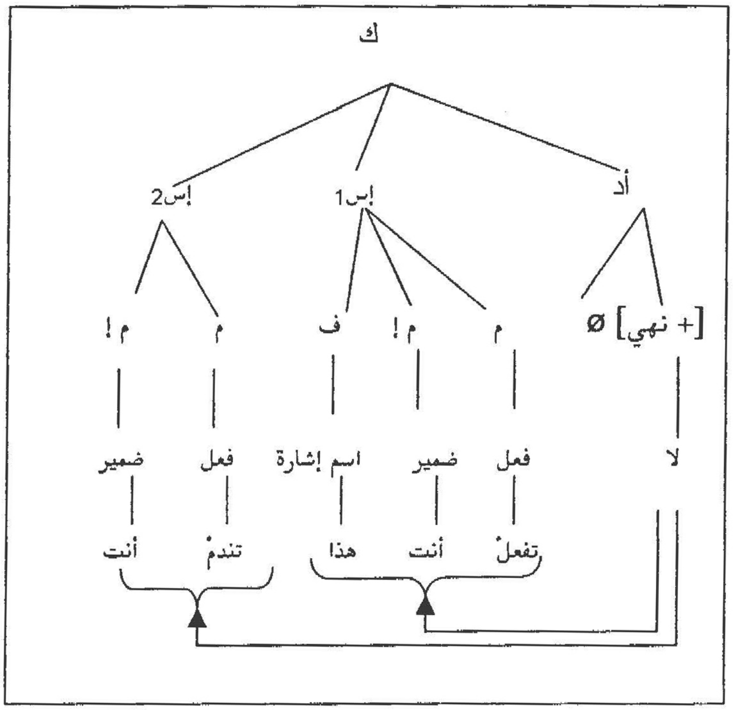


إن الجواب في (12 ب) معلق بالأول (فعل الجزاء)، والتعليق ليس عن طريق **الرابط المعجمي** فحسب وإنما عن طريق **الرابط التجريدي** أيضا والذي يقع تحت عجرة الـــ (أد).

التعليق بالنهي

(13) أ. لا تفعلْ هذا تندمْ.

ب.

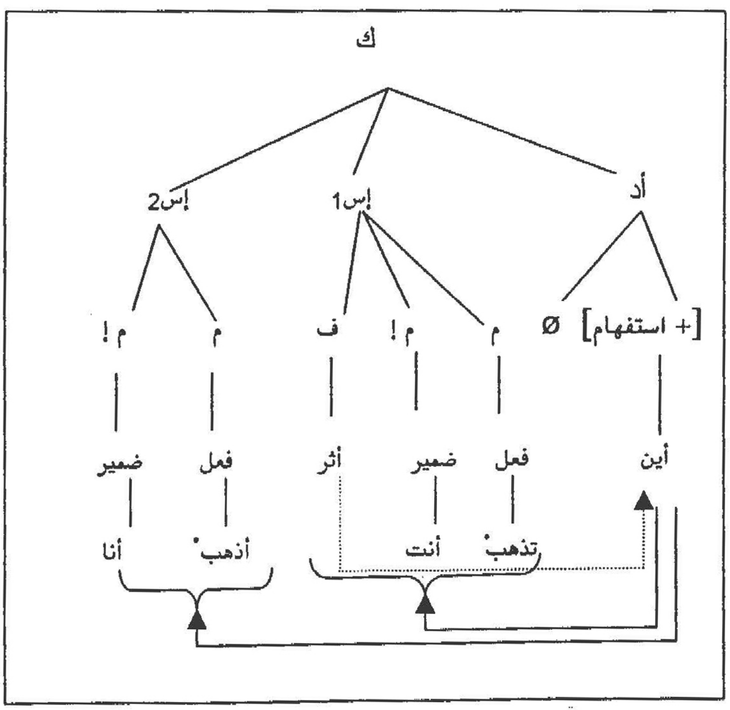


إن الرابط في (13 ب) هو النهي الذي يعلّق الجواب بفعل الجزاء تعليقاً معجمياً (لا) وتعليقاً تجريدياً (النهي).

التعليق بالاستفهام

(14) أ. أين تذهبْ أذهبْ

ب.

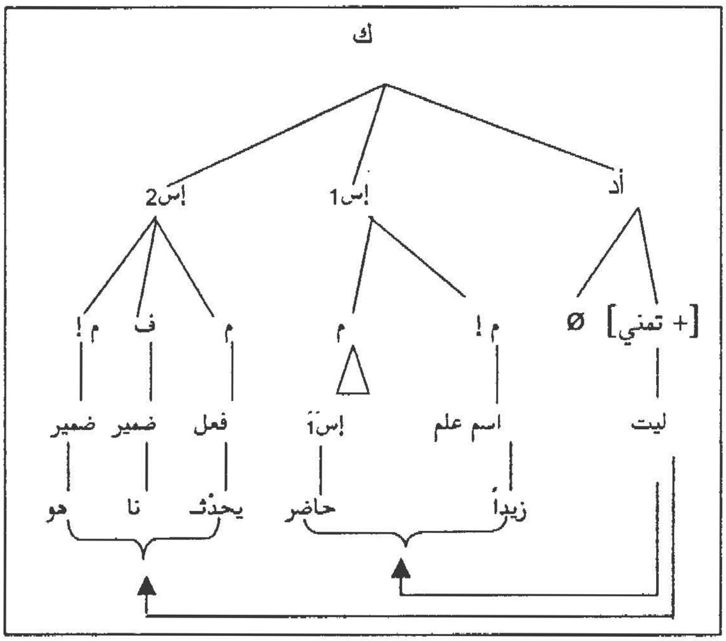


نلاحظ هنا أن عامل الاستفهام في (14ب) يعمل في الجواب فيمنحه صفة الجزم ثم يعلقه بالجزاء تعليقاً معجمياً (أين) وتعليقاً تجريديا (الاستفهام). ونلاحظ أيضاً أن الظرف (أين) قد نُقل بقاعدة تحويلية من عجرة الـــ (إس1) إلى عجرة الـــ (أد) تاركاً أثراً خلفه. والدليل على هذا الأثر أن (أين) هي اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بفعل الجزاء. وصفة النصب هذه كان قد منحها له فعل الجزاء (تذهب).

التعليق بالتمني

(15) أ . ليت زيداً حاضرٌ يحدثْنا

ب.



إن الرابط (ليت = التمني) له أكثر من وظيفة نحوية ودلالية فهو :

أولاً : يعمل في اسم العلم (زيداً) فيمنحه صفة النصب كونه من الحروف المشبهة بالفعل.

ثانياً : يعمل في الخبر (حاضر) فيمنحه صفة الرفع.

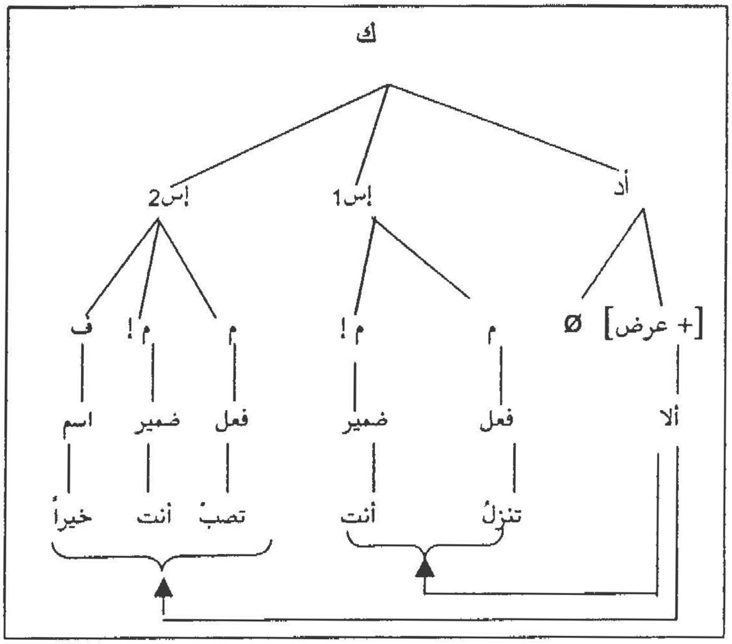
وثالثاً : يعمل في جواب الجزاء (يحدثْنا) فيمنحه صفة الجزم.

ورابعاً : يعمل في الجزاء وجوابه ليربطهما ويعلقهما من الناحية الدلالية.

التعليق بالعرض

(16) أ. ألا تنـــزلُ تصبْ خيراً

ب.



إن الرابط هنا يعمل في جواب الجزاء ليمنحه صفة الجزم ويعمل في الجزاء وجوابه فيعلقهما ويربطهما دلالياً.

والواقع إن سيبويه يعلل جزم جواب الجزاء في هذه الأساليب العربية بأنها تتضمّن معنى الشرط. وبهذا فإنه يقيس ما هو دلالي على ما هو نحوي ولكن ضمن ضوابط وقيود معينة.

4. ضوابط الربط والتعليق:

هناك بعض الأسماء التي يجازى بها تخالف الأبنية التي رأيناها من قبل وذلك على مستوى قواعد الأصول وليس على مستوى قواعد الخروج أي خروج القواعد عن الأصول التي وضعت لها.

هذه القواعد تندرج تحت ما يسمى الاستثناءات أو الضوابط بالمفهوم اللساني الحديث. ويتبين هذا الأمر من خلال الأمثلة التالية:

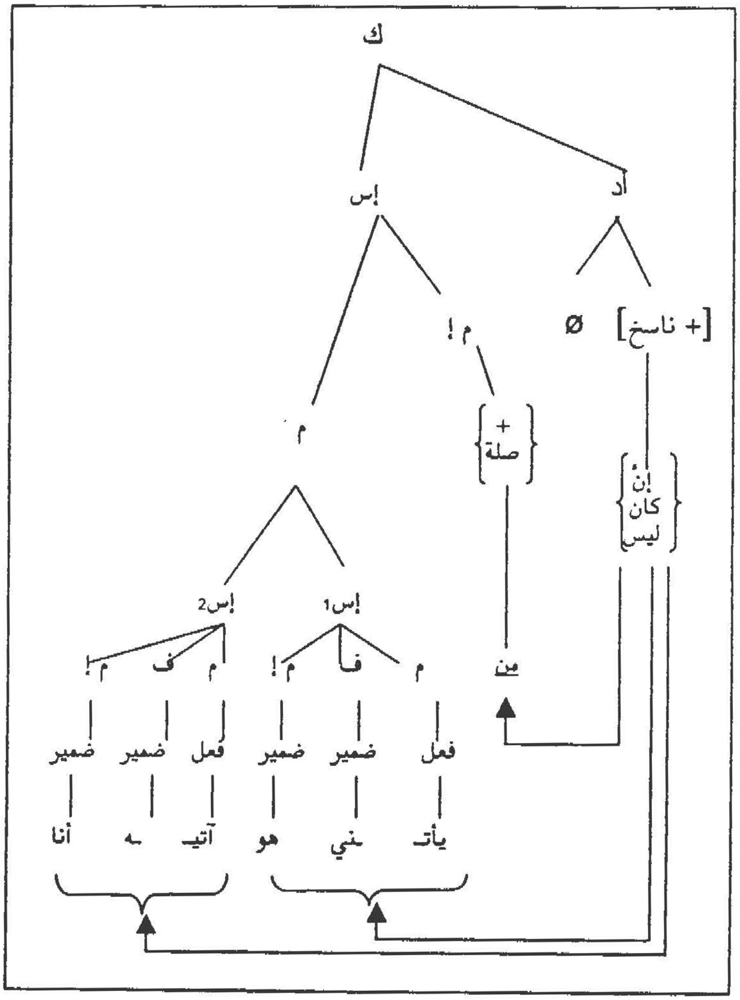
1. أقول **مهما** تقلْ.
2. أكون **حيثما** تكنْ.
3. أكون **أين** تكنْ.
4. آتيك **متى** تأتني.
5. تلتبسُ بها **أنى** تأتها.

فهذه الأسماء (مهما، حيثما، أين، متى، أنى) تُنـــزّل مـــنـــزلة أداة الشرط (إنْ) لذلك تجزم الجواب وتربطه بالجزاء، ولكن لا يكون الفعل صلة لها كما كان الأمر في (من- ما- أيها).

هناك نوع آخر من الضوابط يظهر عندما تتصدر الكلام المجازى عوامل معينة فيكون العمل لها وبذلك تُبطل عمل الجزاء. من هذه العوامل التي يذكرها سيبويه (إنّ- كان- ليس) كما هو موضح في (6أ) و (6ب):

(6)أ. {إنّ / كان / ليس} من يأتيني آتيه.

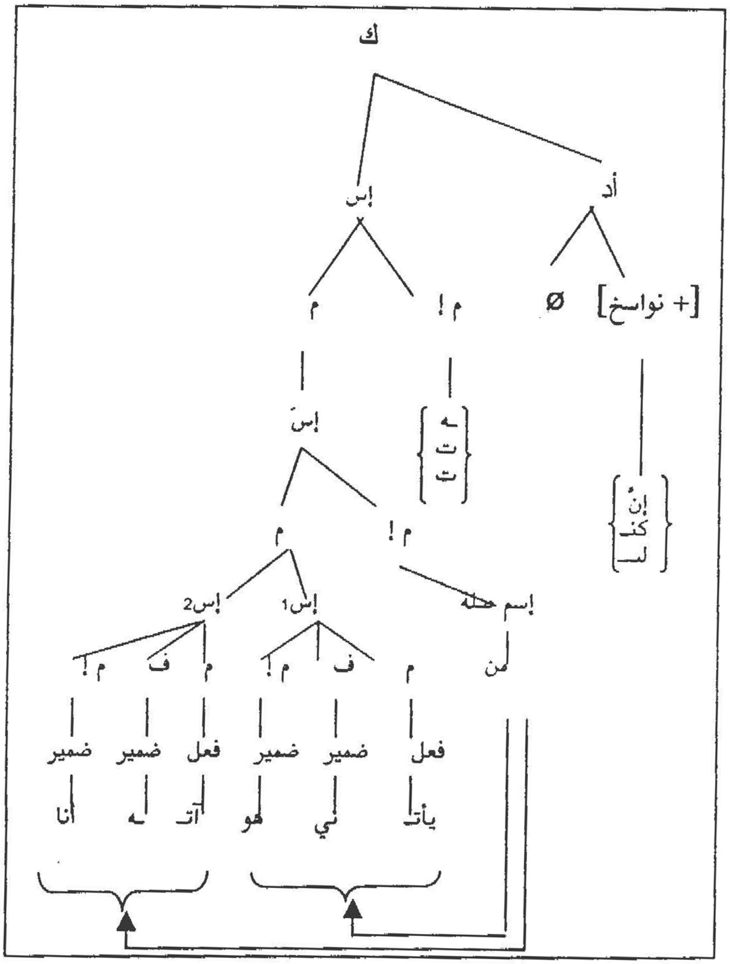
ب.



إن اسم الصلة مَنْ غير جازم لما بعده لأن العوامل التي سبقته وهي (إن- كان – ليس) أبطلت عمله وحولته إلى اسم موصول فقط. ولكن عندما تجد العوامل المذكورة ما تعمل فيه فإن الاسم الرابط مَنْ يعود ليعمل في الجزاء وجوابه كما هو موضح في (7أ) و (7ب):

(7) أ. {إنّه / كنت / لست} من يأتني آته

ب.



إن الرابط **مَنْ** هنا يعمل في الجزاء وجوابه فيعلقهما. وهذا جائز لأن النواسخ التي تتقدمه قد وجدت ما تعمل فيه وبذلك استطاع الجزاء أن يتحقق ويكون متغيراً حراً (Free variable).

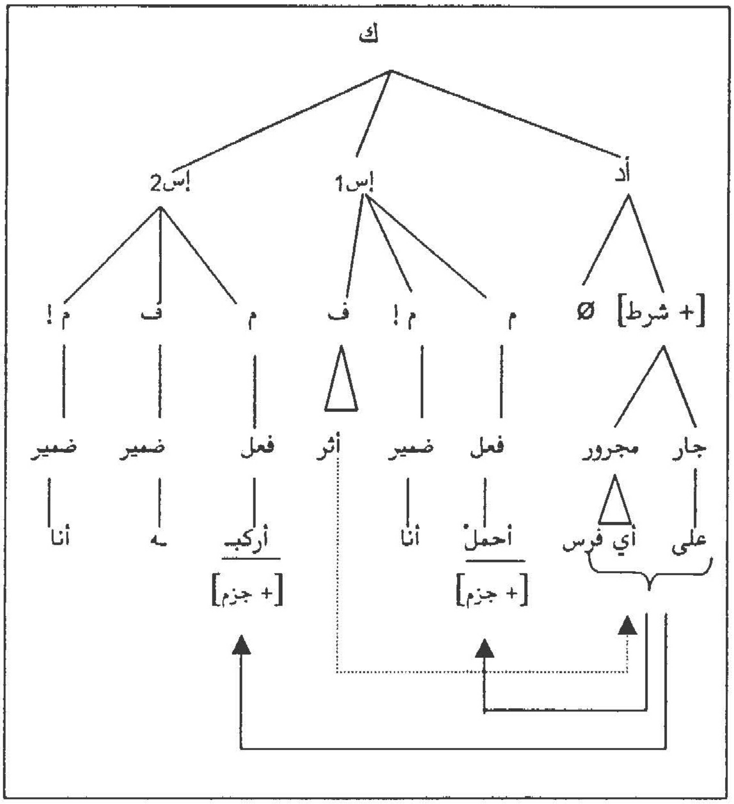
ومن المواضع التي يبطل فيها عمل الجزاء **موضع الابتداء**------ ، أي عندما يكون اسم الجزاء مبتدأ ويكون الجزاء وجوابه خبراً----------------

---- ----- إن الربط والتعليق هنا لا يأتي من عمل الجزاء وإنما يأتي من عمل الابتداء.

ولكن هذه الأسماء تصبح حرة في العمل إذا اتصلت بها حروف الجر التي تعمل فيها وتجعلها في الوقت نفسه تعمل في غيرها في الجزاء.----. إن البنية العميقة لمثل هذه التراكيب تتجلى في (8ب) و (9 ب):

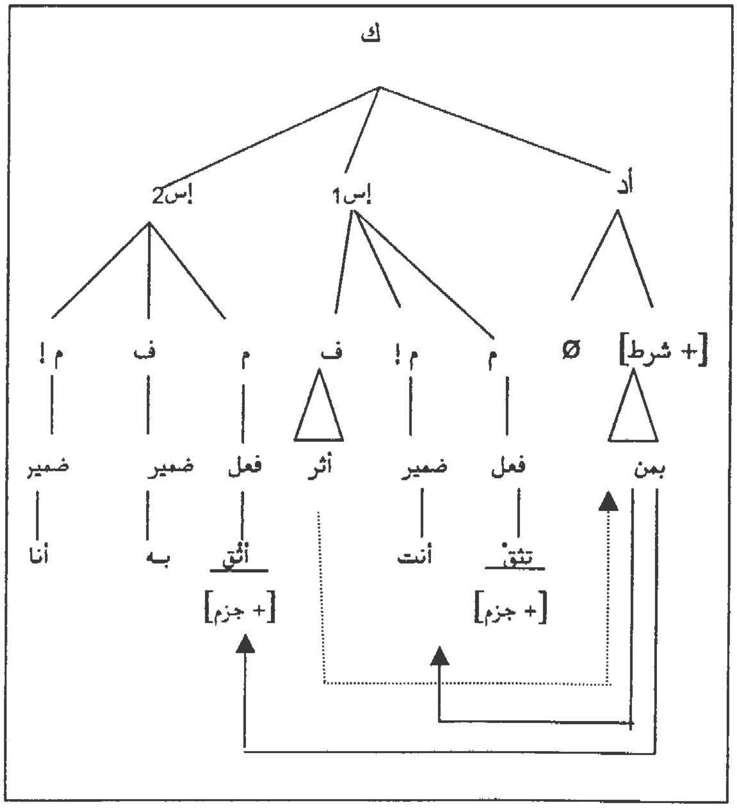
(8)أ.على أي فرس أحملْ أركبْه

ب.



(9) أ. بمن تثقْ أثقْ به

ب.

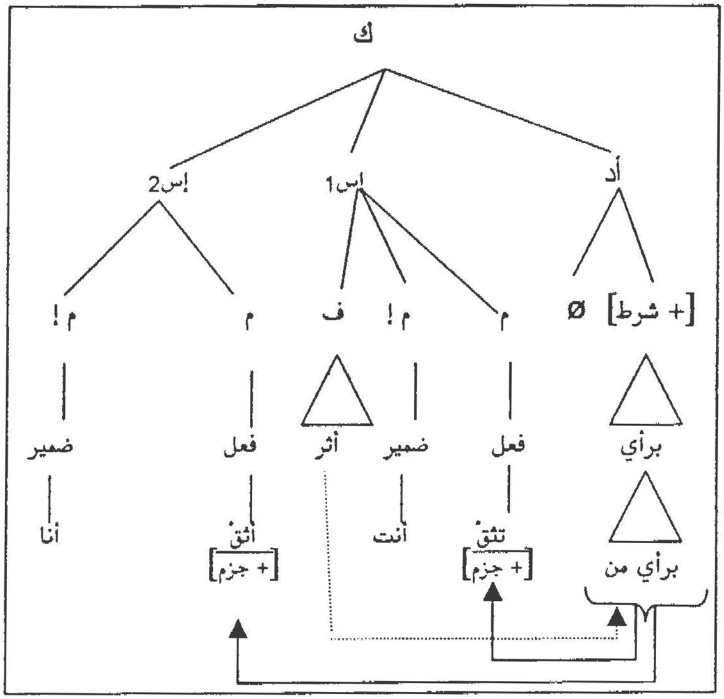


والواقع تُظهِر اللغة العربية بعض الجمل التي تكون فيها أسماء الجزاء مضافة إلى أسماء أخرى وإن هذه الإضافة لا تؤثر في عمل الجزاء ---------------

- لنتأمل المثال التالي :

(10) أ. برأي من تثقْ أثقْ.

ب.



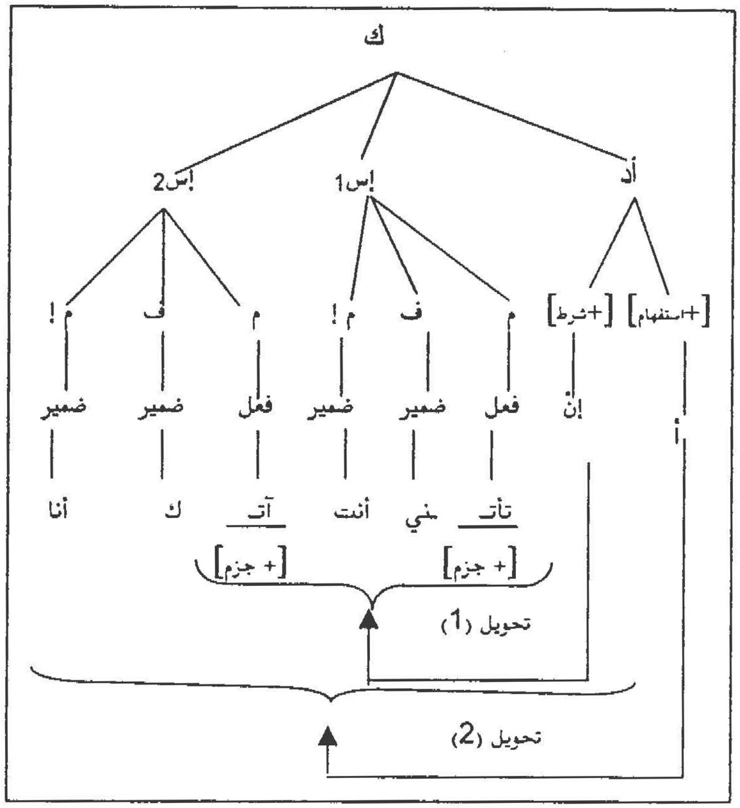
نلاحظ في (10ب) أن العجرة الأولى للجزاء هي عجرة الجار مع اسم الجزاء المجرور وأن العجرة الثانية للجزاء هي عجرة المضاف مع اسم الجزاء المضاف إليه.

إن العنصر الذي يعمل في الجزاء وجوابه من هذين المتلازمين هو من ذلك لأن ما يضاف إلى من ويجرها هو بمنـــزلة من في العمل.

يذكر سيبويه بعض الكلام الذي يطرأ عليه تحويلات معينة لا تؤثر بدورها في الجزاء ولا تبطل عمله، ولكن ضمن قيود معينة، تتلخص في أن التحويل الجزائي لا بد أن يتم **أولاً** وأن التحويل الاستفهامي يتم **ثانياً** وإلاّ فإن الكلام سيكون غير نحوي. لنتأمل المثال التالي :

(11) أ. أ إنْ تأتني آتك؟

ب.



إن الرابط الجزائي (إنْ) يعمل في فعل الجزاء وجوابه، أي إنه يحوِّل الكلام الأساسي إلى كلام جزائي (شرطي) من خلال دمج الجواب بجزائه ومن خلال منح الأفعال حركة إعرابية (نحوياً)، وبالتالي فإن التحويل يتم أيضا من خلال تحقق الجزاء بتحقق الجواب (دلالياً).

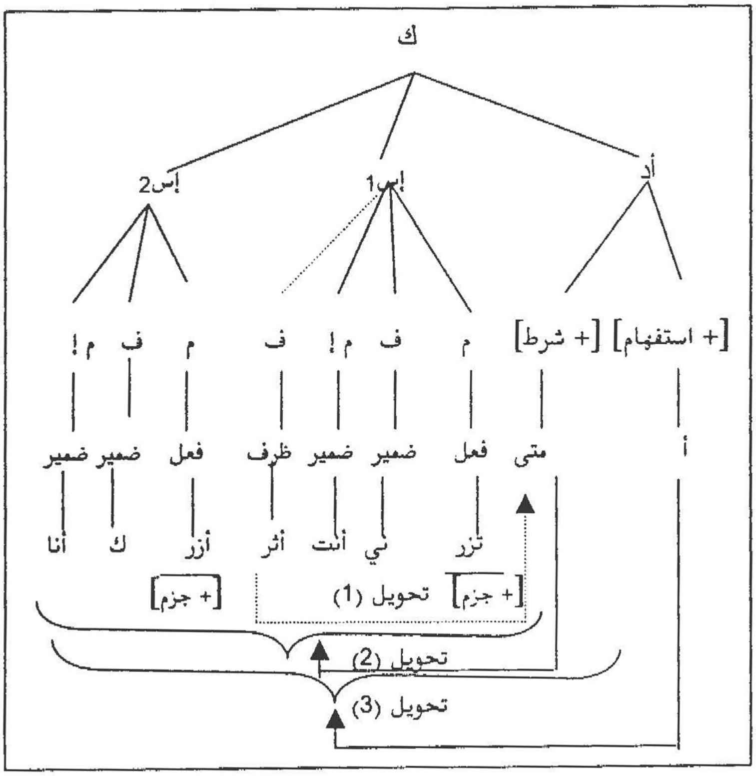
أما ألف الاستفهام (أ) فليس لها عمل نحوي لأنها أداة غير عاملة نحوياً ولكنها عاملة دلاليا لأنها تحول الكلام من حالة التصريح إلى حالة الاستفهام.

ولكن هذين التحويلين (الجزائي ثم الاستفهامي) مرهونان **برتبة التحويل**. يجب أن يبدأ العمل في الجزاء أولاً ثم الاستفهام ثانياً وإلاّ فإن هذا التحويل سيولد كلاما خاطئا من الوجهة النحوية.

لنتأمل مثالاً آخر حول رتبة التحويل في الكلام العربي:

(12) أ. أ متى تزرْني أزرْك ؟

ب



هناك ثلاثة تحويلات في المثال (12 ب):

الأول: أن الفضلة (متى- ظرف زمان) تقع تحت عجرة الـ (اس1) وأن الفعل (تزرني) يعمل فيها ويمنحها صفة نحوية (النصب على الظرفية الزمانية) وصفة دلالية (+ زمن)، وقد انتقلت متى بقاعدة تحويلية إلى عجرة الـ (أد).

الثاني: أن متى الجزائية (وبعد أن انتقلت) عملت في الجزاء وجوابه فمنحتهما صفة الجزم وحولت الكلام الأساسي البسيط إلى كلام جزائي معقد (مدمج).

الثالث: يتعلق بالأداة الاستفهامية (أ) التي حولت الكلام الصريح إلى كلام استفهامي.

. هذه التحويلات الحديثة التي وصفناها طبقاً لمدرسة تشومسكي كانت قد اختصرتها المدرسة الخليلية بكلام بسيط ولكنه مهم وخطير عندما قال سيبويه:

"... وذلك لأنك أدخلت الألف (الاستفهامية) على كلام قد عمل بعضه في بعض فلم يغيره... ألا ترى أنها (أي الألف الاستفهامية) تدخل على المجرور والمنصوب والمرفوع فتدعه على حاله ولا تغيره عن لفظ المستفهم. ألا ترى أنه يقول:

(مررت بزيدٍ) فتقول (أزيدٍ؟) وكذلك تقول في النصب والرفع[4].

وهذا يعني أن الفضلة (متى- الظرفية الزمانية) كان قد عمل فيها فعل الجزاء قبل أن تعمل فيه وفي جوابه والدليل على هذا الافتراض هو أن متى قد أعربها النحاة في مثل هذا الموضع على أنها اسم جزاء جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. وهي معلّقة بفعل الجزاء سواء تأخر أم تقدم.

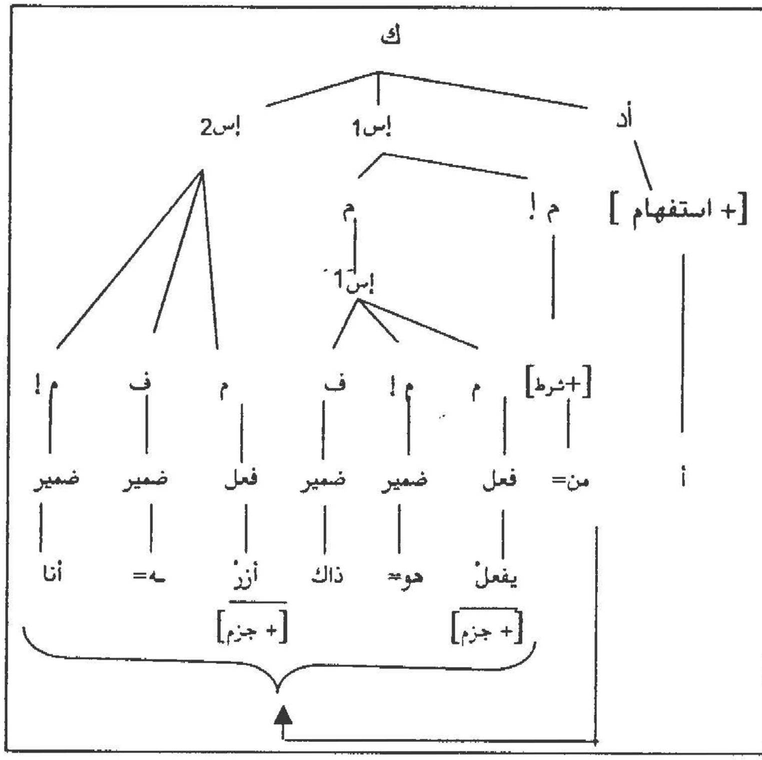
إن السبب الذي جعل سيبويه يقترح أن الاستفهام لا يستطيع أن يؤثر في الكلام الذي عمل بعضه في بعض من الناحية النحوية هو أن الاستفهام لا يقوى على العمل النحوي البنيوي ولكنه يقوى فقط على العمل الدلالي.

لنتأمل المثال (13) حيث إن الرابط الجزائي الاستفهامي (من- م !) يقع خارج الجملة الفعلية.

(4) المصدر نفسه (ص 82-84).

(13)أ. أ من يفعلْ ذاك أزرْه ؟

ب.



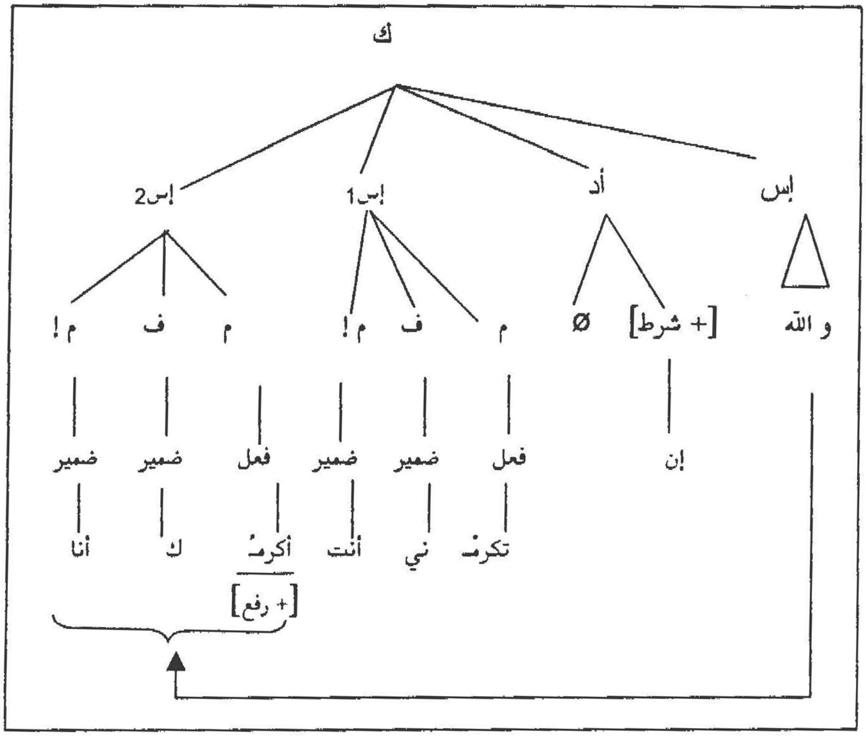
نلاحظ في (13ب) أن اسم الجزاء (من) يقع في موضع المبتدأ المرفوع، وهذا الاسم يعمل في فعل الجزاء وجوابه عملاً نحوياً. أما الأداة الاستفهامية (أ) فإنها تحول الكلام دلالياً من حالة صريحة إلى حالة استفهامية، وهي بهذا لا تؤثر في الجزاء الذي عمل بعضه في بعض. إن الضابط المفروض على الرابط الجزائي (من) هو أنه يجب أن يتطابق مع الضمير العائد عليه والذي هو في عجرة الـ (إس1) الفعلية، أي (هو) ويتطابق أيضاً مع الضمير العائد عليه والذي هو في عجرة الـ (إس2) أي (ـه).

وهذا يدل على أن الإسناد الثاني مندمج بالإسناد الأول من خلال مبدأين اثنين هما مبدأ الجزاء، ومبدأ التعليق.

ومن المواضع التي يبطل فيها عمل الجزاء دخول القسم على الكلام المجازى -------------- إن البنية العميقة لهذا التركيب المعقد يمكن أن توضح في المثال التالي :

(14) أ. والله إنْ تكرمْني أكرمُك.

ب.



إن دخول القَسَم في المثال (14ب) – خلافاً للاستفهام- يبطل عمل الجزاء ويعلق الجواب عليه. فإذا عمل الجزاء مع وجود القسم فإن الكلام سيكون محالاً. والمسوغ الدلالي- على حد رأي سيبويه – هو أن حرف الشرط (إنْ) فيه **معنى الشك**، من هنا فإن **القسم والشك** لا يجتمعان معا. إن القيد الدلالي هنا يحدُّ من قوة القيد النحوي. ففي هذا القيد يلتقي النحاة مع الأصوليين الذين يطلقون على هذه الحالة عبارة "محقق الوجود". إذ إن حرف الشرط (إنْ) لا يعلّق عليه إلاّ "محتمل الوجود والعدم" على حد تعبيرهم (5).

وبطبيعة الحال إن القسم (والله) محقق الوجود، لذلك فإن الفعل (أكرمُك) يجب أن يأخذ صفة الرفع، وبالتالي سوف يعلّق على القسم ليكون جوابه. وكأننا نقول عندها ما هو أصل أي: (والله أكرمُك إنْ تكرمْني) أو (إن تكرمْني والله أكرمُك).

ومن المواضع التي رأينا أن عمل الجزاء يبطل فيها، موضع الابتداء، أي إذا تقدم الابتداء على الجزاء كما هو الأمر في المثال التالي:

(15) أنا- والله- إن تكرمْني أكرمُك.

إن الكلام في (15) مبني على المبتدأ – أنا، وإن القسم هنا ليس له وظيفة نحوية أو دلالية، ذلك لأنه لغو كما يقول سيبويه. من هنا فإن الجواب (أكرمُك) يجب أن يرفع ويعلّق بالابتداء، وذلك لأنه مبني عليه.

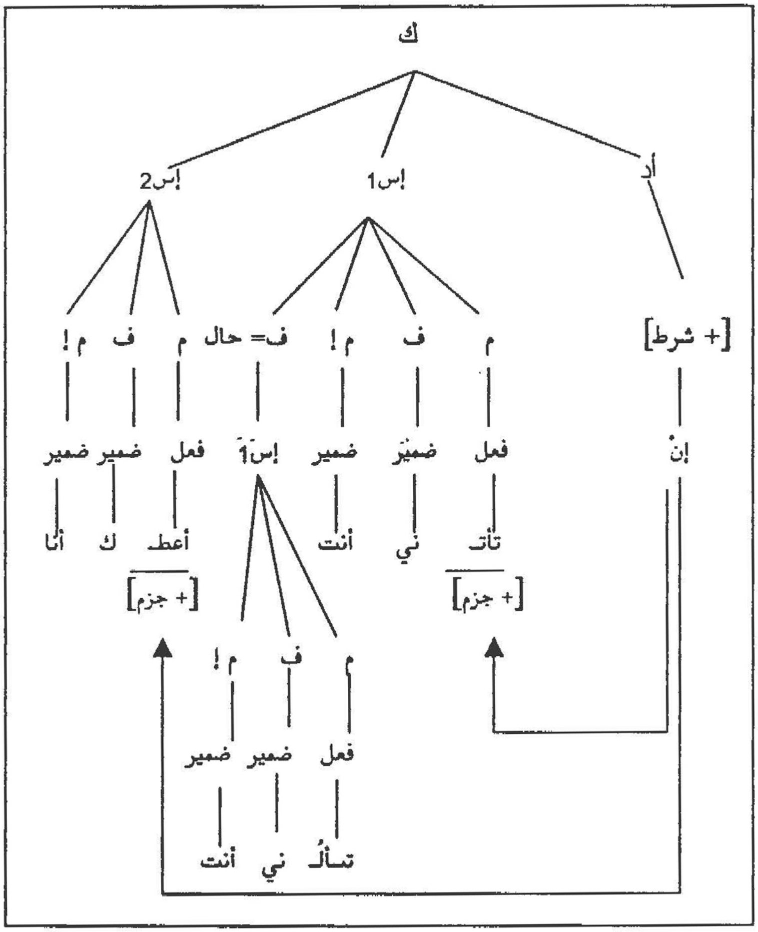
رأينا من قبل أن بعض الأفعال تقع بين الجزاء وجوابه ولكنها لا تؤثر في عملية الربط والتعليق. ويتبين هذا في المثال التالي:

(5) لمزيد من التفاصيل راجع ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) بدائع الفوائد، مج1 (ص 44) دار الخير 1994، دمشق.

(16) أ. إنْ تأتني، تسألُني، أعطك.

= إنْ تأتني، سائلاً، أعطك.

ب.



نلاحظ في (16ب) أن رابط الجزاء (إنْ) يعمل في الجزاء وجوابه، كما أن الـ (إسَ1) يقع موقع الحال المنصوب بفعل الجزاء. هذا الإجراء يستدعي مطابقة بين الـ م إ في الـ (إس 1) والـ ف في الـ (إس2) (أي أن أنت = ك). ويستدعي مطابقة أخرى بين الـ ف في الـ (إس1) والـ م إ في الـ (إس2)، (أي أن ني = أنا).

وفي بعض الحالات فإن بعض هذه الأفعال التي تقع بين الجزاء وجوابه تُحمل على فعل الجزاء فتكون مبنية على البدل منه كما هي الحال في المثال التالي:

(17) متى تأتنا، تُلممْ بنا، تجد أخاك.

تأتنا = تلممْ بنا.

إن الفعل الواقع بين الجزاء وجوابه هو بدل من الجزاء، والبدل بمنـزلة المبدل منه نحوياً ودلالياً. ومن المفترض أن اسم الجزاء متى (الظرفي- الزماني) انتقل بقاعدة تحويلية من التركيب (تأتينا أنت متى) إلى مقدمة التركيب (متى تأتنا.....) بعد أن عمل فيه فعل الجزاء ومنحه صفة النصب وصفة الزمن. أضف إلى ذلك أن هناك تطابقاً بين الضمائر الواقعة في الجزاء والبدل والجواب.

5 نتائج البحث

هذه الحقائق تقودنا إلى معضلة صعبة تتمثل في هذه الأسئلة:

هل نستطيع أن نضع فرضية سيبويه في الجزاء وجوابه

ضمن إطار النحو العالمي لتشومسكي؟ أم هل نستطيع استثمار النحو العالمي لتطوير النظرية النحوية التراثية؟

ولكن السؤال الذي يبدو منطقيا وبعيداً عن العاطفة هو هذا:

هل استطاع تشومسكي في نظريته التوليدية والتحويلية التي امتدت منذ عام 1957 حتى الآن أن يقترب من جوهر التحليل النحوي العربي ويدعم بالتالي تحليلات الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه؟

بعيداً عن أية نزعة قومية أو دينية نستطيع أن نقول مطمئنين ومن نزعة علمية خالصة أن تشومسكي وبعد حوالي أربعين سنة من العمل على نظرية النحو العالمي (Universal Grammar) استطاع أن يتوصل إلى ما كان قد توصل إليه الخليل وسيبويه حول فرضية العمل والربط (G.B. Theory). وهذا ما ألمح إليه تشومسكي نفسه في مظان مختلفة من كتاباته وحواراته[6].

وينبغي ألا ننسى أن ذهنية الخليل هي ذهنية رياضية استثمرها في الدراسة النحوية والموسيقية والعروضية والمعجمية.

ولكن علينا أن نعترف من جهة أخرى أن هذه النتيجة خطيرة وتأتي خطورتها من أنها نسبية تبقى خاضعة للدرس والاستقصاء والتمحيص المستمر. ولا يمكن أن تصبح هذه النتيجة مؤكدة إلاّ باستقراء الافتراضات اللسانية واستنباطها تلك الافتراضات التي كان قد بناها الخليل وسيبويه وكل من تبعهما في إطار المدرسة الخليلية القديمة والحديثة. وليست فرضية الجزاء إلاّ غيضاً من فيض فرضيات كثيرة شكلت مناهج مختلفة أدت إلى بلورة النظرية النحوية العربية.

على أية حال، ومن منطلق الأمانة العلمية، لا يمكننا إلاّ أن نعترف بأن التحليل اللساني عند تشومسكي ومن سار على نهجه كان قد بُني وأسس على حقول معرفية متنوعة كالفلسفة والرياضيات والفيزياء والهندسة الحاسوبية-المعلوماتية والبيولوجيا وعلم النفس...الخ. فقد كانت هذه الحقول المعرفية جميعها عوناً لتشومسكي لكي يكشف ما لم يكن بالإمكان اكتشافه في اللغة من قبل.

من هنا تأتي أهمية استفادة الباحث العربي المعاصر من تقنية التحليل اللساني الغربي الحديث. وهذا يعني أنه يمكن للنظرية النحوية العربية أن تتطور من خلال فهمها وهضمها لمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة وبالتالي الاستفادة من هذه المعطيات واستثمارها في خدمة اللغة العربية. وبهذا نكون قد أخذنا بمبدأ مهم جداً في بناء النظريات العلمية هو **مبدأ تراكمية العلم** الذي يعني أن الحديث لا بد أن يفهم القديم من أجل أن يتجاوزه إلى ما هو أنفع وأجدى في حركة الحضارة الإنسانية الدائبة (7).

ويبدو لي أن هذا الحل هو المخرج المناسب من هذه المعضلة أي استفادة النحو العربي من معطيات التقنية اللسانية الحديثة من أجل أن يتشكل من الداخل تشكلا يمكنه من بلورة نظرية نحوية عربية حديثة تكون أكثر نفعاً لخدمة اللغة العربية وهي على مشارف القرن الواحد والعشرين. والله أعلم.

---

[6] - انظر مثلا الحوار الذي أجراه صاحب هذه السطور مع تشومسكي والمنشور في مجلة اللسانيات، العدد (6) ، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر (1982) .

- وانظر أيضاً هذا الحوار وحوارات أخرى مع أندريه مارتينه في كتابنا: دراسات لسانية تطبيقية (الفصل الرابع)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق (1989).

- وانظر أيضا هذا الحوار في مجلة علوم التربية، دورية مغربية محكمة نصف سنوية، العدد (11) (1996) ، رئيس تحريرها أحمد أوزي. كلية التربية، جامعة الملك محمد الخامس، الرباط.

[7] لمزيد من التفصيل حول بناء النظريات العلمية ومفهوم تراكمية العلم يفضل الرجوع إلى:

(a) Woodger,J.(1970) The Technique of Theory Construction. The University of Chicago Press. U.S.A.

(b) Khun, T. (1970) The Structure of Scientific Revolutions. The University of Chicago Press. U.S.A.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية تحت عنوان:

بنية الثورات العلمية، تأليف توماس كون، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد (184) ، ديسمبر (1992)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

ثبت المصادر و المراجع

أ. المصادر والمراجع العربية

(1) ابن عصفور (ت663 هـ) ضرائر الشعر تحقيق السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس. بيروت 1983.

(2) ابن قيم الجوزية (ت751 هـ) بدائع الفوائد- المجلد الأول. دار الخير دمشق1994

(3) ابن هشام (ت761 هـ) مغني اللبيب. الجزء الثاني. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر 1969.

(4) ابن يعيش (ت 643 هـ) شرح المفصل. المجلد الأول. طبعة عالم الكتب بيروت (بلا تاريخ).

(5) الجرجاني (ت 471 هـ) الجمل. حققه وقدم له علي حيدر دمشق 1972.

(6) الحاج صالح، عبد الرحمن (1994) "الجملة في كتاب سيبويه" ندوة النحو والصرف المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دمشق، سورية.

(7) الزمخشري (ت538 هـ) المفصل في علم اللغة. مطبعة التقدم بمصر 1323 هـ.

(8) سيبويه (ت180 هـ) كتاب سيبويه. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت 1966 .

(9) الشمسان، أبو أوس إبراهيم (1981) الجملة الشرطية عند النحاة العرب مطبعة الدجوي. القاهرة. الطبعة الأولى.

(10) الوعر، مازن 1987 نحو نظرية عربية لسانية حديثة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق.

ب- المصادر والمراجع الغربية

(1) Chafe, W (1970) Meaning and the structure of language. Chicago: University of Chicago press.

(2) Chomsky, N (1957) Syntactic Structures. Mouton.

(3) Chomsky, N (1965) Aspects of the Theory of Syntax. M.I.T. press

(4) Chomsky, N (1981) Lectures on Government and Binding. Foris publications.

(5) Chomsky, N (1977) "On WH. Movement" in Wasow, Culicover and Akmajian, eds. Formal Syntax.

(6) Cook, W.A. (1973) "Case grammar and Generative semantics" in Working papers on Languages and Linguistics. Georgetown University Press. Washington D.C.

(7) Franz, Donald (1974) Generative Semantics : An Introduction. Bloomington : Indiana University Linguistic Club.

(8) Khun, T (1970) The Structure of Scientific Revolutions. The University of Chicago press, U.S.A.

(9) Knog I.L - Joo (1994) "Some Remarks on Sibawayhi and AL- Kitab". AL-Lissan AL-Arabi No 38 ALECSO - Morocco.

(10) Mc Cawley, J (1976) Grammar and Meaning. New York Acadimic Press.

(11) Woodger, J (1970) The Technique of Theory Construction. The University of Chicago Press U.S.A.

مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه

عبد الحميد زاهيد (*)

مقدمة

يظل مفهوم الجهر والهمس لغزاً من ألغاز سيبويه. والدليل على ذلك أن الذين أتوا من بعده اكتفوا بترداد التعابير الواردة عنده، دون إضافة جوهرية تحل التعقيد.

يبحث هذا البحث في مفهوم الجهر والهمس في التراث الصوتي العربي عموماً. **ولكن ورود** سيبويه في العنوان، على سبيل التقييد فقط فسيبويه أول من تعرض للجهر والهمس، كصفة من صفات الحروف. فكان له فضل السبق في ذلك. ثم إن الخليل- حسب اطلاعي- لم يتعرض لهما في كتابه العين. فالنتائج التي سوف نتوصل لها في هذا البحث ليست متعلقة فقط بسيبويه، بل بمفهوم الجهر والهمس عند العرب عموما.

الجهر والهمس عند سيبويه/المبرد/ ابن يعيش/ الاستربادي/ التهانوي.

الحروف المجهورة هي: الهمزة، الألف، العين، الغين، القاف، الجيم الياء،الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، الزاي،الظاء، الذال، الباء، الميم، الواو.

أما الحروف المهموسة فهي:الهاء،الحاء، الخاء، الشين، السين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء.

وفي ما يلي تعريف الجهر والهمس في الجدولين الآتيين:

تعريف الجهر

سيبويه 180هـ	المبرد 285هـ	ابن يعيش 643هـ	الاستربادي 686هـ	التهانوي (1158هـ)
فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت الكتاب ج4- ص 434	ومنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها وهي المجهورة. المقتضب ج1ص: 193	والجهرإشباع الاعتماد من مخرج الحرف ومنع النفس أن يجري معه. شرح المفصل ج 10 ص: 128.	ففي المجهورة (ترى الصوت يجري ولا ينقطع ولا يجري النفس إلابعد انقطاع الاعتماد وسكون الصوت، وأما مع الصوت فلا يجري ذلك لأن النفس الخارج من الصدر وهو مركب الصوت يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف إذ الاعتماد على موضع من الحلق والفم يحبس النفس وإن لم يكن هناك صوت، وإنما يجري النفس إذا ضعف الاعتماد. شرح شافية ابن الحاجب	ففي المجهورة يشبع الاعتماد في موضعه، فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت. والجهر هو ارتفاع الصوت فسميت بها... فالمجهورة ما ينحصر جري النفس مع تحركه. كتاب كشاف اصطلاحات الفنون. ج1 ص: 321

(*) كلية الآداب — جامعة القاضي عياض

تعريف الهمس

سيبويه 180هـ	المبرد 285هـ	ابن يعيش 643هـ	الاستراباذي 686هـ	التهانوي (1158هـ)
وأما المهموس: فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. الكتاب ج 4 – ص 434	ومنها حروف إذا رددتها في اللسان جرى معها الصوت وهي المهموسة المقتضب ج 1 ص : 193	والهمس بخلافه، والذي يتعرف به تباينهما أنك إذا كررت القاف فقلت قَقَقَ، وجدت النفس محصوراً لا تحس معها بشيء منه وتردد الكاف فتجد النفس مقاوداً له ومساوقاً لصوتها. شرح المفصل ج 10 ص: 128.	وأما المهموسة فإنك إذا كررتها مع إشباع الحركة أو بدونه فإن جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس فيخرج النفس ويجري كما يجري الصوت بها نحو كَكَكَ فالقاف والكاف قريبا المخرج ورأيت كيف كان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا. شرح شافية ابن الحاجب ج 3 ص 259/258.	وكذا الحال في المهموسة لأنه بسبب ضعف الاعتماد يحصل الهمس وهو الإخفاء... والمهموسة بخلافها أي في ما لا ينحصر جري النفس مع تحركه. كتاب كشاف اصطلاحات الفنون. ج1 ص: 321

عرضنا في الجدولين السابقين، تعاريف الجهر والهمس ابتداءً من سيبويه وحتى التهانوي، أي ابتداءً من القرن الثاني وحتى القرن الثاني عشر. نلاحظ أن هذه التعاريف تكرر دائماً نفس الألفاظ، (إشباع الاعتماد، ضعف الاعتماد، منع النفس، جريان النفس.) وهي نفس الألفاظ التي وردت أصلاً عند سيبويه، وكررت على مدى قرون متلاحقة. إلا أن المبرد لا يسير في اتجاه سيبويه وابن يعيش وغيرهما. حيث يستبدل كلمة (الصوت) بكلمة (النفس) . فالمجهورة عنده هي التي (يرتدع الصوت فيها) أي يكف وينحبس، والمهموسة هي التي (يجري معها الصوت). فالجهر إذاً: منع الصوت. والهمس جريان الصوت. عكس التعاريف الأخرى التي تعتبر الجهر منع النفس مع جريان الصوت، والهمس جريان النفس مع جريان الصوت، ويبدو لي أن استبدال المبرد (للصوت) ب (النفس) استبدال غير سليم، لأننا إذا تأملنا نطقنا للكاف والقاف مكررتين وجدناهما رغم اختلافهما في الجهر والهمس، يجري فيهما الصوت معا مع جري النفس في الكاف وعدم جريه في القاف. وذلك لأن الصوت شيء، والنفس شيء آخر.

وقد ميز ابن جني تمييزاً واضحاً بينهما في سر صناعة الإعراب بقوله: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا" [1]. فالصوت إذا تشكل للنفس، وأينما عرض لهذا الصوت عارض منعه من الاستمرار سمي هذا الصوت حرفاً.

ورد عند سيبويه فرق آخر بين المجهورة والمهموسة وذكره الإستراباذي في شرح شافية ابن الحاجب قائلاً: "والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم وذلك مما يرخي الصوت فيخرج الصوت من الفم ضعيفاً [2]".ولنا عودة مع هذا الفرق عند حديثنا لشرح المحدثين للجهر والهمس.

أما كيفية التمييز بين المجهورة والمهموسة، فقد وضحها الإستراباذي بشكل واضح في قوله: "وتمتحن المجهورة بأن تكررها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة رفعت صوتك بها أو أخفيته،سواء أشبعت الحركات حتى تتولد الحروف، نحو قا قا قا و قو قو قو و قي قي قي، أو لم تشبعها نحو ققق، فإنك ترى الصوت يجري ولا ينقطع، ولا يجري النفس إلا بعد انقطاع الاعتماد وسكون الصوت وأما مع الصوت فلا يجري ذلك، لأن النفس الخارج من الصدر- وهو مركب الصوت- يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف، إذ الاعتماد على موضع من الحلق والفم يحبس النفس، وإن لم يكن هناك صوت، وإنما يجري النفس إذا ضعف الاعتماد" [3].

إذا فطريقة امتحان المجهورة من المهموسة، أن توردها متحركة إما بفتح أو ضم أو كسر، كانت قصاراً أو طوالاً. فإنك تلاحظ في المجهورة جري الصوت بلا نفس، وذلك لشدة الاعتماد في موضع الحرف. وفي المهموسة جري للصوت مع النفس. وذلك لضعف الاعتماد في مخرج الحرف. وطريقة الامتحان هاته، تشترط تكرير الحرف متحركاً في النطق "لأنك لو نطقت بواحد من المجهورة غير مكرر، فعقيب فراغك منه يجري النفس بلا فصل، فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده، فإذا تكرر وطال زمان الحرف ولم يخرج مع تلك الحروف المكررة نفس، عرفت أن النطق بالحروف هو الحابس للنفس، وإنما حركت الحروف لأن التكرير من دون الحركة محال"[4]. فهذا هو السر في امتحان الحرف حالة كونه مكرراً محركاً، فبالتكرير يتضح لنا مدى خروج النفس وعدم خروجه مع الصوت، لأنه في حالة نطق الحرف مفرداً يخرج النفس عند الانتهاء من النطق، فلا يتم التمييز إذا بين النفس الخارج نتيجة ضعف الاعتماد، والنفس الخارج نتيجة انتهاء النطق، أما كون الحرف محركاً، لأنه يستحيل تكرير الحرف حالة إسكانه فلزم التحريك للوصول إلى التكرير.

هذه ملاحظات حول تعريف الجهر والهمس وطريقة التمييز بينهما، لكن ماهيتهما تظل مضطربة، ليس فقط عند المحدثين بل عند القدماء أنفسهم. والمبرد مثال ذلك. وسنعرض فيما يلي آراء المحدثين والمستشرقين في مفهومي الجهر والهمس مذيلين ذلك برأي خاص لنا في هذا الموضوع.

مفهوم الجهر والهمس عند المحدثين :

أورد إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) شرحاً مستفيضاً لمفهوم الجهر والهمس عند سيبويه، وسايره في شرحه هذا عبد الصبور شاهين، في كتابه (أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي). ورد في تعريف سيبويه للجهر جملة (صوت الصدر)[5]، حيث علق عليها عبد الصبور شاهين مستنداً في ذلك على شرح إبراهيم أنيس قائلا: "وقد فسر أستاذنا أيضاً مدلول عبارة (صوت الصدر) الذي استخدمها سيبويه بأنه الصدى الذي نحس به ولاشك من الصدر، كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع، أو حين نضع الكف على الجبهة، فهو الرنين الذي نشعر به مع المجهورات، وسببه تلك الذبذبات التي في الحنجرة "[6].

إن تفسير (صوت الصدر) بالصدى الذي نحس به بسبب ذبذبات الحبال الصوتية تفسير غير سليم، وذلك لعدم وجود أي إشارة في كلام سيبويه تسير في الاتجاه الذي ذهب إليه إبراهيم أنيس وعبد الصبور شاهين. وأن هذا الصدى الذي تخلفه الحروف المجهورة لا نشعر به في الصدر، ولكن بوضع الأصبع في الأذن، أو الكف على الجبهة. يبدو لي أن المقصود بصوت الصدر في الحروف

المجهورة، أن شدة الاعتماد على مخرج الحرف توحي بأن الصوت خارج من الصدر،وذلك للضغط الذي نشعر به نتيجة توتر الأعضاء المنتجة للصوت. أما في المهموسة فنتيجة لضعف الاعتماد يضعف الضغط، وذلك لعدم توتر الأعضاء المنتجة للصوت. فنتخيل أن الصوت قد خرج من مخرجه دون أن يكون مصدره الصدر. وهذا يبدو لك واضحا إن نطقت كَكَكَ وقَقَقَ، والدليل على ذلك عدهم الهمزة "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع ". فالصدر ليس مخرجاً للهمزة ولكن من شدة الضغط على مخرجها من فتحة المزمار، نحس وكأنها نبرة من الصدر كما قال سيبويه.[7]

ورد أيضاً في تعريف سيبويه جملة (منع النفس)، وقد شرحها عبد الصبور شاهين بقوله: "وقد فسره أستاذنا (منع النفس) بأنه ناشىء عن اقتراب الوترين الصوتين أحدهما من الآخر، حتى ليكادان يسدان طريق التنفس "[8]. في هذا الشرح تناقض، فهناك منع النفس من جهة الذي يعني حقيقة منع الهواء من المرور، وهناك من جهة أخرى عبارة (حتى ليكادان يسدان طريق التنفس) التي تعني السماح للهواء بالمرور، هذا بالإضافة إلى أن اقتراب الوترين الصوتيين، لا يترتب عنهما منع الهواء من المرور، بقدر ما يترتب عنهما تذبذب لهذه الحبال.

إضافة إلى هذا،لا يمكننا الجمع بين عبارة سيبويه (منع) وعبارة أنيس وشاهين (يكاد)، فإما منع للهواء من المرور، أو سماح للهواء بالمرور. وبالتالي فيكاد لا يمكن أن نعوض بها كلمة منع.

لهذا يبدو لي أن (منع النفس) الواردة عند سيبويه ليست على مستوى الحبال الصوتية كما ورد عند أنيس وشاهين، لأنه إذا كان المنع على مستواهما، أنتجنا الصوت المعروف بالهمزة coup de glotte وإنما منع النفس من الخروج يكون على مستوى مخرج الصوت، وذلك لشدة الاعتماد عليه.

ورد أيضا في تعريف سيبويه قوله (إشباع الاعتماد)، ومعنى ذلك عند شاهين، "أن سيبويه يقصد ب (إشباع الاعتماد) أن للمجهور موضعين، موضعاً في الفم فهو مخرج الحرف، وموضعاً في الصدر هو مخرج الجهر، ولذا كان المجهور مشبعاً لقوة اعتماده بازدواجه، في حين كان المهموس ضعيفاً لأنه معتمد على موضع واحد هو مخرج الفم، والنفس جار معه دون احتباس "[9].

فشاهين يشرح كلام سيبويه مستخلصاً أن للمجهور مخرجين من الفم والصدر، وأن للمهموس مخرجاً واحداً من الفم.هذا التفسير لا يستقيم والمبادئ الأساسية في علم الأصوات، حيث إن مصدر الصوتين معاً، مجهوراً كان أم مهموسا هما الرئتان، حيث يندفع الهواء عبر القصبة الهوائية ثم الحنجرة فالحلق فالتجويف الفموي أو الأنفي وصولاً إلى الشفتين، ولابد للصوت المهموس الذي قيل عنه أنه يتشكل في الفم فقط من هواء يصعد من الرئة، لأنه لا صوت من غير هواء. إذا فكلا الصوتين مجهوراً كان أم مهموساً له مخرج واحد، وهذا المخرج يكون في نقطة ما انطلاقاً من فتحة المزمار وحتى الشفتين. أما الصوت ذو المخرجين هو ما يسمى في علم الأصوات ب (Affriqués) كما في TS و dZ أو كما نجد في الحروف المفخمة التي تتصف بها بعض اللغات السامية.

يبدو لي أن (إشباع الاعتماد) هو قوة الضغط على مخرج الحرف حال كونه مكرراً متحركاً بفتح أو ضم أو كسر، الشيء الذي ينتج عنه منع النفس. أما (ضعف الاعتماد) فهو ضعف الضغط على مخرج الحرف الشيء الذي ينتج عنه جري النفس.

ويختم إبراهيم أنيس تفسيره لمفهوم الجهر والهمس عند سيبويه قائلاً: "بهذا يكون سيبويه قد أحس مع المجهور والمهموس بما يحس به الدارسون للأصوات من المحدثين، دون أن يكون على علم بالناحية التشريحية من وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة مع بعض الأصوات"[10].

إن تفسير مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه بما هو معروف في علم الأصوات، أن الحروف المجهورة تنتج بذبذبات الحبال الصوتية. وأن المهموسة عكسها، تفسير مستبعد. فليس فقط سيبويه هو الذي يجهل هاته الحبال ودورها، بل القدماء عموماً. فإننا لا نعثر على ما يشير لهذه الحبال عند الشيخ الرئيس في كتابه القانون في الطب، وفي رسالته أسباب حدوث الحرف رغم درايته بالجانب التشريحي للجهاز الصوتي.

ويعود اكتشاف دور الحبال الصوتية في عملية التصويت إلى Frakas Kempelen وهو أول صوتي أوروبي له معلومات محددة حول دور الحبال الصوتية ودورها في التمييز بين المجهورة والمهموسة. وقد اخترع أيضاً الآلة المتكلمة (machine parlente)وقد نشر أعماله حول علم الأصوات الفيزيولوجي سنة 1790 معنونة ب - (Mechnisums des menschlichen Sprache) (ميكانيزمات اللغة الإنسانية). وتم طبع هذا الكتاب في فيينا (degen) والكتاب يحتوي على فصل يوضح فيه بالصور الحنجرة والحبال الصوتية ودورها في عملية التصويت.

مفهوم الجهر والهمس عند المستشرقين:

لم يكن مفهوم الجهر والهمس غامضا عند العرب فقط، بل نجد نفس الغموض عند المستشرقين المهتمين بالتراث اللغوي العربي. والدليل على هذا الغموض السائد حول هذين المفهومين، ما أورده (contineau, J) في كتابه (دروس في علم الأصوات العربية) حيث يقول: "وتحديد الجهر والهمس تحديد غامض يمكن التناقش في معناه، وقد قبل الباحثون (انظر شاده Schaade ص:13) مدة طويلة الفكرة القائلة بأن الحروف المجهورة هي الحروف التي نسميها Sonores (سنور) وأن الحروف المهموسة هي الحروف التي نسميها (Sourdes) (سورد)، إلا أن بعض الباحثين قد قاموا منذ بضع سنوات برد عنيف ضد هذه النظرية، أنظر غاردنير (Gairdner) (علماء الأصوات العرب) ص:243 -246 ، وبرفمان Bravman) (ص: 21-25"[11]. وكان contineau في بداية الأمر من الذين يعتبرون أن المقصود بالمجهورة والمهموسة عند العرب هو ما يعرف عند الغربيين ب- (Sonores sourdes)ولكنه غير رأيه في (d'une Esquisse) : phonologie de l'arabe classiqueحيث وضح أن العلاقة التي تحكم المجهور والمهموس هي علاقة ضغط (Pression) ،فهي حاضرة في الحروف المجهورة، وغائبة في الحروف المهموسة. وهذا الضغط نتيجة لتوتر الأعضاء المنتجة للصوت.[12]

و يعترضْ (Fleisch,1950) على (contineau.J) لتفسيره للحروف المجهورة ب (المضغوطة Préssés) والمهموسة بغير المضغوطة ، (Non Préssés) ،كما يعترض عليه أيضاً متسائلاً لو أن العرب كانوا فعلا يقصدون التمييز بين المجهور والمهموس من منظور الضغط لاختاروا تسميات توحي بهذا المعنى.

ويقترح تفسيراً أخر للجهر والهمس مؤكداً أن العرب لم يكونوا على دراية بدور الحبال الصوتية في عملية التصويت، وهو أن المجهورة عند العرب يقصد بها (Eclatentes)والمهموسة (Etouffeés) وتميزهم هذا

يضيفFleisch ، ينبني على معيار خارجي، وهو ذلك الانطباع الأكستيكي (Impression acoustique)الذي تشعر به الأذن عند سماع الصوت المجهور مقارنة مع الصوت المهموس[13].

يبدو لي أن تفسير و Contineau Fleisch تفسير لا يستوعب جميع العناصر الأساسية في التعريف الوارد عند سيبويه والذين أتوا من بعده، فإذا تأملنا تعريف سيبويه للمجهورة والمهموسة وجدناه يحتوي على عنصرين أساسيين، هما قوله في المجهورة (أشبع الاعتماد في موضعه) و (منع النفس)، وقوله في المهموسة (أضعف الاعتماد في موضعه)و(جري النفس)، إذا فالتعريف يحتوي على صفتين لا على صفة واحدة كما ورد عند Fleisch

Contineauلذا نقترح أن يتضمن شرح مصطلح الجهر والهمس صفتين، وذلك انطلاقاً من التعريف ذاته. فإشباع الاعتماد دلالة على توتر وضغط الأعضاء المنتجة للصوت، وضعف الاعتماد دلالة على ضعف ذلك التوتر والضغط. ومنع النفس دلالة على عدم تسرب الهواء وذلك نتيجة لإشباع الاعتماد. وجري النفس دلالة على تسرب الهواء، وذلك نتيجة لضعف الاعتماد. وبناءً على هذه المعطيات نقترح صفتين نفسر بهما مفهوم الجهر والهمس عند سيبويه. فالحروف المجهورة هي المضغوطة والمخنوقة مضغوطة لإشباع الاعتماد في مخرج الصوت، ومخنوقة لمنع النفس من الجريان .أما الحروف المهموسة فهي غير المضغوطة والمتنفسة،غير المضغوطة لضعف الاعتماد في مخرج الصوت، ومتنفسة لجريان النفس. ونوضح هذه الصفات في الجدول الآتي:

المجهورة		المهموسة	
(أشبع الاعتماد في موضعه) (منع النفس)	(مضغوطة) (مخنوقة)	(أضعف الاعتماد في موضعه) (جري النفس)	(غير مضغوطة) (متنفسة)

لا ضير إذا أن نحتفظ ب مصطلحي (الجهر والهمس) في تراثنا الصوتي الحديث، مؤكدين أن المقصود بهما عند القدماء، يخالف المقصود بهما عند المحدثين. فالعلاقة التي تحكمهما في التراث الصوتي القديم هي علاقة (ضغط وتنفس) وعند المحدثين حضور وغياب ذبذبات الحبال الصوتية.

المصادر والمراجع:

1- أنيس (إبراهيم):الأصوات اللغوية. الطبعة الخامسة1975 مكتبة الأنجلو المصرية.

2- التهانوى (محمد بن علي): كتاب كشاف اصطلاحات الفنون. دار صادر، بيروت.

3- ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ط 1، 1985 ، دار القلم دمشق.

4- سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون 1982، دار الجيل للطباعة.

5- الإستراباذي (رضي الدين):شرح شافية الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت.

6- شاهين (عبد الصبور): أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء. ط1 1987 ، مطبعة المدني.

7- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين. تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

8- كانتينو جون:دروس في علم أصوات العربية ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.1966

9- المبرد (محمد بن اليزيد): المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب بيروت.

10- ابن يعيش (يعيش بن علي،أبو البقاء):شرح المفصل- إدارة الطباعة المنيرية.

1- Etudes de phonétiques Arabe Imprimerie - Feilsch,H : 1- Cothotique 1949-1950 Beyronth

الحواشي

(1) سر صناعة الإعراب: ج 1ص 6.

(2) شرح شافية ابن الحاجب: ج 3 ص 258.

(3) نفسه: ج 3 ص 259/258.

(4) شرح شافية ابن الحاجب: ج 3 ص 259/258.

(5) راجع أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص 202.

(6) نفسه: ص 202.

(7) الكتاب ج 3ص548 راجع أيضا أسباب حدوث الحرف لابن سينا: الفصل الرابع، أسباب حدوث الهمزة

(8) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص 201.

(9) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ص 202.

(10) لأصوات اللغوية: س 162.

(11) دروس في علم أصوات العربية: ص 34.

12- Etude de phométique Arabe : p.233.

أهل اللــغــة ولــغــة الأهــــل

قراءة لنص الفارابي في تقييم لغات العرب

أ.د. حنا حداد [*]

يتعاور اللغويون والمهتمون برواية اللغة وتدارس قضاياها، نصاً يتصل بتقييم لغات القبائل العربية، ساقته المظان منسوباً لمن يدعى " أبو نصر الفارابي" ، هذه صورته:

" كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس. والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس وتميم وأسد. فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اُتُكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يُؤخذ عن حضري قط، ولا من سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم. فإنَّه لم يؤخذ: لا من لخم، ولا من جذام، ولا من مصر والقبط، ولا من قضاعة، ولا من غسان، ولا من إياد. فإن هؤلاء كانوا مجاورين لأهل الشام ومخالطين لهم، وكان أكثرهم نصارى يقرءون في صلواتهم بغير العربية.

ولا من تغلب والنمر. فإنَّهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، وكانوا أيضاً نصارى.

ولا من بكر.لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ومخالطين لهم.

ولا من عبد القيس. لأنهم كانوا سكان البحرين، مخالطين للهند والفرس.

ولا من أزد عمان. لمخالطتهم للهند والفرس.

ولا من أهل اليمن أصلاً. لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم ، ثم لمخالطتهم للفرس بعد أن لحق هؤلاء أنهم فيهم.

ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة.

ولا من ثقيف، وسكان الطائف. لمخالطتهم تجارة الأمم المقيمين عندهم.

ولا من حاضرة الحجاز. لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم.

والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيَّرها علماً وصناعةً،هم أهل الكوفة والبصرة فقط بين أمصار العرب. وكانت صنائع هؤلاء التي بها يعيشون الرعاية والصيد واللصوصية. وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدهم توحشاً وسَبُعيَّةً، وأمْنعهم جانباً، وأشدّهم حميَّةً، وأحبهم لأن يغلبوا وأن لا يُغلبوا، وأعسرهم (كذا) انقياداً للملوك، وأجفاهم أخلاقاً، وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة" (أ.هـــ).

ولأن هذا النص هو الأكمل في موضوعه من حيث التصريح بأسماء القبائل العربية التي يحتج بلغات بعضها، وبيان الأسباب التي حالت دون الاحتجاج بلغات بعضها

---

[*] جامعة اليرموك- المملكة الأردنية الهاشميـــــة

الآخر، فقد كثر الاستشهاد به، وتنوعت طرائق الاستفادة منه والاتكاء عليه، على الرغم مما يشو به من الاضطراب في بعض ألفاظه، ومما يعتريه من الشك في صحة نسبته. وقبل أن نلج إلى النص لمناقشة ما تضمّنه من أحكام، لا بد من معرفة صاحبه والكشف عن شخصيته، لنرى إلى أي مدى يمكن الاطمئنان إليه، والوثوق بما جاء به. فمن هو "أبو نصر الفارابي" هذا؟وما مدى صحة نسبة هذا النص إليه؟

نقول بداءة: ظل كتابا السيوطي: "الاقتراح في علم أصول النحو" و "المزهر في علوم اللغة" المصدرين الوحيدين لهذا النص حتى نُشر الجزء المتبقي من كتاب " تذكرة النحاة" لأبي حيان الأندلسي [1]، وقد كان يظن أن هذا الكتاب من تراث أبي حيان المفقود [2]. فكان من حسن الطالع أن يتضمن هذا الجزء المتبقي من الكتاب نص أبي نصر الفارابي كاملاً، فحق من بعد أن تكون إشارة الباحثين إلى " تذكرة النحاة" لأبي حيان الأندلسي (654-745هـ) بوصفه أقدم مصنف احتفظ بهذا النص ونقله إلينا، لا إلى مصنفات السيوطي (ت 911هـ) التي وضعت بعد "تذكرة النحاة" بأكثر من قرن ونصف من الزمان.

وللحقيقة، فإن الإشارة إلى وجود هذا النص عند أبي حيان كانت معروفة للباحثين من عهد. ولكن، في مصنفين آخرين من مصنفاته هما : "التذييل والتكميل في شرح التسهيل" و "ارتشاف الضرب من لسان العرب". وهما مصنفان ما زال كل منهما في حكم المخطوط من تراث العربية [3]. أما الإشارة إليه في كتاب "التذييل والتكميل " فقد جاءت في كلام السيوطي الذي أثبته بعد أن ساق نص الفارابي السابق حين قال : "ونقل ذلك – أي النص– أبو حيان في شرح التسهيل معترضاً على ابن مالك حيث عني في كتبه بنقل لغة لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم، وقال: "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن" [4] وأما عن وجود النص في "إرتشاف الضرب" فقد جاءت الإشارة إليه في المقدمة [5] التي وضعها الدكتور أحمد مختار عمر محقق "ديوان الأدب" لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي. وبهذا يكون أبو حيان قد حفظ النص وساقه إلينا في ثلاثة من مصنفاته المشهورة وهي :"تذكرة النحاة" و "شرح التسهيل" و "ارتشاف الضرب".

ولمّا لم نقف على هذا النص عند عالم آخر قبل أبي حيان ولا عند غيره ممن جاءوا بعده حتى عصر السيوطي، فقد صار جائزاً أن يكون السيوطي قد نقل هذا النص عن واحد من مصنفات أبي حيان السالفة الذكر، ولا سيما إذا عرفنا أن النصين عند الرجلين متشابهان تقريباً، إلا في بعض الألفاظ التي لا تعني كبير شيء. والذي يؤكد هذا الذي نذهب إليه، أن السيوطي كان معجباً بأبي حيان إلى أبعد حد، متأثراً بفكره إلى أقصى غاية. فقد كان يلخص آراءه وينقل عنه ويتابعه ويتفق معه حتى صارت مصنفاته معرضاً لآراء أبي حيان ومستودعاً لفكره. وحتى صارت كتبه مصدراً رئيساً من المصادر التي احتفظت لنا بنصوص كثيرة من تراث أبي حيان:الموجود والمفقود. وإلى هذا يشير السيوطي [6] بقوله:"وله من التصانيف ...التذييل والتكميل في شرح التسهيل، مطول الارتشاف ومختصره. ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال. وعليهما اعتمدت في كتابي "جمع الجوامع".

ولهذا السبب، يسقط عندنا الاتهام الذي وجهه للسيوطي الدكتور محسن مهدي محقق كتاب "الحروف" لأبي نصر الفارابي عندما قال [7]: "يقول السيوطي: وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ

والحروف... والظاهر أن ما يأتي بعد هذه العبارة هو تلخيص ما قاله الفارابي مع أشياء أضافها السيوطي من عنده " فقد ثبت أن السيوطي كان أميناً على النص، صادقاً فيما نقله، على الرغم من إغفاله ذكر اسم المصدر الذي استقى النص منه، وليس ذا من عادته.

وبعد، فمن هو "أبو نصر الفارابي " صاحب هذا النص؟

أورد السيوطي هذا النص في كتابيه مُصَدَّراً بالكنية " أبو نصر" والنسبة لـــ "فاراب" فقال [8]: قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه... إلخ.

وقد جاء النص عند أبي حيان من قبل، مصدّراً بالكنية ذاتها والاسم الصريح والنسبة لـــ " فاراب" أيضاً،فقال [9]: " وجد بخط أبي نصر محمد بن محمد الفارابي كتاب صَنَعه وسمّاه كتاب الألفاظ والحروف ...إلخ".فالفارابي الذي ذكره السيوطي لا نعرف إلا كنيته. والفارابي الذي عناه أبو حيان هو أبو نصر محمد بن محمد أكبر فلاسفة العرب والمسلمين والذي عرف في التاريخ باسم "المعلم الثاني". وهو كذلك ، من عناه كل من صلاح الدين الصفدي [10] وابن أبي أصيبعة [11]. ولكن، هل يكفي هذا التصريح من هؤلاء العلماء بكنية الرجل واسمه ونسبته، حتى يتأكد عزو هذا النص إليه، وحتى نطرح ما يشكك بهذا العزو ؟.

الحقيقة، أن ثمة أموراً تستوقف الباحث وهو يحاول الوصول إلى رأي يطمئن إليه في هذه المسالة. فمصدر النص كما ذكر الذين ساقوه ، كان كتاباً باسم "الألفاظ والحروف". وقد ثبت أن للفارابي الفيلسوف كتابين، أحدهما باسم "الحروف" والثاني باسم "الألفاظ المستعملة في المنطق" و لا أثر للنص كما وصل إلينا في أي من الكتابين، باستثناء ما جاء من قول الفارابي في كتاب "الحروف "[12]: "وأنت تتبين ذلك متى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء فإن فيهم سكان البراري وسكان الأمصار. وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين . وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري دون أهل الحضر. ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشاً وجفاء وأبعدهم إذعاناً وانقياداً وهم: قيس وتميم وأسد وطيء ثم هذيل فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنهم لسان العرب والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر".

وهذا النص الذي تضمنه كتاب "الحروف" لأبي نصر الفارابي، يحمل في ثناياه- كما نلاحظ — روح النص موضوع البحث، ولكنه لا يتطابق معه تطابقاً تاماً أو قريباً منه، بحيث يجوز أن نقول إنه صورة له. أو إنه منقول عنه بتصرف. وعليه، صار من المؤكد أن النص المنسوب للفارابي ليس من أي الكتابين اللذين نشرا له. فهل كان وهماً من أبي حيان وتابعه السيوطي عليه عندما نسبا النص للرجل،وصرحا باسم مصدره الأم؟ أم أن ثمة كتاباً آخر لأبي نصر الفارابي غير هذين الكتابين يعرف باسم "الألفاظ والحروف"" ولكننا لا نعرف عنه شيئاً؟.

الذي يؤكده الدكتور محسن مهدي [13] محقق كتابي "الحروف" و "الألفاظ المستعملة في المنطق "أن كلا منهما كتاب مستقل بذاته. وأن كتاب "الألفاظ" يبحث في مواضيع لا يبحث فيها كتاب "الحروف". وأن كتاب "الحروف" يبحث في مواضيع لا يبحث فيها كتاب

"الألفاظ". وأن الأمر قد التبس على الذين عملوا فهارس كتب الفارابي دون الاطلاع على نصوص هذه الكتب، فجمعوا بين العنوانين".

أما افتراض وجود كتاب ثالث مستقل لأبي نصر الفارابي يحمل اسم "الألفاظ والحروف" غير هذين الكتابين المنشورين، فهو افتراض واهٍ لا يستند إلى ما يشجع على الأخذ به.

إذن، فالنص المنسوب لأبي نصر الفارابي الفيلسوف، ليس من أحد كتابيه المنشورين ولا هو من كتاب آخر له – فيما نظن- وليس هناك ما يقطع بصحة نسبته للرجل . فالشك قائم، ولسنا ملزمين من بعد، على الأخذ بقول كل من أبي حيان والسيوطي، كما أننا لسنا مجبرين على متابعتهما في هذا الوهم. فهل ثمة فارابي آخر يمكن أن يكون صاحب هذا النص؟ ومن هو؟

إن بعض الذين تعرضوا للنص وشغلتهم مادته بشكل ما، قد نسبوا كتاب "الألفاظ والحروف" الذي تضمن هذا النص لفارابي آخر هو الفارابي اللغوي أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب "ديوان الأدب" لا للفارابي أبي نصر محمد بن محمد الفيلسوف ومن هؤلاء ابن الطيب الفاسي المغربي(ت1170هـ) شارح كتاب "الاقتراح في علم أصول النحو"للسيوطي حيث قال(14):"قوله: قال أبو نصر...إلخ هو إسحق ابن إبراهيم صاحب ديوان الأدب في اللغة خال الجوهري صاحب الصحاح" وقد وافقه في هذا الدكتور إبراهيم أنيس (15). كما أن الدكتور أحمد مختار عمر محقق "ديوان الأدب" قد استبعد أن يكون الفارابي الفيلسوف هو مؤلف كتاب "الألفاظ والحروف" الذي اشتمل على النص، فنراه يقول(16): "ليس من المعقول أن يقوم بهذه الدراسة اللغوية الواعية غير لغوي متخصص "ولهذا فقد ارتضى أن يكون الفارابي اللغوي أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب "ديوان الأدب" هو صاحب كتاب " الألفاظ والحروف" وهو صاحب النص المعني، فقال (17): "ولذا، فنحن نرجح أن يكون هذا الكتاب للفارابي اللغوي وتكون نسبته للفيلسوف من قبيل خلط المؤرخين في مؤلفاتهما نتيجة لاشتراكهما في الاسم (كذا) وإذن فنحن نضيف "الألفاظ والحروف" إلى مؤلفات الفارابي"، ويقصد بهذا الفارابي اللغوي.

أما الدكتور صبحي الصالح فقد نسب الكتاب والنص معه للغوي المشهور أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب "الصحاح" فقال في تعريفه بأبي نصر الفارابي (18): " هو اللغوي المشهور، صاحب "الصحاح" المطبوع في أربعة مجلدات، واسمه إسماعيل بن حماد المعروف بالجوهري، أصله من فاراب وإليه ينسب أحياناً فيقال: (الفارابي)... ونقل السيوطي من كتابه "الألفاظ والحروف" في المزهر والاقتراح" . وإلى هذا أيضاً ذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي (19).

ثم كانت هناك طائفة من الباحثين والدارسين المعاصرين الذين ساقوا النص في مصنفاتهم واتكأوا عليه في بعض دراساتهم دون أن يعنيهم من يكون صاحبه من الفارابيين الثلاثة:

أهو الفارابي أبو نصر محمد بن محمد الفيلسوف المعروف بـــ" المعلم الثاني".

أم هو الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب " الصحاح".

أم هو الفارابي أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب "ديوان الأدب".

وقد عرفنا من هؤلاء الباحثين:

* الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه "نشأة النحو وتاريخ

أشهر النحاة".

* الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "بحوث ومقالات في اللغة".
* الشيخ محمد علي الدسوقي في كتابه "تهذيب الألفاظ العامية".
* المستشرق أوغست فيشر في كتابه "المعجم اللغوي التاريخي".
* الشيخ عبد الوهاب حمودة في كتابه "القراءات واللهجات".
*الدكتور عبد الراجحي في كتابه "اللهجات العربية في القراءات القرآنية"
*الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه "في أصول النحو"
* الدكتور مهدي المخزومي في كتابه "مدرسة الكوفة"
* الدكتور أحمد علم الدين الجندي في كتابه "اللهجات العربية في التراث".
* الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها "لغتنا والحياة".
* الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه "علم اللغة العربية".
*الأستاذ محمد حسين آل ياسين في كتابه : "الدراسات اللغوية عند العرب".
*الدكتور عبد الحميد الشلقاني في كتابه: "رواية اللغة".
*الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه : "المدارس النحوية، أسطورة وواقع".
*الدكتور محمد عيد في كتابيه: "الرواية والاستشهاد باللغة" و "المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر".

والذي نذهب إليه، أن كتاب "الألفاظ والحروف "هذا ومعه النص المعني، ليس لواحد من الفارابيين الثلاثة المعروفين لدينا لأنه مدفوع عنهم بما يلي:

أولاً: هو مدفوع عن الفارابي الفيلسوف بثلاثة أمور:

أ- أكد الذين نقلوا النص وحفظوه لنا، أنه من كتاب واحد يحمل اسم "الألفاظ والحروف".وليس للفارابي الفيلسوف - كما أثبت التحقيق — كتاب مستقل بهذا الاسم.

ب- قال الذين نقلوا النص إنه في أول كتاب "الألفاظ والحروف". والذي عثرنا عليه من الكلام القريب في معناه العام من النص المعني جاء في وسط كتاب "الحروف" وليس في أوله.

ج- لا أثر للنص كما أوردته المظان في أي من مصنفات الفارابي الفيلسوف.

ثانياً: هو مدفوع عن كل من الفارابي أبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب "ديوان العرب" والفارابي أبي نصر إسماعيل ابن حماد صاحب "الصحاح" بما يلي:

أ- إن النص كما حفظته المظان ونقلته إلينا، منسوب لفارابي كنيته "أبو نصر" وليست هذه كنية إسحق بن إبراهيم ولكن كنيته "أبو إبراهيم".

ب-إن النص نقل إلينا منسوباً لرجل اشتهر بـ "الفارابي" وليست هذه شهرة إسماعيل بن حماد التي عرف بها. ولكن شهرته "الجوهري".

ج- لم تذكر مصادر ترجمة الرجلين والتعريف بهما أن لأي منهما كتاباً باسم "الحروف" أو آخر باسم "الألفاظ والحروف" حتى نظن أن النص قد يكون من أحد الكتابين، ثم تثبت نسبته لواحد منهما.

ولهذا كله، فإننا نعتقد أن الكتاب الموسوم بـ: "الألفاظ والحروف" وفيه النص المعني هو لفارابي آخر

أغفلت ذكره المظان، وضنّت بأخباره المصادر، ولم يلتفت إليه المترجمون وكتاب السير فجهلناه . وما أكثر من جهلناهم من العلماء (!!)

عود إلى النص:

يتطابق نص الفارابي بهيئته التي ذكرها السيوطي في كتابيه: "المزهر" و " الاقتراح "مع النص كما ورد في كتاب "تذكرة النحاة" لأبي حيان تطابقاً لا يشوبه إلا بعض التصحيف والتحريف الذي نعتقد أنه من صُنْع النُسَّاخ على مر الأيام. أما الخلاف فيه عند الرجلين فهو في تقديمه. فقد قدمه أبو حيان بقوله: "وجد بخط أبي نصر محمد بن محمد الفارابي كتاب صنعه وسماه "الألفاظ والحروف" وكان أوله: كانت قريش... الخ. وقدمه السيوطي في الكتابين بقوله: "قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بـ "الألفاظ والحروف": كانت قريش ... إلخ. ولهذا فإني أعتقد أن السيوطي قد نقل هذا النص عن أحد مصنفات أبي حيان ولم يتصرف فيه. وفيما يلي ثبت باختلاف رواية النص في مصادره الثلاثة

الاقتراح	المزهر	تذكرة النحاة
*انتقاداً للأفصح	انتقاء للأفصح	انتقاء للأفصح
*وإبانة عما في النفس	وأبينها إبانة عما في النفس	وأبينها إبانة عما في النفس
*بلادهم التي تجاور سائر الأمم	بلادهم المجاورة لسائر الأمم	بلادهم التي تجاور سائر الأمم
*ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط	ولامن جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط	ولا من جذام ولا من مصر والقبط
*ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام	ولامن إياد لمجاورتهم أهل الشام	ولا من إياد فإن هؤلاء كانوا مجاورين لأهل الشام ومخالطين لهم .
* وأكثرهم نصارى يقرءون بغير العربية	وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية.	وأكثرهم نصارى يقرءون في صلواتهم بغير العربية
* ولا من تغلب ولا النمر	ولا من تغلب ولا اليمن.	ولا من تغلب والنمر
* مجاورين لليونانية	مجاورين لليونان	مجاورين لليونانية وكانوا أيضاً نصارى
* ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس	ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس	ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط و الفرس ومخالطين لهم.
* ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند.	ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لهم.	ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند.
ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم.	ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة.	ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ثم لمخالطتهم للفرس بعد أن لحق هؤلاء أنهم فيهم.
ولا من ثقيف وسكان الطائف	ولا من ثقيف وأهل الطائف	ولا من ثقيف وسكان الطائف
لمخالطتهم تجار الأمم	لمخالطتهم تجار اليمن	لمخالطتهم تجار الأمم
وأشدهم توحشاً		وأشدهم توحشاً و سبعيّة.

وبالنظر لأسماء القبائل التي تضمنها هذا النص، يظهر لنا أن جل ما نقله الرواة من اللغة وما ضمنوه مصنفاتهم منها كان عن : تميم وقيس وأسد وبعض كنانة

وبعض الطائيين. أما بقية قبائل العرب فقد، أكد النص أن الرواة قد أحجمت عن نقل لغاتها وكانت الحجة في ذلك أنهم عندما بدءوا ينقلون اللغة ويشافهون أهلها وجدوا لغات هذه القبائل فاسدة لأن جرثومة اللحن كانت قد تسربت إلى ألسنة أصحابها. ولهذا لم يأخذوا:

* لا من لخم ولا من جذام ولا من مصر والقبط [20](كذا) ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فإن هؤلاء كانوا مجاورين لأهل الشام ومخالطين لهم وكانوا أكثرهم نصارى يقرءون في صلواتهم بغير العربية.

* ولا من تغلب والنمر. فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية وكانوا أيضاً نصارى.

* و لا من بكر. لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ومخالطين لهم.

* ولامن عبد القيس، لأنهم كانو سكان البحرين، مخالطين للهند والفرس.

* ولامن أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس.

* ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ثم لمخالطتهم للفرس بعد أن لحق هؤلاء أنهم فيهم.

* ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة [21].

* ولا من ثقيف وسكان الطائف، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم.

وبهذا النهج، يكون علماء اللغة ورواتها – إن صح ما جاء في هذا النص– قد ضيقوا الخناق، وسدوا الفرج حين استثنوا لغات هذه القبائل المشهورة، وحصروا العربية السليمة في قبائل بأعينها فنقلوا عنها وهجروا ما عداها.

والذي نراه، أن هذا النص لا يمثل رأي علماء العربية بإجماع، ولا يعبر عما كانوا يأخذون به ويعملون بهدي منه وهم يجوبون الفيافي ويشافهون الأعراب لنقل اللغة وتدوينها. ودليلنا، هذا الاضطراب الواضح في آرائهم والاختلاف البين في تقييمهم لفصاحة القبائل وسلامة لغاتهم. فهذا بعضهم يقول[22]:

إن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة.

وبعضهم الآخر يقول [23]: الخزاعيون من أعرب الناس.

وآخر يقول [24]: إن جرما فصحاء العرب.

وآخر يقول [25]:أفصح العرب نصر قعين أو قعين نصر.

ومنهم من يقول([26]:أفصح العرب قريش وثقيف وهذيل.

كما قالوا [27]: أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس.

وقالوا [28]: أفصح الناس عجز هوازن.

وغير ذلك من الأقوال المتضاربة والآراء المتناقضة ، فضلاً عما نجده في معاجمهم الكبيرة ومصنفاتهم اللغوية المتنوعة من الإعجاب بلغات هذه القبائل التي استثناها النص والنقل عنها والاحتجاج بشعر شعرائها.

ولو تتبعنا المعايير الواردة في نص الفارابي السابق، والتي حُكم بموجبها على فساد لغات كثير من القبائل العربية المشهورة لوجدناها ثلاثة:

الأول: معيار التعبد بغير العربية.

الثاني: معيار الاختلاط بأمم غير عربية.

الثالث: معيار المجاورة لأمم غير عربية.

ولكن، هل كانت هذه المعايير منصفة للقبائل العربية؟ وهل كانت حقا دستور عمل العلماء في جمع اللغة والحكم على أصحابها؟

الذي يستفاد من الطرائق غير المنظمة التي جمعت بها

اللغة، ومن موقف بعض العلماء المسبق من هذه القبائل، أن الحكم بهذه المعايير لم يكن منصفاً وأن الهوى والتعصب قد اختلطا مع هذه المعايير واشتركا في توجيه كثير من الأحكام المجحفة بحق لغات بعض هذه القبائل. فالتعبد بغير العربية مثلاً كان ذنباً أخذت بجريرته بعض القبائل العربية التي احتفظت بنصرانيتها بعد ظهور الإسلام إلى حين،فكان أن أحجم رواة اللغة عن الاهتمام بلغات هذه القبائل أو الالتفات إليها مثل: قضاعة وتغلب وغسان وإياد وغيرها. فان قيل: ألم تك هذه القبائل النصرانية تتعبد بغير العربية- إن صح هذا- قبل ظهور الإسلام؟ فلماذا كان شعر هذه القبائل حينذاك حجة ولغتها مبرأة من كل عيب؟ لم تكن هناك إجابة شافية.

وإذا قيل: هل يعني تعبد الإنسان في صلاته بلغة غير لغته الأم كما هي الحال الآن عند الأتراك والفرس والباكستانيين والهنود والصينيين وغيرهم، مدعاة لفساد سلائقهم اللغوية الموروثة، ومبرراً لاضطراب ألسنتهم الأصلية؟ لا تكون هناك إجابة مقنعة.

ثم، ألم يكن من هذه القبائل التي تتعبد في صلواتها بغير العربية شعراء أفذاذ طبقت شهرتهم الآفاق وكانوا نجوماً في سماء الشعر العربي في الجاهلية والإسلام ، يحتج الناس بأشعارهم ويفسرون بها ما أشكل عليهم من غريب القرآن الكريم والحديث الشريف؟

أليس أمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وأبو دؤاد الإيادي وعمرو بن كلثوم ومهلهل بن ربيعة وعدي بن الرعلاء وجابر بن حني والأخطل والقطامي وهدبة بن الخشرم وكعب بن جعيل ويزيد بن الحكم. أليسوا هؤلاء الصوى في عالم الشعر العربي من هذه القبائل التي تتعبد في صلواتها بغير العربية؟ فلماذا لم تعد لغات قبائلهم حجة؟ ولماذا رغب الرواة عن هذه اللغات؟

إن الذي نراه أن تعبد بعض القبائل في صلواتها بغير العربية ليس مسوغاً مقنعاً لرفض لغات هذه القبائل ولا هو مدعاة لفساد ألسنتها، إذ لو كان الأمر كذلك لفسدت العربية معظمها لأن كثيراً من العرب كان إلى فترة قريبة من عصر جمع اللغة وتدوينها ممن يدينون بالنصرانية أو اليهودية ويقرءون في صلواتهم — إن صح هذا — بغير العربية.

فإذا انتقلنا إلى المعيارين الآخرين، وهما: الاختلاط بأمم غير عربية أو بمجاورة هذه الأمم، وجدنا رواة اللغة في عصر جمع اللغة وتدوينها قد توقفوا عند القبائل العربية حيث صادفوها بعد الإسلام فطبقوا على لغاتها هذين المعيارين وكأن القبائل التي وجدوها وقتئذ مجاورة للنبط والفرس أو الروم والقبط أو الهند والحبشة، كانت مجاورة لها منذ أن كانت على هذه البسيطة. وقد نسوا أن هذه القبائل كانت ذات يوم في أماكن أخرى غير التي وجدوها فيها. فالقبيلة من هذه القبائل في أدنى الجزيرة العربية يوماً وفي أقصاها يوماً آخر وفي وسطها يوماً ثالثاً. كما تناسى هؤلاء الرواة أن ما حلت به هذه القبيلة من الأرض حينا، كان يوماً سكنا لغيرها وسيكون يوماً مرابع لأخرى من بعدها. فقد حدثنا الإخباريون أن تهامة مع الجبال المطلة عليها من أقصى الشمال الغربي للجزيرة العربية إلى أقصى جنوبها كانت موطناً للغالبية العظمى من القبائل العربية، ولكن الحروب الدامية المملة التي كانت تستعر في هذه المنطقة أدت إلى رحيل كثير من القبائل عنها، وتوزعها على أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية. فمنها من اتجه إلى الشمال فسكن العراق وبادية الشام وجاور بذلك الروم والفرس. ومنها من اتجه إلى الشرق فسكن البحرين وعمان فجاور بذلك الهند. ومنها من اتجه إلى الجنوب ليستقر ثانية في اليمن التي كان فيها فجاور بذلك الحبشة.

كما روى الإخباريون أن عبد القيس كانوا في الأصل بتهامة ثم ارتحلوا عنها بسبب الحروب التي وقعت بين أبناء ربيعة فذهبوا إلى البحرين وتغلبوا على من كان قد سكن فيها قبلهم من إياد وبكر بن وائل وتميم [29]. وإن تغلب تركت ديارها في الجزيرة العربية وارتحلت إلى الشمال فسكنت العراق وبادية الشام واتصلت بحكم منازلها بالغساسنة والمناذرة وبالروم والفرس [30] وإن كلبا كانت مساكنها السماوة ولا يخاط بطونها في السماوة احد [31] ولكنها في الجاهلية كانت تسكن دومة الجندل وتبوك من أطراف الشام [32] وإن العقيليين كانت مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب، وغير ذلك. وفضلاً عن هذه المعايير المتهافته التي ذكرها صاحب النص السابق، نجده يقرر أن اللغويين لم ينقلوا اللغة من تغلب أو النمر لأنهم كما يقول: "كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان (أو اليونانية)". ونسأل،، أي يونان؟ وأية يونانية، تلك التي قصدها؟ وأية جزيرة هي التي أراد؟

إن كان صاحب النص يقصد بـــ "الجزيرة" جزيرة العرب، فإن جغرافية جزيرة العرب وحدودها ليست واضحة المعالم عنده. فعلى الرغم من أن الجغرافيين العرب لم يتفقوا على تعريف بعينه لجزيرتهم وما يحدها من جهاتها الأربع [33] إلا أن المستفاد مما أجمعوا عليه، أن هذه الجزيرة هي ذلك الجزء المحدود شمالاً بالعراق وبلاد الشام والمحاط بالمياه من جهاته الثلاث الباقية. ولم نجد من المؤرخين من قال إن الجنس اليوناني كان له حضور في هذا الجزء من العالم الإسلامي بالكم الذي يخشى من تأثيره على من يخالطه أو يسكن إلى جواره من القبائل العربية.

أما إذا قصد صاحب النص بـــ "الجزيرة" ما بين دجلة والفرات والموصل من أراضي العراق [34] — وهذا ما نعتقد أنه قصد إليه — فقد كان حقاً لليونانية حضور في هذه المنطقة . ولكن من سكن هذه المنطقة من القبائل العربية لم يرحل اللغويون إليها لنقل لغاتها وتدوينها، إذ إن رحلة هؤلاء العلماء انطلقت من المصرين جنوباً وغرباً إلى حيث بوادي العرب وفيافيهم الموحشة، لا إلى شمال العراق وبلاد الشام حيث كانت تسكن بعض القبائل العربية.وفي الحالين يكون كلام الفارابي بهذا الخصوص ضرباً من اللغو والفساد.

والذي يؤيد ما نذهب إليه من فساد هذه المعايير التي تضمنها نص الفارابي السابق، هو أن الرحلة إلى الجزيرة بغية نقل اللغة وتدوينها وحفظها لم تبدأ إلا في زمن متأخر من ظهور الإسلام وانتشاره، وهو زمن كان الدين الجديد قد انتشر في جزيرة العرب وتعداها إلى ما جاورها من الأمصار. وقد صاحب هذا الانتشار ثورة على كثير من العادات والتقاليد، وتغيير في كثير من الأعراف. فقد أخذ نشاط القبائل يتوجه مع هذا الدين الجديد إلى ما هو أبعد من إقامة الأحلاف ، وحضور الأسواق التجارية، والارتحال إلى مواطن أكثر أمناً، والتنافس على المواطن الأكثر خصباً، وإذكاء الحروب الطاحنة لأهون الأسباب. بدأ توجه هذه القبائل إلى الفتح والجهاد وإلى نشر الدعوة والدين الجديد بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً،فاختلط الحابل بالنابل والعربي بالعجمي ولم يعد مقبولاً أن يفاخر القيسي اليمني ولا أن ينافر الطائي العبسي فالكل سواسية ، والكل أخوة. ولهذا أصبح من الصعب على هذا الخليط من الناس أن يحافظ الواحد منهم على لغته بمعزل عن لغات إخوانه الذين يعيش بينهم. وأصبح من غير المعقول ألا تنسجم هذه المجموعة البشرية المختلفة الألوان والمشارب في نمط لغوي واحد يفهمه الجميع ويتحدثون به.

وهكذا، كان ظهور الإسلام وانتشاره سبباً في هذا التفاعل بين القبائل والخلط الحاصل بينها ومبرراً رئيساً لتداخل اللغات واللهجات بعضها ببعض. فالأسدي الفصيح أصبح في الإسلام أخاً للزنجي الذي لا يفصح، والتميمي الأفصح صار رفيقاً لمن يرتضخ لكنة أعجمية والكل سواء فهذا يحادث هذا بلغته. والآخر يسامر الآخر بلهجته، لا يشغلهم إلا ما اجتمعوا عليه من الإيمان بهذا الدين والرغبة الصادقة في نشره. فكيف بعد هذا يكون الحكم على انعزال هذه القبيلة أو ذلك الفرع؟ وكيف بعد هذا يمكن تصور أن بعض القبائل العربية ظلت بعد قرن وأكثر من ظهور الإسلام وانتشاره متقوقعة على نفسها، معزولة عمن سواها من القبائل العربية الأخرى والأجناس الأجنبية المجاورة.

وبعد، فالذي نذهب إليه أن نص الفارابي السابق في تقييم لغات القبائل العربية والحكم عليها من حيث السلامة والضعف أو الصحة والفساد لا يستند إلى معايير تقييمية صحيحة. ولا يقوم على أسس علمية مقنعة. فإذا أضفنا إلى هاتين النتيجتين ما أظهره النص من تعصب لبعض القبائل وتجن على بعضها الآخر، أصبح من غير الجائز الاطمئنان إلى هذا النص والوثوق بمجمل ما جاء فيه، بل أصبح واجباً ألا يلتفت إليه، وألا يوظف في أي دراسة.

الهوامش

1- حقق الدكتور عفيف عبد الرحمن هذا الجزء المتبقي من كتاب "تذكرة النحاة" لأبي حيان عن نسخة فريدة من محفوظات الخزانة العامة بالرباط ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت 1986م.

2- قالت الدكتورة خديجة الحديثي: كتاب "التذكرة" لأبي حيان ألفه في النحو وقد سمّاه بعضهم "التذكرة في العربية" ولا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب لأنه من كتب أبي حيان المفقودة.(انظر: أبو حيان النحوي للدكتورة خديجة الحديثي ص 166).

3- قلنا: "في حكم المخطوط من تراث العربية" لأنه لم ينشر من الكتابين إلا أجزاء متفرقة. وإن الذي نشر منها هو في الحقيقة بحاجة إلى تحقيق.

4- الاقتراح ص 20.

5- ديوان الأدب ص 8 نقلاً عن النسخة الخطية من ارتشاف الضرب ص 849. ونقول: في المكتبات الآن كتاب بعنوان "ارتشاف الضرب من لسان العرب" لأبي حيان الأندلسي حققه وعلق عليه الدكتور مصطفى أحمد النمّاس، الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة وقامت بنشره مطبعة المدني بالقاهرة سنة 1989م ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء كبيرة. وقد بحثت عن نص الفارابي في هذا الكتاب فلم أعثر له على أثر ، لذا فإننا أمام احتمالين:

الأول: أن الدكتور أحمد مختار عمر قد وهم في إشارته السابقة لوجود النص في "ارتشاف الضرب"

الثاني: أن الكتاب الذي بين أيدينا الآن إن هو إلا مختصر "ارتشاف الضرب" وليس الكتاب كاملا. وهذا ما نذهب إليه لأن "ارتشاف الضرب" كتاب كبير الحجم يعدل أضعاف الكتاب المنشور وقد رأيته مخطوطاً في دار الكتب المصرية ذات يوم واستفدت منه. كما يؤكد ما نذهب إليه، أن "ارتشاف الضرب" - كما ذكر معظم الذين ترجموا لأبي حيان -كتابان- : مطول ومختصر.

6- بغية الوعاة 282/1.

7- مقدمة كتاب الحروف ص 40.

8- الاقتراح ص 19 والمزهر 211/1.

9- تذكرة النحاة ص 573.

10- مقدمة ديوان الأدب ص 9، نقلاً عن "الوافي بالوفيات".

11- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 608.

12- كتاب الحروف ص 174.

13- كتاب الحروف / المقدمة ص 35.

14- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح ص 260.

15- انظر: مقدمة ديوان الأدب ص8.

16- المصدر السابق ص9.

17- المصدر السابق.

18- دراسات في فقه اللغة ص 112/هامش.

19- فقه اللغة ص 165.

20- في الرواية خلل، والصحيح ما جاء في الاقتراح: لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام ... الخ.

21- لم يحدد الفارابي السبب في عدم الأخذ عن بني حنيفة وسكان اليمامة (؟ !).

22- الصاحبي ص33.

23- اللسان "عنن" 104/12.

24- الفائق في غريب الحديث 459/2.

25- اللسان "قعن" 225/17..

26- مقدمة ابن خلدون ص 49.

27- المزهر 483/2.

28- المصدر نفسه.

29- تاريخ العرب 300/4.

30- المصدر السابق 306/4.

31- صفة جزيرة العرب ص 129.

32- قلائد الجمان ص 46.

33- انظر في الخلاف على تحديد جزيرة العرب: المعارف ص 566 وقلائد الجمان ص20.

34- المعارف ص 566.

المصادر والمراجع

* أبو حيان النحوي للدكتورة خديجة الحديثي، بغداد 1966م.
* الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين السيوطي، دار المعارف، حلب (د.ت).
* الألفاظ المستعملة في المنطق للفارابي، تحقيق: د. محسن مهدي، بيروت 1968م.
* إنباه الرواة للقفطي : تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. منشورات دار الكتب المصرية بالقاهرة 1970-1973م.
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، مطبعة الحلبي بالقاهرة 1964-1965م.
* تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1953-1958م.
* تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، بيروت 1986م.
* الحروف = كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق في بيروت 1970م.
* دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح، ط 6، منشورات دار العلم للملايين بيروت 1976م.
* ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة 1974م.
* الصاحبي لأحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، منشورات عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، طبعة مصورة (د.ت).
* صفة جزيرة العرب للهمذاني، ليدن 1384هـ.
* عيون الأنباء في طبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق الدكتور نزار رضى، بيروت 1965م.
* الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1945م.
* فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي، منشورات لجنة البيان العربي، ط5، القاهرة 1962م.
* فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح لابن الطيب الفاسي المغربي، رسالة ماجستير غير منشورة، إعداد: برهان محمد عبد القادر حسين، نسخة في مكتبتي الخاصة.
* قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان لأبي العباس القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، منشورات دار الكتب الحديثة بالقاهرة 1963م.
* لسان العرب لابن منظور الإفريقي ، مطبعة بولاق بالقاهرة 1308هـ.
* المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة الحلبي بالقاهرة 1958م.
* المعارف لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، ط2، منشورات دار المعارف بالقاهرة 1969م.

هل في العربية الفصيحة تنغيم؟

أ.د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان(*)

بات الدرس اللغوي العربي يذكر مصطلحات جديدة على أنها جزء من مادته و منهاجه. و إن تسامح الناس في الاصطلاح فإن لذلك ضوابط و أصولا يرجع إليها الباحث تجنبا للفوضى في تعدد ألفاظ المصطلح و تناقض المعنى بها [1]. و هو ما حرَص عليه العلماء في وضع المعجمات لكل علم من العلوم و المهن الفنية، بل اهتمامهم بتوحيد المصطلح العلمي، و ضبط استعماله،و إشاعته في شتى المرافق و المؤسسات.

و لذا فإن بين أيدي المثقفين و العلماء و طلاب العلم في مجال اللغة و بعض علومها عدة مصطلحات، بعضها جديد مستعار، لكل علم من علوم اللغة، والأصوات، والنحو و الصرف و البلاغة و الأساليب و الأدب والنقد. و إذا كان هذا شيئا بديهيا، ونتيجة من نتائج التطور التي شهدتها اللغة العربية و علومها بعد مضي أكثر من نصف قرن على صلة هذه الأمة بغيرها من الأمم الأخرى و لا سيما في مجال التعليم و الدراسة و الثقافة فلا بد للمعنيين أفرادا ومؤسسات من أن يجعلوا لذلك ضوابط و أصولا تحكم كل علم،توضح مادته،و ترسم منهاجه، و تحصر مصطلحه ، طلبا لدقة العلم و البحث و تحقيقا للنتائج المرجوة، ووصولا إلى الغاية و الغرض من كل ذلك.

و من تلك المصطلحات "التنغيم" بمفهومه و تعريفه في مثل اللغة الإنجليزية و الألمانية من حيث هو أصل من أصول الفهم و الإفهام عند المتكلمين بهاتين اللغتين، والكشف عن المراد بهذه العبارة أو تلك، و موافقته لما استقر في مثل هاتين اللغتين من سمات الكلام و استعمالهما، و هو ما سوف نرى أمثلة منه في موضعه من هذا البحث.

ثم إن أحد هؤلاء الباحثين المعدودين في الدرس اللغوي المعاصر يذكر هذا المصطلح كيف هو ماهية و استعمالا و مفهوما و غرضا، و يرصده في اللغة العامية المصرية، و يوضح كيف ينتفع به في التفريق بين المعاني، و ينص على اختلاف المراد في العبارة الواحدة. ثم يُنص نتيجة لبحثه في هذا المصطلح قوله[2]:" و كم يكون جميلا أن يهتم به دارسو الأدب و رجال النقد الأدبي، إذ هم بذلك يستطيعون الحكم على المعاني حكما صادقا، و من الواجب علينا أيضا أن نراعيه في تلاوة كتاب الله الكريم فنحن إن فعلنا ذلك سهل علينا فهمه و تذوق معانيه".

و معنى كلامه أن هذه الظاهرة اللغوية لم يكن أهل اللغة العربية و علماء النحو يدرسونها بين الظواهر اللغوية الأخرى. و معناه أيضا أن كل ما تم درسه من نصوص اللغة منذ بدأ الدرس اللغوي و علوم العربية أي منذ القرن الأول للهجرة الشريفة حتى زمن الباحث المذكور لم ينتفع بهذه الظاهرة، بل إن فهم النص العزيز من كل وجه مشافهة و كتابة منذ ذلك العهد البعيد غير واف، و مقصّر عن بلوغ الغاية التي لا تتوافر إلا بتطبيق هذه الظاهرة و الأخذ بأحكامها في دراسة النص.أليس هذا

(*) من المملكة الأردنية الهاشمية / عمان

مراد الباحث الكريم، أو أليس هذا هو المفهوم من نصه. ويلزم عن هذه النتيجة أو الفهم الذي يفيده النص كلام كثير يحوج إلى نقاش و خلاف، غير أني أحسب أن في عرض بعض ما يهم من التنغيم في مثل اللغة الإنجليزية مصطلحا و مفهوما و استعمالا في كلام المتحدثين بها ما يكشف عن حقيقة الأمر من حيث قيمة الظاهرة ووظيفتها في الكلام.

فالتنغيم في الإنجليزية صوت المتكلم على مختلف درجاته بحسب أصناف الجمل و التراكيب فيها، يكتسبه المتحدث بها طفلا إذا كان من أهلها،و يتصف صوته بالارتفاع و الانخفاض ، لغرض التعبير عن عدة تأثيرات ذات معان مرادة.

و هذا ما تفيده تعريفات هذه الظاهرة من نحو: القصد إلى معرفة درجة أنواع الكلام بالإنجليزية نغمة موسيقية[3] أو موسيقى اللغة بطريقة ارتفاع الصوت و انخفاضه عند التكلم أو درجة الصوت التي تمثل الجزء المهم فيه[4] و هي الموضحة في خصائص هذه الظاهرة من حيث المعنى المراد و تعيين الأغراض النحوية و المواقف النفسية و العاطفية في الكلام[5].

و يرجع التنغيم في الإنجليزية إلى صنفين من اللحن بحسب الكلام المؤكد و غير المؤكد. وهو في كل صنف درجات من الارتفاع و الانخفاض. و يبلغ عشرة أنواع في كل صنف منهما. و هو أكثر وضوحا في أسلوب السؤال و التعجب و الإنكار و الأمر. و أهل اللغة في جملتهم لا تشتبه عليهم إفادته مسموعا و مقروءا، لأن الصوت به في الكلام يحدث في موضع من السياق ليفيد المراد معنى و إفهاما بحسب أصناف الجمل و تأليفها.

فالتنغيم صوت مميز،يحدثه المتكلم في موضع من الكلام أولا أو آخرا أو في أثناء الكلام. فيكون الصوت منخفضا بعد ارتفاع أو العكس أو منخفضا أو مرتفعا. و تتفاوت درجة كل نوع تبعا للجملة و مضمونها،و تبعا لمراد المتكلم من كلامه،و تبعا للحال النفسية التي هو فيها أو التي يريد من مستمعه أن يكون عليها.

و يرتفع التنغيم بدءا بأول الكلام لعدة أغراض: تمام المعنى،و الانطباع بالمشاركة في أمر،و هو مسموع لخفته في الكلام اليومي في نحو السؤال:كم الوقت،أو في الإجابة :نعم، ممتاز،أُصدّق هذا بصعوبة. أو في الأوامر التي يشعر معها صاحبها بالقلق إزاء إجابة السامع أو إهماله نحو:هذا الشاي ساخن جدا،أو ضع مزيداً الحليب فيه. أو في التعجب نحو: يا للسماء أنا متأخر.

و يرجع التنغيم في الإنجليزية إلى قوانين [6] تحكمه، ويلزمها المتكلم من نحو تقسيم الجمل الطويلة إلى وحدات، وإرادة أغراض نحوية، وتوضيح موقفه ساعة تحدثه، وتقديم معلومات مهمة.

ولذا فإن استعمال نغمة صوت من لغة أخرى أثناء الحديث يسبب خطأ في المراد، ويوقع في الإشكال [7] وهذا يقطع بأن لكل لغة سمة ينتفع المتكلمون بها ولا تصلح للغة أخرى.

وأغلب مَنْ تحدث عن التنغيم في الدرس اللغوي الحديث من العرب لم يخالف في وصفه ولا مناقشته ولا تقريره ولا نتائجه. وهو ما يجده القارئ في ما كتب بالإنجليزية دون أي تباين [8]. ويحاول بعض الباحثين أن ينص على وجود هذه الظاهرة في فصيحة العربية، ويضرب لذلك مثلا من النص العزيز، بالرغم من أن بعض الدارسين للظاهرة يقطع بعدم وجودها على نحو ما هي عليه في الإنجليزية إلا من بعض الإشارة إلى ما يشبه ذلك. فأبو علي الفارسي مثلا يذكر أن الصوت في بعض الحروف أزيد منه في بعض،لكنه ينفي أن يكون ذلك سببا

في اختلاف الحرفين[9].

وفي كلام الأستاذ رمضان عبد التواب إحاطة بهذه الظاهرة وغيرها من عدة أوجه تاريخية ووصفية. فهو يذكر النبر من حيث وجوده في العربية القديمة وصفته في اللفظ، فينص على اختلاف العلماء، ويورد رأيا لبراجشتراسر ينفي فيه وجود النبر، ويصف بعض ما كانت عليه الفصيحة القديمة، لكنه يقرر أنه في اللهجات العربية الدارجة على تفاوت في درجة النبر أو الضغط. ويذكر رأي الأستاذ إبراهيم أنيس الذي يفيد فقدان الدليل على موضع النبر في الفصيحة القديمة إلا ما لا حظه مثل ابن جنّي كما سيأتي الكلام على مثله في موضعه. وأما براجشتراسر في حديثه عن التطور النحوي فإنه يخلص إلى ما ذكر الأستاذ رمضان من فقدان ما يدل على وجود هذه الظاهرة في الفصيحة، وإن نص على أن لكل لغة نغمة خاصة بها.

وهو يذكر أن اللغات متفاوتة في هذه الظاهرة. فهي واضحة في مثل الصينية وبعض اللهجات الألمانية، على حين أن الفرنسية اكتفت من الظاهرة بتتابع المقاطع فيها على سَويّة. وبعض اللغات الأخرى أضافت إلى التنغيم بعض ما يميز المقاطع قوة وضعفاً[10] وفي ذكره للضغط في العربية الفصيحة يقرر أنه نادر لكنه موجود في لهجات العربية الدارجة على اختلاف في ما بينها من حيث موضعه من الكلمة[11]. وينفي الأستاذ رمضان أن يكون القدماء تناولوا ظاهرة التنغيم أو عرفوا كنهه إلا بعض إشارات نادرة[12].

غير أن في كلام المرحوم مصطفى صادق الرافعي نصاً على هذا الجانب من حيث وصفه مادة الصوت اللغوي بأنها مظهر الانفعال النفسي، ومرجعه إلى تنويع الصوت، فيختلف في المسموع قوة أو ضعفاً أو بين بين بحسب الظواهر المذكورة في علم أصوات العربي، على مقادير تتناسب وما في النفس من أصولها، فيحدث من ذلك "بلاغة الصوت في لغة الموسيقى"[13] ويؤكد ذلك بأن جعل الكلام في تكوّنه وخروجه في أصوات مثل تصرف الحواس في إدراكه ودرجاته، وهو ما يشبه تصرّف النظر في إدراك الجمال وأسراره، أو السمع في تبين الصوت وحسن نغماته، ومرجعه تصرّف الحواس في كمالها العصبي، ويصف ذلك بأنه الكلام النفسي الذي يضيف إلى صفة المتكلم صفة البلاغة[14].

وبحثُ هذا الجانب في العربية أو في غيرها على تفاوت بين اللغات إنما يبدأ بأصوات حروفها مخارج وصفات. فلا بد أن يستوفي المتكلم أدنى حظ في مراعاة إخراج الحروف من مواضعها، فلا يقع الاشتراك بين حرفين أو أكثر مخرجها واحد أو قريبا المخرج كمثل اللام والراء والدال والتاء والضاد والظاء والذال والتاء والفاء والصاد والسين،وهو ما وقع ويقع فيه الاختلاف والتداخل. وكذلك أدنى قدر من مراعاة صفة الحرف أو أكثر، فلا يتبين الحرف من الآخر، ويستوي أو يقترب الحرفان أو الأحرف بتداخل الصفة أو فقدانها، كالإطباق والاستفال والتفخيم والترقيق والتفشي والجهر والشدة والقلقلة نحو: القاف والطاء والظاء والضاد واللام والراء والفاء والشين والجيم والدال والباء[15]. بيد أن هذا بنحو عام من شأن كل لغة، تجري مراعاته بحسب حاجة الناس إليه في مرافق حياتهم، وبحسب ثقافة كل طبقة منهم. وبالرغم من ذلك فلا تعد مراعاة أصوات اللغة على هذا النحو من قبيل المصطلح المذكور، لأن فقدان تلك المراعاة في حدها الأدنى تهدر اللغة واستعمالها وسيلة للاتصال بين المتكلمين بها. فإذا توافرت العناية واشتدت المراعاة، ولا سيما في تلاوة النص العزيز اقتدر القارئ أن

يتقن اللفظ بأصوات اللغة من مخارجها، ويعطيها صفاتها، أمكن أن يوصف ذلك بأن المسموع مستوفٍ للمطلوب أو قريبٌ منه في تلاوة كتاب الله تعالى، مما جاء النص عليه في نفس الكتاب الكريم [16]. وهذا ما يفصح عنه اللفظ في بنية معينة في سياق الكلام، نحو كلمة (ضيزى) في قوله عز وجل [17]: "أَلَكُم الذَكَرُ ولهُ الأنثى. تلك إذاً قِسمةٌ ضِيْزَى". وقد ذكر المرحوم الرافعي أنها كلمة غريبة اللفظ، تلائم غرابة قسمة المشركين، وتعرب عن استنكارهم لها [18] يريد كلمة (ضيزى) ومثله قوله تعالى [19] : "فلمّا جاءَ السَحَرةُ قالوا لفرعَونَ أئِنَ لنا لأجْراً إنْ كُنا نحنُ الغالبين" وقوله سبحانه [20]:"الآن وَقَد عَصَيْتَ قَبلُ وَكنت من المُفسِدين".

ومنه ما سُمّي واوَ الإنكار نحو:آلرَجلوه،بعد قول القائل:قام الرجل. وقد ردّها ابن هشام بكونها إشباعاً [21] وذكر ابن جنّي خبراً هو أن أحد العرب [22] " قيل له: أتخرجُ إلى البادية إن أخصبَتْ ؟ فقال: أنا إنِيَه" فجاء بـــ (إن) موصولة بياء وهاء السكت للدلالة على الإنكار.

ويقتصر هذا الجانب على صيغة الكلمة أو مجموع جذورها وغرابتها أو استيفاء حق صوت الحرف مخرجاً وصفة دون أن يفيد لفظاً أو معنى زائداً على ما في اللفظ وائتلاف العبارة[23] فقد نص ابن الجزري أن كل حرف شارك سواه في الصفات لا بد له من أن يمتاز عنه في المخرج نحو اشتراك الغين والخاء في المخرج وفي الرخاوة والاستعلاء والانفتاح صفات، وامتازت الغين بالجهر. واشتركت الطاء والدال والتاء في المخرج وفي الصفات شدة، وامتازت الطاء بصفة الإطباق والاستعلاء ، واشتركت مع الدال في الجهر صفة، وامتازت التاء بصفة الهمس واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال [24]. وهذا الجانب من اللغة يُعدّ أصل كثير من الظواهر اللغوية الأخرى التي رصدها علماء اللغة والقراءات والتجويد. فالمَدُّ والقَصْر والإدغام والإظهار والإخفاء والتَرقيق والتَفخيم والرَوْمُ والإشمام والوَقف والابتداء والإمالة والاختلاس والمَطْل والإعلال والإبدال إنما مرجعه إلى أمر مَخارج حروف هذه اللغة وصفاتها.

وتوشك أحرف العلة، أن تكون أكثر حظاً من هذه الظواهر وعلومها فالمَدُّ مثلاً من خواص أحرف العلة. وقد جاء في تعريفه أنه زيادة في مَطّ هذه الأحرف على مَدِّها الذي لا يقوم الحرف منها بغيره. ويكون لسبب في لفظ الكلمة وصيغتها من ساكن ومُشدَّد وصنف من الأحرف نحو: آدم أُوتي، أ أنذرتَهم، المِهاد، يا أيُها، الضالّون، دُعائي، إي وربّي ، النَبيّون. وهو ما تقصد إليه العرب تحقيقاً للمُبالغة . وإن كان هذا السبب أضعف من سابقه. ومنه مَدُّ التعظيم في قوله تعالى: " لا إله إلاّ الله " و " لا إله إلا هو" و "لا إله إلاّ أنتَ"، وهو مَدّ عُرف عند العرب ففي النداء والاستغاثة. ويكون المدّ بالمتابعة، والنقل في الرواية والاقتداء نحو ما نصَّ عليه ابن الجَزَري من حديثه أن رجلاً قرأ على ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله عزّ وجلّ: " إنّما الصَدَقاتُ لِلفُقراء والمَساكين "مُرْسَلَة . فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. فقال أقرأكَها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها "إنما الصَدقاتُ للفقراء والمساكين " فَمَدُّوها [25].

وهو عين ما ذكره ابن جني في نحو:جال، وعيد، وهيم، وكور، ويوم، وعماد، وجميل، وقبول. فهذه الحروف الألف والياء والواو، يطول اللفظ بها، وتتمكن مدها، إذا كانت ساكنة والحركة قبلها من جنسها، ووَلَيها همزة نحو: سماء، نداء، وهنيئة ، دفيئة، ومشنوء ، مخبوء. أو وَليها مُضعَّف نحو، شابَّه، دابّة، قُوصٌ به، تُمودّ ثوبُه. أو أريد تَذكُّر المفعول أو شبه الجملة نحو: مَضيا في

قولك : ضيفاك مَضيا إلى المدينة أو لقيا حسناً.وسألوا في : سألوا عنك أو سألوا أهلك. وأجْملي في: أجملي في الكلام أو أجملي اللقاء. ومَطلُها في التذكُّر يفيد أن المتكلم بها يتذكر شيئاً والأخذ بإطالة الصَوت بهذه الحروف يجعلها واضحة مع صوت الهمزة والمضعّف والساكن(26).

وتُمَدّ الألفُ في جملة النُدبة نحو: واقدساه ، وافلسطيناه أو يا قدساه، يا فلسطيناه، فالمَد في الألف حرف الندبة، والألف الأخيرة زيادة في معنى الندبة وتُستعمَل للتعجب نحو قول راجز من بني تَميم:

وابأبي أنت وفوك الأشنب

كأنّما ذُرَّ عليه الزَرنبُ

أو زنجبيلٌ وهو عندي أطيبُ

وتلحقها(ها) كما في قول رُؤبة بن العَجّاج:

واهاً لِسلمى ثُمّ واهاً واها

هيّ المُنى لو أنّنا نلْناها

ويجري التعجب بنحو:للّه درّه، ويا لَك صَديقاً،و وَيلَمّه رجُلاً، وقاتلَه اللّهُ من شاعر، ولا شُلّ عشرُه (27).

والوقف على المندوب يَذهب بصوتها ، فأُلحقت بها هاء حرصاً على صوتها، هي هاء السكت. فإذا وصل الكلام بالنَدْب سقطت الهاء. وتلحق هذه الهاء حرف العلة المتحرك بالفتحة لإظهارها نحو قوله تعالى : "وأمّا مَنْ أوتِيَ كِتابَه بشماله فيقولُ يا لَيتَني لم أوت كتابيَه. و لم أدرِ ما حِسابيَه. يا لَيتَها كانَت القاضِية. ما أغنى عنّي ما لِيَه. هلكَ عنّي سُلطانيَه" وقوله عزّ وجلّ: "فانظرْ إلى طعامك وشَرابك لم يَتَسنَّه " (28).

ومثل ذلك الواو والياء نحو" واذهاب أياميَه، واجاركَيَه ، واغلا مَكُموه، واغلا مَهموه وكذلك الاستغاثة بإطالة صوت حرف الألف في نحو: يا لَلرجال للأيتام، يا للأمانة.

ومما تدل عليه حال المتكلم في نطقه لهذه الأحرف نحو قولهم: سير عليه طويلُ، يريدون ليل طويل. وقول القائل يمدح آخر: كان واللهِ رجُلاً، بزيادة قوة اللفظ في اسم الجلالة. وقوله: سألناه فوجدناه إنساناً، بتَمْكين الصوت بإنسان وتَفخيمه، فيُستغنَى بذلك عن الوصف. وكذلك في الذم نحو قولك: إنساناً لئيماً أو لَحِزا مُبخّلا، وأنت تعبس وتُقطّب وجهك(29)وتوضيح ذلك في بعض عامّيّات اللغة العربية عند السؤال أو التَعجُّب أو الخبر الذي يحمل إثارة، كل ذلك في صوت المتكلم بألفاظه نحو سؤاله مُتعجباً: وين رايح. أو استخفائه بأمر:هذا هو ! أو إخباره بما يُهِم:الرجل الذي دعونا موقوف. أو تأكيده: واللهِ. حقيقة. وبعض اللهجات تختلف عن بعض في كثير منه.

وتُمدّ الحركة في حال التذكُّر حتى تَفي الحرف صوتاً نحو: جئتا، والمراد: جئت ، لمفرد المخاطب. المخاطبة تصبح ياء. وضمة إذا كانت للمتكلم : قمتو. وكذلك مطل الحركة على الحرف الساكن بعد تحريكه بالكسر نحو: قدي، في: قد قام، ومني وهلي ونعمي في: من، وهل، ونعم. وتحريك هذا الساكن بالكسر إجراء له مجرى حركة التقاء الساكنين، ولمن لغته الضم أو الفتح، لالتقاء الساكنين أن يضم أو يفتح (30).

وأرادت العرب أن تبيّن الحركة كيف كانت على آخر الكلمة إذا وقفت عليها نحو: نحمدُ ، حيثُ، بعدُ، زيدُ، فتأتي ببعض حركة الرفع إعرابا أو حركة الضم بناء، ونحو: من بيت، ليهدِ، وحينئذ، عليه، فتأتي ببعض الكسرة إعرابا وبناء، ونحو: زيد، في زيد الخير، وبدأ، عند، فتأتي ببعض الفتحة إعرابا وبناء. وهو ما يُسمى بالرَوْم، أي طلبُ الشيء. وهذا الجزء من الحركة يُسمع وقفاً.

وتأتي بحركة الضم وقفاً وبناءً صورة، وذلك بضَمّ الشَفتين إذا وقفت على نحو: نعبدُ، زيدُ، حيثُ، قبلُ، وهو مالا يُسمَع، ولا يَراه الأعمى. وهو ما يُسمَّى بالإشمام[31].

ومن تخفيف الحركة بلَفظها ضعيفة. وهو ما يُسمَّى بالاختلاس والإخفاء. وهو ما ذهبت إليه العرب من تَوالي الحركات في نحو قولهم: أراكَ مُنْتفْخا، بإسكان الفاء، ونحو قول العجّاج:

وبات مُنْتصْبا وما تكرْدسا.

فأسكن الصاد. والإتيان بالحركة في ذلك شيئاً قليلاً هو الاختلاس والإخفاء. ومنه قراءة أبي عمرو في رواية عنه نحو: يَنصرُكم، يأمرُهم، يشعرُكم، بارئكم[32] ببعض حركة الراء في هذا كله مِن ضَمّ وكَسْر[33].

وحرفا الراء واللام متقاربان مخرجاً. إذا وقعا في الكلمة، وقبلَهما نوعٌ من الحركات، وبعدهما نوع من الأحرف، جرى الصوتُ بهما على نحو مُعيَّن. وهو ما يُعرَف بالتَرقيق والتَغليظ. ومعنى التَرقيق جَعلُ الحرف نَحيفاً، والتَغليظ هو تَفخيم الحرف وتَعظيمه. ومن أمثلة تفخيم الراء نحو: قال رَبكم، رَزقكُم، فرَقنا، عرَفوا، مُحضراً،الحجَر. إذا كانت متحركة بالفتح أو قبلها فتحة أو ضَمّة وبعدها حرف مُستعمل.ومن أمثلتها مُرقّقة نحو: فِرعَون، مِرْية، قَدير، خَبير. وفي ذلك مذاهب للقراء واختيارات[34].

وتَفخيم اللام وتغليظُها للتعظيم في اسم الجلالة إذا كانت الحركة قبلَها فتحة أو ضمة نحو: اللهُ رَبّي، لا إله إلاّ الله، والعربُ غلّظتها إذا كان قبلها حرف إطباق وتابَعها على ذلك بعضُ القراء نحو: ظلَموا، الصَلاة، طلّقتم، وذلك ليعمل اللسان في الإطباق عملاً واحداً ، فإذا سبقتْها كَسرة أو كُسرت أو سَكنت أو ضُمّت، وإن كان قبلَها حرف إطباق رُقّقت نحو: بالله، في الله، لاسم الله، يظلم، يُصلي لَظلوم، فصَّلنا[35].

والألف التي في موضع العين من الكلمة أو لامها يلحقُها تغيير في نُطقها في بعض اللغات. وقد أُخذ بها في القراءة القُرآنية، لتصير قريبة من الياء، وذلك بشروط، منها: أن يكون أصل الألف الياء أو بدلاً من ياء أو ألفاً زائدة أو لأنها لا أصلَ لها في الواو أو أن أصلها الواو. فلمّا جُعلت قريبة من الياء وقبلَها كسرة مُقدَّرة وجب تغييرُها في اللفظ وذلك نحو: النار، النهار، البارئ، الجوار، عابد، الكافر، أنا آتيك، معزى، قُصارى، رَمى، سعى، يحيى، موسى، مجرى، لغرض بيان أصل الألف ومتابعة بعض لغات العرب[36].

والغنة صوت يُفهم سماعُه نُطقَ الأحرف التي تُسبّبه وهي النون الساكنة والتنوين إذا لَقيت بعض الأحرف كالراء واللام في كلمتين: رجلٌ رَباني، سعدٌ له، مِنَ الحق، وتَظهر الغُنّة مع اللام على مَذهب أهل النحو. وتَبقى الغُنّة تخرُج من مَوضِعها أي من الخياشيم إذا وَليَهما ميم: مِن حِراء، بعد ما، ويُدغمان كذلك في الواو والياء. ويظهرُ صوت الغُنّة في اللفظ بالمُشدّد.

وإذا لَقِي النون الساكنة والتنوين باءً في كلمة أو كلمتين فإنهما يقلبان ميماً نحو، عنبر، رجلٌ بعد آخر، أَنْبِئهم، وتبقى الغنَّة ظاهرة.

ويَليهما غيرُ حروف الحلق الستة وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، فتَخفَى، أي أنّ الحرفين النون الساكنة والتنوين يخفى كلّ منهما عندَ الحروف الباقية في نفسه. وتَبقى الغُنّة تخرُج من الخياشيم نحو: كُنتم، الأُنثى، قولاً ثقيلاً، مِن ذَهب. وعدةُ هذه الأحرف خمسة عشرَ. وهذا الإخفاء عند أئمة القُرّاء حال بين الإظهار والإدغام. وإذا وَلَيهما حروفُ الحَلْق أُظهِرا نحو:مِن إيمان، أنْهار، هارٍ جُرف، مِن حُكم[37].

ويكون الاستفهام بأحد حَرفيه:هل والهمزة، وبأسمائه: كيف وما ومن وأين ومتى وأنى وأيان. والاستفهام بالهمزة منفردة نحو [38]:

أغرّاءُ العَرادةُ أم بَهيمُ

ونحو [39]: أفَبَعد مَن وَلَدَت نُسيبةُ أشتَكي

ويليها الاسم أو الفعل بحسب الغرض من الاستفهام . وتفيد في ذلك السؤال لطلب التعيين أو طلب التصديق. وربما أفادت معنى آخر يفيده نظم العبارة كالتعجب والاستنكار والتقرير وغيره.ويكون الصوت بها كالصوت بغيرها من حروف الكلمة.ويكون بالهمزة بعدها همزة أو همزتان نحو:"أ أنذَرتَهم" و"أ آمَنتُم له"و"أئن لنا لأجرا"[40] وهذا في لفظ الهمزة واجتماع همزتين بحسب مذاهب القراء واختيارهم فيه. فمنهم من يقرأه بهمزة واحدة على الخبر، ومنهم من يقرأه بهمزتين على الاستفهام . ولا بد للمستفهم من أن يلفظ بصوت الهمزتين همزة واحدة ويمدّ ليفهم بذلك أنهما همزتان [41]

ويؤكد بالنون الثقيلة والخفيفة في فعلي المضارع والأمر،لتفيد معنى زائداً في العبارة نحو قول تأبط شرا[42]:

لَتَقرعَنّ عليَّ السِنَّ من نَدَمٍ

وقول سَلَمة بن الخُرشُب [43]

ولا تَكفُرَنْها لا فَلاحَ لِكافرِ

وقول عَبْد يَغوث بنِ وَقّاص [44]:

فَيا راكِباً إمّا عَرضْتَ فَبَلّغَنْ

وشواهد هذه الظاهرة كثيرة في النص العزيز نحو قوله جلّ وعز[45]،"وَلَتَجدنّهم أحرصَ الناسِ على حياة".

ومثل هذه النون التنوين الذي يثبت لفظاً لا خطّاً ، ويدُل على معنى الاسم المعرب المنصرف تمييزاً له من الاسم الممنوع من الصرف نحو: زيدٌ، لسعد، والاسم المعرفة فرقاً بينه وبين الاسم النكرة نحو: اذكر زُفَرَ و زُفَراً.

وكذلك اسم الفعل إذا أريد به التنكير نحو: مه، صه.

والأسماء: كل، بعض، أي، إذ، في نحو: لكلٍّ حظ، على بعضٍ، أيّاً رأيت، عندئذ، لتدُل على عِوض من محذوف هو المضاف إليه.وكذلك في صيغ منتهى الجمع نحو: عواد، جوارٍ، معالٍ، دواهٍ. وهو عِوض من الحرف المحذوف. ويدخُل في جمع المؤنث نحو، حافظاتٍ ، ماهراتٍ، ليكون مُقابلَ النون في جمع المُذكر السالم: حافظونَ، ماهرون [46].

ويلحق هذا التنوين الرويّ المُطلق نحو قول جرير:[47]

أقلّي اللّوم عاذِلَ والعِتابَن

وقولي إن أصَبتُ لَقد أصابَن

ونحو قول النابغة الذبياني:

لَمّا تَزَل بِركابنا وكأنْ قَدِن

وهو في هذه المواضع بدل من حرف الإطلاق الألف والواو والياء. ويكون في الفعل والحرف كما يكون في الاسم. ويُسمى في الرَوي المُتحرك تَنوينَ التَرنّم وفي الرَوي المقيد التنوين الغالي [48].

ومن خصائص نظم العربية ظواهر أخرى،تابعها الباحثون، ورصدَها العُلماء في ما قرّروا من سِمة هذه اللغة نحو الفَصْل والوَصْل والوقف والابتداء،ممّا يتبيّن معه الكلام، وينكشف المعنى، ويأتلف اللفظ، ويصحّ الإعراب[49]

على أنّ هذا كلّه يتمّ في لفظ المُتحدّثين بالفصيحة. يأتون به وينطقونه، فيحدث مع كلّ صيغة أو بناء. وكلّ حرف زائد يسبق الكلمة، أو يلحقها،أو يدخل في صياغتها وبنائها فائدة معنوية، أرادها المُتكلّم، وطلبها المُتحدث وتُستفاد في الكلام بدون الصيغة والبناء أو اللفظ الزائد حرفاً أو أكثر.

ويتضح المراد بمراجعة ما تقدّم من كلام الباحث

على قيمة التنغيم إذا أخذَ به دارسو الأدب وأهل النقد الأدبي،ومَدى فائدته في الحكم على المعاني بدقة، وإيجابه على أهل اللغة مراعاته في تلاوة النص العزيز أنّهم سوف يجدون في ذلك تيسير فَهمه وتذوّق معانيه[50]

و كذلك ما نص عليه باحث آخر أن التنغيم أساس للتفريق بين الجمل، وأنه الفيصل في إدراك المعنى، والغرض البلاغي، بالرغم من خلوّ النص مثلا من لفظ الاستفهام. بل إن لفظ الاستفهام ربما وُجد دون أن يُفيد معنى الاستفهام . فيكشف بالتنغيم موسيقى الكلام عن هذا الجانب المهم. وهو ما وقف عليه بعض المُفسِّرين من تقديرهم للاستفهام باستعمالهم تَنغيم النطق وموسيقى الكلام دون الحاجة إلى تقدير حذف الاستفهام أو التعجب [51].

على أن أول الباحثين مُطالب بتوضيح كيف يُستفاد من التنغيم في دراسة الأدب ونقده، وبأن يفصل القول في كيفية مراعاة التنغيم في تلاوة النص العزيز، وبأن يشرح أمثلة توضح كيف ضاعت الفائدة في فهمه وتذوّقه بإهمال هذه الظاهرة منذ قرون كثيرة، بل إن على الباحثين كليهما أن يُحقّقا وجود ظاهرة التنغيم في الفصيحة، وهما يَعلمان أن العرب عُنيت أيّما عناية بدَرْس لُغتها وإتقان علومها. فلم تُماثلها أمّة من الأمم في ذلك لا في القديم ولا في الحديث، وذلك لأنها خُصّت بكتاب سماوي، هو مُعجزة دينها. وانتهى أغلب العلماء من أهل اللغة ومن غيرهم إلى حقائق ثابتة في ضَبْط نصّه، وروايته ، ورسمه.

وأن ثانيهما مُطالب بأن يعرض لِما أتى به من مذاهب هؤلاء المفسرين الذين وجدوا النص العزيز يتبين بالتنغيم وموسيقية الكلام في مواطن منه ممّا نص العلماء على حذف ما يُفيد الاستفهام أو التعجب.

وكلا الباحثين وبعضُ الدارسين ممّن ذهبوا مذهبَهما أن التنغيم تحتوي عليه العامية. فإن على هؤلاء أن يتحقّقوا من كون الظاهرة هي هي في كل عامية، أو أنها في كل عامية مختلفة عن غيرها، وما قيمته حينذاك .

بل إن الظاهرة اللغوية أية ظاهرة، مما تحتوي عليها اللغة، ويتكلم بها الناس، هي بعض أنظمتها الصوتية، فلا تضاف إليها إضافة، ولا يُقترح أن تُجعل في اللغة بعد أن لم تكن ! وهذا من بَديهيات العلم منهجاً ونتائج. ودعوة مَنْ دَعا إلى الانتفاع بالتنغيم في الفصيحة من قبيل تزجية الكلام واستهواء الظاهرة له في اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات التي مِن سِمتها أن تجري في كلام المتحدثين بها.

وحسبي بعد هذا أن أسوق نصّاً يُحقّق ما تقدّمَ من كلامي على أنّ في اللفظ الفصيح من الظواهر التي أتيت على كثير منها، يُفيد معاني لم تكن لتكون لولا تلك الألفاظ في نُطق المُتحدّث المُتكلّم أو القارئ لِنص من النصوص. قال ابن الجَزَري [52] " وروينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: "صلّى بنا ابن مسعود المغرب بـــ : قُل هو الله أحد. و والله لوددت أنّه قرأ بسورة البقرة من حُسن صوته وترتيله. قلت: وهذه سُنّة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مُجوّداً مُصحّحاً كما أُنزل تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول، ويأخذ بالألباب، سرّ مِن أسرار الله تعالى، يودعه من يشاء في خلقه. ولقد أدركنا من شيوخنا مَن لم يكن له حُسن صوت ولا معرفة بالألحان إلاّ أنّه كان جيّد الأداء، قيّماً باللفظ. فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب بالمجامع،وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه،أمم من الخَواصّ والعوامّ، يشترك في ذلك مَن يعرف العربيّ ومَنْ لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي

الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان".

ولذا فإنّ برجشتراسر ينفي الظاهرة في الفصيحة،بل يتعجّب من إغفال النحويين والمُقرئين القُدماء لها، وللضغط غير رمز أهل الأداء والتجويد إلى ما يُشبه النغمة. بل إنّ ملاحظة الشعر وأوزانه تفيد أن الضغط لم يوجد في العربية، لكنّه موجود في اللهجات الدارجة أي العاميّة بدرجات مختلفة وفي مواضع من الكلمة متباينة (53).

وظاهرة التنغيم التي تقدّم ذكرها في أوّل البحث عند أصحابها ليست في ذات ألفاظ الكلام، وإنّما هي من اصطناع المُتكلّم نفسه. ومن ثمّ فهي قابلة للاختلاف بين شخص وآخر. وتعليق النحو على الظاهرة بهذه الصفة يُؤدّي إلى اختلاف في الفهم والتقدير. ثُمّ إنّ الظاهرة تقع في نطق المُتحدّث دون أن يكون لها أصل في اللفظ، فما بال الكلام المكتوب. كيف يجري طلبُها وتقديرُها والانتفاع بها في فهم الكلام !.

فأمّا في العربية الفصيحة بتراثها من الشعر والنثر ولا سيّما النصّ العزيز، و بما تضمّنته من خصائص النظم، ومذاهب اللغة والنحو والصرف فإنّ فيها ما يُغنيها ويُغني أهلَها عن ظاهرة يختلف المُتكلّمون باللغة في تكوينها وإسماعها، ولا تشمل كلّ أصناف الجُمل وأجزاء الكلام.

ثم إنّ الحديث عن الظاهرة اللغوية لا بُدّ أن يبدأ من معالم في الكلام تشتمل على عناصر اللغة، لا أن يُبدأ بالبحث في ظاهرة من عادة مُتكلّمين بلغات أخرى لاصطناعها في لغة اعتاد أهلها أن ينتفعوا بما فيها من خصائص لفظها وصيغها ونحوها وصرفها، وتكتفي بها أيَّ اكتفاء في الأداء عن مُرادها، ذلك لأنّ من البديهيّات أن كلّ حُكم أو مذهب في لغة من اللغات إنّما يَتمّ استنباطه والحديث عنه في ما هو موجود في ذات اللغة ومادّتها ، وما هو من عادة أهلها إذا تكلّموا بها واستعملوها.

الحواشي (*)

(1) مجمع اللغة العربية 51.

(2) علم اللغة العام 213

(3) J.D.O 'Connor p (1) و A.S.Hon p (1)

(4) Peter P (112)

(5) J.D.O'Connor p(1-2,4-5)

(6) J.D.O'Connor p(4-5)

(7) J.D.O'Conor p(1-2)

(8) علم اللغة العام 244,212

(9) المسائل العسكريات 152

(10) التطور النحوي 71

(11) التطور النحوي 72

(12) المدخل إلى علم اللغة 103-107

(13) تاريخ آداب العرب 226/2

(14) تاريخ آداب العرب 226,249/2

(15) الرعاية لتجويد 64

(16) سورة البقرة,121 ,و النمل92 و المزمّل 4

(17) سورة و النجم21-22

(18) تاريخ آداب العرب 242/2

(19) سورة الشعراء41

(20) سورة يونس91

(21) مغني اللبيب368

(22) الخصائص156/3

(23) المسائل العسكريات152

(24) النشر214/1

(25) النشر340/1

(26) الخصائص124/3

(27) مغني اللبيب369 و شرح الكافية 307/2

(28) سورة الحاقة 25-29 والبقرة 259

(29) الخصائص 370/2

(30) الخصائص 337/3

(31) الكشف 122/1

(32) النشر 249/1 والكشف 240/1

(33) النشر 204/2

(34) النشر 86/2

(35) سورة آل عمران 160 والأعراف 157 والأنعام 109 والبقرة 67 والكشف 218/1 وانشر 107/2

(36) الكشف 168/1 والنشر 29/2

(37) الكشف 161/1 والنشر 21/2

(38) المُفضليّات 33

(39) المُفضليّات 53

(40) سورة البقرة 6 وطه 71 والشعراء 41

(41) النشر 358/1

(42) المُفضليّات 31

(43) المفضّليّات 37

(44) المُفضليّات 156

(45) سورة البقرة 96

(46) همع الهوامع 79/2

(47) معجم شواهد 35

(48) همع الهوامع 80/2

(49) أسرار البلاغة 3،7

(50) علم اللغة العام 213

(51) علم اللغة العام 245-246

(52) النشر 212/1

(53) التطور النحوي 72

المصادر والمراجع والحواشي

المصحف الشريف

1- أسرار البلاغة في علم البيان (للجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت 1978.

2- تاريخ آداب العرب، للرافعي مصطفى صادق، تصحيح محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية – القاهرة 1940.

3- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر جوتهلف، أخرجه وصححه الأستاذ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي – الرياض 1982.

4- الخصائص / لابن جني عثمان بن جني أبو الفتح ، الطبعة الثانية، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر-بيروت– لبنان.

5- دلائل الإعجاز / للجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد / تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان 1978.

6- الرعاية لتجويد القراءة لفظ التلاوة لمكي بن أبي طال القيسي القيرواني ، تحقيق أحمد حسن فرحات، نشر دار عمار – الأردن 1984.

7- شرح الكافية في النحو / للرضي الاستراآباذي محمد بن الحسن / دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان (27) 307/2.

8- علم اللغة العام – الأصوات / الدكتور كمال محمد بشر/ الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر 1971.

9- الكشف عن وجوه القراءات / لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني/ تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان 1981.

10- مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1964، إبراهيم مدكور.

11- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث/ رمضان عبد التواب/ الطبعة الأولى ، نشر مكتبة الخانجي- القاهرة، ودار الرفاعي- الرياض 1982.

12- المسائل العسكريات/ للفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي، الطبعة الأولى، تحقيق إسماعيل عمايرة. – منشورات الجامعة الأردنية 1981.

13- معجم شواهد النحو الشعرية / حنا جميل حداد، دار العلم للطباعة والنشر- الرياض 1982.

14- مغني اللبيب عن كلام الأعاريب لابن هشام عبد الله بن يوسف جمال الدين/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

15- المفضليات للمفضل الضبي/ الطبعة الثالثة، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف- مصر 1964.

16- النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري محمد بن محمد أبو الخير/ عني بتصحيحه وطبعه الشيخ محمد أحمد دهمان ، مطبعة التوفيق- دمشق 1345.

17- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

18- J.D. O' connor , Q.F. Amold, Intonation of colloquial English, Second edition 1973.

19- Peter Roach , English phonetics and phonology ,1983

20- A.S. Honby, Oxford Advanced Learner's Dictionary, Oxford University press . 1979.

عن النحت في العربية المعاصرة

د. عبد الحي العباس (*)

يجد الباحث في كتب اللغة العربية الكلاسيكية بغير عناء ظاهرة النحت ووظيفته، وهي وظيفة تقوم على مبدإ الاختصار والاختزال. فالنحت هو «أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ. والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم **حيعل** الرجل،إذا قال حيَّ على.»[1] ما يفهم من تعريف ابن فارس (ت: 395) هو إنشاء كلمة جديدة، بعض حروفها موجودة من قبلُ في كلمتين أو أكثر. وقد أدى هذا الفهم بالكثير من العلماء إلى اعتبار النحت نوعا من الاشتقاق ميزوه من **الصغير والكبير** بمصطلح الاشتقاق الكبّار.

ومهما يكن من أمر التسمية فإن وظيفة النحت تقتضي منا أن نتساءل عن دواعي الاختصار؟ و عمّن يقوم به؟ كما تدعونا إلى البحث عن تفسير ملائم لأسباب اطراد هذه الظاهرة في العربية الكلاسيكية وشذوذها في العربية المعاصرة.

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة يستحسن أن نستحضر النماذج اللغوية العربية التي اختصرها النحت إلى كلمة. وقد اقتضى ذلك أن نصنف هذه النماذج إلى مجموعات محددة:

المجموعة الأولى: [2]

بسم الله الرحمن الرحيم:		**البسملة.**
الحمد لله	:	**الحمدلة.**
لا إله إلا الله	:	**الهيللة.**
لا حول ولا قوة إلا بالله:		**الحوقلة.**
سبحان الله	:	**السبحلة.**
حسبي الله	:	**الحسبلة.**
ما شاء الله	:	**المشألة.**
سلام عليكم	:	**السمعلة.**
أطال الله بقاءك	:	**الطلبقة.**
أدام الله عزك	:	**الدمعزة.**
جعلت فداك	:	**الجعفدة.**
الله أكبر	:	**التكبير**

المجموعة الثانية

يقال في النسبة مثلا هذا رجل من

عبد شمس	:	**عبشمي**
عبد الدار	:	**عبدريّ**
عبد القيس	:	**عبقسي**[3]

تكفينا هاتان المجموعتان لرسم صورة عامة عن النحت في العربية القديمة؛ إذ النماذج التمثيلية كثيرة في كتب اللغة وفقهها.

ما يلاحظ في المجموعة الأولى أمران اثنان: **الأول** هو أن الكلمة المنحوتة قد اتبعت تركيباً منتظماً بين حروف الجملة. ويسمح هذا الانتظام باحتمال استنتاج زمرة من القواعد التي اتبعها النحت في هذه المجموعة. ولعل أبسطها أخذ بعض الحروف المتباينة من كلمات الجملة، فتكوين كلمة من الأحرف المجتباة، ثم ختمها بالتاء إن كانت موافقة للنظام الصرفي العربي، أو تحويلها إلى وزن آخر خال من التاء، نحو **التكبير**.

(*) كلية اللغة العربية (جامعة القرويين) مراكش– المغرب

وإذا افترضـــنا أن هذا الانتظام يعكس نسبة معينة مـــن الاطراد فإن مرّده فيما يبدو راجع إلى أن بنية هذه الجمـــل هـــي بنية ثابتة، إلى درجة يجوز تصنيفها ضمن **الـــتعابير المسكوكة** les expressions figées. ومن ثم نتســـاءل: أيجـــوز أن يكـــون النحت مطردا في التعابير المسكوكة ما دام الكثير من العلماء يرونه سماعيا لا يخضع إلى قواعد مضبوطة؟(3)

أمـــا **الأمر الثاني** فهو حضور الحقل الدلالي الديني وتغطيـــته لكل النماذج التمثيلية في هذه المجموعة؛ الشيء الـــذي يمكنـــنا من أن نخصصها بمصطلح **التعابير الدينية المسكوكة**، تمييزا لها من التعابير المسكوكة المعروفة في اللغة العربية.

على هذا الأساس إذا عمّمنا هذه النتيجة وقلنا إن النحت يطرد في التعابير الدينية المسكوكة، فإنّ هذا التعميم يكون مبتورا إن لم نستخرج كلمة منحوتة من الجملة الدعائية التالية: **صلى الله عليه وسلـــم** (4). لا ريب أن اللغة العربية لم تستخرج من هذه الجملة كلمة منحوتة، على الرغم من مواصفات التعابير الدينية المسكوكة الموجودة فيها. وقد يجد غياب النحت في الجملة الدعائية تفسيره لاحقا.

أما النماذج التمثيلية في المجموعة الثانية فمن الصعب جدا اعتبارها من التعابير المسكوكة؛ وهذه حال تثبت قيام النحت على مبدأ السماع دون القياس. وقد عالج الباحثون هذا الموضوع بما فيه الكفاية في أبحاث متعددة. يكفي أن نحيل، على سبيل التمثيل لا الحصر، على مقال محمد السيد علي بلاسي(5).

إذا كانت وظيفة النحت هي الاختصار فمن ينتجه؟ وما هي دوافع إنتاجه؟ وما هي طبيعة هذه الدوافع؟ تنصب هذه الأسئلة على الأبعاد التداولية للنحت، ولهذا تنطلق الإجابة عنها من متن المجموعتين التمثيليتين المذكورتين آنفا.

تقتضي **المجموعة الأولى** شخصين اثنين، أولهما **المتلفظ** بإحدى الجمل، أو ببعضها، أو بكلّها ـــ ولنفترض أنه إمام يخطب يوم الجمعة ـــ وثانيهما **راوٍ** يحكي لغيره أقوال الإمام ومحتوى خطبته. وبذلك يصبح خطاب الراوي متضمنا خطاب الإمام بقوة قانون سرد الخبر ونقله بمحتواه ودلالته. انطلاقا من هذه الوضعية، يكون الاختصار شبه قانون عام يطبع الخطابات السردية طالما أنه يقفز على الكثير من الأقوال والأوصاف التي يرى الراوي عدم الفائدة من ذكرها، ويكون الاختصار أيضا خير وسيلة تخفي ما قد يحدث للراوي من نسيان بعض الأشياء ،ومن عدم تذكره لكلّ ما قاله الإمام بصفة حرفية؛ ونسيان الجزئيات والتفاصيل أمر طبيعي في الإنسان. فالتسجيل الآلي هو الذي يقوم بنقل كل ما قيل بشكل مطلق.

يتضـــح إذن، أن الراوي ينهج أسلوب الاختصار والاخـــتزال مـــن خـــلال اســـتثمار الكلمات المنحوتة وتوظيفهـــا وفـــق طريقة مفترضة كالآتي:« بعد البسملة والحمدلـــة والهيللـــة عـــالج الإمـــام موضـــوع كذا في الإسلام...» فـــ**رواية الخبر في الكلام هي التي تحتاج إلى الاختصـــار**، وليـــس **إنـــتاج الخبر وإنجازه في الكلام**. وللاســـتدلال على هذا المبدإ يكفي الاستشهاد بهذا البيت الشعري، يقول عمر بن أبي ربيعة:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتُها

فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل (6)

من الواضح أن النحت أسعف الشاعر في اختصار حدث لقائه بليلى، ثمّ نقله إلى المتلقي في خطاب ذي قيود معروفة.

ولا تنفصل دواعي النحت عن الرواية ذاتها؛ إذ يرتبط بعضها بتجاوز التفاصيل والجزئيات، وبعضها يتعلق بالنسيان العفوي، وبعضها يرتبط بالراوي ذاته من حيث قدرتـه اللغوية على حسن التعبير وسلامته، طالما أنه ينتج خطابا مبنيًا على خطاب سابق. وهذه قضايا تخص **سياق الرواية ومقامها وظروفها** ولا تخص تقنياتها. ومعنى ذلك أن النحت مرتبط بمستوى تداولي وليس بمستوى شكلي خاص بكل ما هو صرفي ـــ اشتقاقي.

انطلاقا من هذه الرؤية، هل يعد ذكر الجملة الدعائية (**صلى الله عليه وسلم**) جزءا من رواية الخطاب أم جزءا من إنجاز الخطاب؟ كيف يختصرها الراوي وينحت منها كلمة واحدة؟

يبدو أن علماء العربية لم يجرؤوا على نحت كلمة من **صلى الله عليه وسلم** لسبب لغوي ولآخر أخلاقي. أمّا الأول فإن الاختصار على لسان الراوي يأخذ الصورة المفترضة التالية:«بعد الصلاة والسلام على رسول الله قال الإمام... » وفي هذه الحال يسقط الاختصار وينعدم في هذا النمط من الإنجاز اللغوي، ومن ثمّ لا مجال ليتحقق النحت ما دامت وظيفته منعدمة. بيد أن التحرير والكتابة باللغة العربية تختصر الدعاء المذكور إما إلى هذه الصورة (ص)، فتكون الكتابة كما يلي:

قال رسول الله (ص).

وهذا الاختيار قلما يستعمله الباحثون والكتاب والعلماء، وإما في صورة أكثر اطرادا، فتصبح الكتابة كما يلي:

قال رسول الله ﷺ .....

وهذه حال تبعد النحت عن وظيفته ليصبح شكلا من أشكال الاختزال في مستوى الكتابة.

أما السبب الثاني فيكمن في أن أخلاق المسلم تحتم عليه أن يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم راويا كان أم محدثاً أم مستمعاً. ومما يؤكد هذا الحضور الأخلاقي الحديث النبوي الشريف:« **الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**» (رواه أحمد، كتاب مسند أهل البيت، رقم الحديث:1645).

ولهذا يبدو أن النحت بوظيفته لم ينجح في تأسيس مختصر لهذا الدعاء في اللغة العربية.

فيما يخص المجموعة التمثيلية الثانية فإنها تقتضي شخصاً واحداً، راوياً كان أم متكلماً عربياً، إذ يكفي أن يقول قائل:«أنا عبشمي النسب» ويقول آخر بوصفه راوياً:«هذا الرجل طبرخزي[7] المولد.» وفي هذه الحال يرتبط النحت بمستوى لغوي في شقه الاشتقاقي والصرفي، ولا يتعلق بمستوى تداولي.

ما نستنتجه من الحالين معاً هو أن نشأة النحت في اللغة العربية كانت استجابة لضرورة تداولية خطابية فرضتها عوامل اجتماعية وفكرية، كما كانت استجابة لضرورة لغوية فرضها الاهتمام اللغوي بكل ما هو حيوي في الحياة الاجتماعية.

انطلاقاً من هذه النتيجة، ما هو موقع النحت في اللغة العربية المعاصرة؟[8] تأتي مشروعية هذا السؤال حينما نستحضر في أذهاننا رغبة العربية المعاصرة للاستفادة من وظيفة النحت، ولاسيما إذا عرفنا أن التطور الحضاري السريع يقتضي استغلال مفاهيم كثيرة مثل: الاقتصاد في الخطاب، والاختصار في الكلام، والسرعة في تحقيق التواصل.

من المفترض أن التطور الذي شهدته البلاد العربية عبر قرون عديدة يقتضي تطوراً مساوقاً له في الإنتاج اللغوي في جل مستوياته. بيد أن النحت لم يشهد تطوراً ـــ فيما يبدو ـــ يمكّنه من مواكبة القيود الاجتماعية

والاقتصادية، تداولية كانت أم صرفية — اشتقاقية. ومن ثم يصف إميل بديع يعقوب موقع النحت في اللغة العربية المعاصرة قائلاً:«وعندنا أن اللغات الأجنبية وبخاصة المنحدرة من اللغة اللاتينية، أكثر قابلية للنحت من اللغة العربية، وأنه في كثير من الأحيان، يستحيل في العربية نحت كلمة من كلمتين. ولكن هذا لا يعني أن لغتنا غير قابلة للنحت، فإن أحداً لا يستطيع إنكار الكلمات المنحوتة فيها. والذين ذهبوا إلى أن العربية لا تقبل النحت، اعترفوا أنها وفقت في نحت بعض الكلمات نحو برمائي (بر+ ماء) ومدرحي أو مدرحية (مادة + روح).»(9)

واضح أن النص يميل إلى الاعتدال بين من يرى «أن النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي، لذلك لا يصح أن يعدّ قسما من أقسام الاشتقاق»(10) وبين من يرى عكس ذلك. بيد أن ما يؤخذ على النص هو رؤيته الضيقة لمفهوم النحت، إذ لم يستطع أن يتجاوزها ليدخل في النحت ما ذهب إليه تمام حسان قائلاً:«ومما يرتبط بالاشتقاق أيضا ظاهرة النحت، وهي تمثل نوعاً من أنواع الاختزال المبني على اختيار أشهر حروف العبارة لصياغة كلمة منها abréviation.»(11)

يبدو أن خير منهج علمي ينبغي اتباعه في هذا النمط من البحث هو اختيار متن معين ثم تحليله ودراسته. وانطلاقا من نتائج ذلك يأتي الحكم على موقع النحت في اللغات العالمية المشهورة ومنها العربية.ليكن إذن، المتن مكونا من كلمات منحوتة، شهرتها مسجلة في الصحافة العالمية، ثمّ لنحاول أن ننحت من ترجمتها مفردات باللغة العربية، متبعين الطريقة التي تمّ بها نحت الكلمات الإنجليزية (12)

(1) Central Intelligence Agency :

وكالة الاستخبارات الأمريكية C.I.A

(2) Federal Bureau of Investigation:

مكتب المباحث الاتحادي F.B.I

(3) International Monetary Fund:

صندوق النقد الدولي I.M.F

(4) North Atlantic Treaty Organization:

حلف شمال الأطلسي NATO

(5) United Nations Educational,
Scientific and Cultural Organization

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة UNESCO

(6) United Nations Children's Fund UNICEF

صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة

(7) World Health Organization:

منظمة الصحة العالمية W.H.O

من المعلوم أن استعمال المفردات المنحوتة — والتي خصصناها بخط مائل — لا تستعمل إلا في **سياق لغوي** Contexte linguistique معين يكون قرينة على فهم المعنى المراد منها، ويكون في الآن نفسه محفزا ليستحضر المتلقي الأصل اللغوي المنحوت منه. والمقصود من هذه الإشارة أن الكثير من الكلمات المنحوتة تشترك في صورة واحدة، فمثلا يراد من N.B.A أمران اثنان: **الجمعية الوطنية لكرة السلة** National Basketball Association،**والجمعية الوطنية للملاكمة** National Boxing Association.

إن أبسط ملاحظة في المتن الإنجليزي تبين أن الكلمة المنحوتة تكونت من أول حرف لكل كلمة في الأصل اللغوي، ثمّ شحنت بمدلول مجموع الأصل ذاته. ومن هذه الكلمات المنحوتة ما يفصل بين حروفها بنقطة، ومنها ما لا يفصل. ونظرا لشيوع الكلمات المنحوتة بمدلولها واشتهاره بواسطة الاستعمال المطرد، ولاسيما في

الصحافة الغربية، فقد اشتهر المنحوت وتُنُوسِيَّ الأصل. وهذا ما يثبت أهمية الوظيفة الاختزالية من النحت.

إذا جربنا النحت بهذه الطريقة في الترجمة العربية، فمن المفترض أن يكون الأمر كما يلي:

و.س.أ	:	(1)
م.م.ا	:	(2)
ص.ن.د	:	(3)
ح.ش.أ	:	(4)
م.أ.م.ت.ع.ث	:	(5)
ص.ر.ط	:	(6)
م.ص.ع	:	(7)

من الصعب جدا أن نشتق من هذه الأحرف كلمات منحوتات يقبلها النظام الصرفي في اللغة العربية. ولهذا ترغب الصحافة العربية عن استعمال هذه الصور المفترضة من النحت، وتتجه إلى استعمال الأصل اللغوي كاملا. وفي أسوإ الأحوال تعدل الصحافة العربية عن الأصل اللغوي العربي لتستعمل المنحوت الإنجليزي من غير مسوغ، نحو ما ورد بشكل مطرد في مجلة التنمية والبيئة حيث نجد: **يمكن استخدام** GIS (Geographic Information System) **في عملية وضع السياسات البيئية**[13]. ولهذا يجد الحكم السابق نسبة معينة من الصواب، حينما ذهب إلى أن اللغة العربية لا تقبل النحت.

ومع ذلك يحتاج الأمر إلى تفسير ملائم، ولاسيما أن كلمة **حماس** منحوتة من **حركة المقاومة الإسلامية**، وهي من الاستعمالات اللغوية في الصحافة العربية، كما أن كلمة **باسم** منحوتة من **البنك الآلي السعودي للمصطلحات** [14]، وهي من الاستعمالات اللغوية في البحث العلمي، فضلا عن الأمثلة السابقة التي ذكرها إميل بديع يعقوب. ما هي يا ترى الأسباب التي تعوق شيوع النحت وتداوله للاستفادة من وظيفته؟ أهي أسباب اجتماعية اقتصادية أم هي أسباب تعود إلى بنية اللغة العربية؟

قد يقال إن الأسباب ــ وإن اختلفت ــ تعود إلى سبب رئيس، وهو الذي يرتبط باقتصاديات الدول العربية التابعة لاقتصاديات الدول الكبرى؛ إذ من المعروف أن اللغة الإنجليزية لم تصل إلى ما وصِلت إليه من انتشار واسع بين أوساط عدد كبير من المجتمعات البشرية إلا بفضل تطور الاقتصاد الأمريكي. ولشيوع هذه اللغة ولاستعمالها المطرد كان لابد أن تعمل على تطوير أدواتها وآلياتها وقواعدها بطريقة علمية تساعد على ترسيخ هذا الشيوع والانتشار.

نحن لا نخالف هذا الرأي، بيد أن السبب الرئيس يعود، فيما يبدو لنا، إلى نظام الأصوات العربية، وبشكل خاص إلى التلفظ بالأبجدية العربية.

إذا تأملنا بنية المنحوتات في اللغات الغربية تبين لنا أن التلفظ بها ينبني على مبدإ التلفظ بالحروف الأبجدية. والمراد بذلك أن التلفظ بالصوامت Consonnes يتحقق بالصوائت voyelles في الوقت نفسه. وبعض الأمثلة التالية تؤكد ذلك[15]:

B	⟵	/bi:/تتكون من	cv
C		/si:/	cv -----
D		/di:/	cv-----
F		/ef/	vc-----
S		/es/	vc-----
X		/eks/	vcc ------
H		/eitʃ/	vcc -----
R		/er/	vc -----

Q	/kju:/	-----	ccv
K	/keı/	-----	cv

لهـذا حينما يجتبي النحت حرفاً من كل كلمة فإن التوزيع الداخلي المتكافئ للصوائت في اللغة الغربية يساعد عـلى الـتأليف بينها، فإذا أخذنا مثلاً: هذه المتوالية من الحروف NATO I.M.F F.B.I C.I.A فإن التلفظ بها مـن الناحية الصوتية يكون ميسراً وخالياً من كلّ تعقيد. وتتأصـل مـثل هذه المتواليات في نظامها الصوتي بكثرة الـتداول والاسـتعمال فتصبح في النهاية وكأنها كلمات استقلت بمعناها، في حين لا يعدو أن يكون الأمر نحتاً من نـوع خـاص. والظاهر أنه لشدة التآلف والتلاحم بين حروف الكلمات أسقطت الكثيرُ من المعاجم نقط الفصل بـين الكثير من المنحوتات كما هي الحال في , NATO UNICEF وغيرهـا من الكلمات؛ الشيء الذي يثبت أن التوزيع المتوازن بين الصوامت والصوائت له دور فعال في إنتاج النحت ونجاح شيوعه أو عدمه.

ويـبدو أن الأمر بهذه الصورة لا يستقيم في اللغة العربية، لأن التلفظ بالأبجدية العربية لا يتحقق بعدد قليل من الصوائت والصوامت كما هي الحال في اللغة الفرنسية أو الإنجـليزية، بـل يقتضـي تحقيـقُ ذلك التلفظ بكل المكونات الصوتية لعناصر الأبجدية. لنفحص ذلك ببعض الأمثلة:

ا	ألف	/?alif/	← تتكون من	cvcvc
ب	باء	/baa?/	---	cvvc
ث	ثاء	/θaa?/	----	cvvc
ح	حاء	/ħaa?/	---	cvvc
ق	قاف	/qaaf/	---	cvvc
س	سين	/siin/	---	cvvc
ل	لام	/laam/	---	cvvc
ع	عين	/ʕajn/	---	cvcc
و	واو	/waaw/	---	cvvc

ما يلاحظ إذن، هو أن البنية الصوتية للنطق بالحرف الواحد في الأبجدية العربية يتكون من أربعة أصوات على الأقل موزعة بين صوامت وصوائت، ويرتفع العدد إلى أكثر من ذلك إذا أدخلنا الحركات الإعرابية. ومن ثم يصعب أن يتأسس نحت كلمة من مجموع كلمات عدة في اللغة العربية بناء على هذه المعطيات الصوتية. وإذا أردنا أن نقرأ هذه المتوالية الصوتية قراءة صوتية: **ص.ن.د** بوصفها كلمة منحوتة من متوالية من الكلمات هي: **صندوق النقد الدولي**، فإننا نكون مجبرين على اختيار إحدى القراءتين: الأولى هي/ṣaad.nuun.daal/، والثانية هي:/ṣunada/.

ومن هنا تكون القراءة الأولى خالية من دلالة مادامت صورتها النهائية هي صورة من يقرأ حروفاً أبجدية عربية، وتكون الثانية ــ وهي المعبرة عن صورة النحت ــ غير مقبولة في نظام اللغة العربية صوتياً وصرفياً.

وإذا رجعنا إلى الكلمتين المنحوتتين **حماس وباسم** فإنــنا نلاحــظ أن نظام اللغة العربية يقبلهما باعتبارهما كلمــتين أصليتين معروفتين في المعجم العربي، ومن ناحية أخرى نلاحظ آثار النحت بادية عليهما معا؛ فإلى جانب أن كلمة **حماس** اتبعت نهج النحت في اللغات الغربية فإن الميم في الأصل مضمومة (المُقاومة) في حين هي مفتوحة في المـنحوتة، والألـف مهمـوزة ومكسـورة في الأصل (الإِسـلامية) في حين هي مهموسة وساكنة في النحت. وقد لحق التغيير عينه إخراج كلمة **باسم**. وهذا أمر يثبت أن الانتقال من أصل إلى فرع يصاحبه اختلاف طفيف لا يؤثر في العلاقة الوطيدة بين الأصل وفرعه.

واضح إذن، أن الأسباب في عدم شيوع النحت باللغة العربية المعاصرة تعود إلى البنية الصوتية العربية، وهي بنية ــ كما رأينا ــ لا تساعد على الاختزال والاختصار، الأمر الذي تكون فيه العلل موضوعية وليست ذاتية.

وعلى الرغم من موضوعية هذه العلل فمن المعروف أن الفرد العربي ــ مثقفا كان أم أميا، عالما كان أم جاهلاً ــ يختار لأبنائه، في لحظة الولادة، الأسماء الجميلة والخفيفة والمعبرة؛ فلماذا ينعدم هذا الحرص لدى جماعة من الناس؟ وللتوضيح بشكل آخر، أقول: إذا كانت الشركات التجارية والصناعية الكبرى هي التي تساهم في نمو الاقتصاد الوطني، فإن المشرع ينص على أن تأسيس شركة كيفما كان نوعها وغرضها ينبغي أن يكون لها اسم يحمل عنوانها لتعرف به وتتميز به من غيرها. ولما كانت أسماء الشركات غالبا ما تنحت من أسماء الشركاء في شركات الأشخاص، ومن أسماء الغرض التجاري في شركات الأموال، فلماذا لا يتم التفكير بشكل علمي في الاسم المنحوت ليكون موافقا لقيود اللغة العربية خفة وجمالا وتعبيرا؟ فالأمر ليس بالمستحيل ولن يكون مستحيلا، مادام تحقيقه قائما على استشارة الباحثين والعلماء في اللغة.

قد يتحقق منهج النهوض بظاهرة النحت في الصحافة العربية إذا كانت اللغة السائدة في المعاملات التجارية والاقتصادية داخل دواليب الإدارة هي العربية؛ أما والعكس هو السائد فإن حظوظ الاستفادة من وظيفة النحت تبقى ضعيفة جدا.

الهوامش

(1) ابن فارس،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون،دار الفكر،1979،1/328 ــ 329.

(2) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الفكر، ب ت، 1/482 ــ 484.

(3) نفسه، ص: 484.

(4) سنناقش هذه المسألة لاحقا

(5) انظر بشكل خاص الفقرة المعنونة النحت (بين السماع والقياس)، محمد السيد علي بلاسي، النحت في اللغة العربية، اللسان العربي، ع:47، يونيو، 1999، ص:279.

(6) الديوان، شرح محيي الدين عبد الحميد، ط1، دون تاريخ، ص: 498، المادة الشعرية رقم: 413، والبيت مفرد، وقد أشار الشارح إلى أنه ورد في نسخة أخرى بلفظ« فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل»

(7) طبرخزي منحوتة من طبرستان وخوارزم.

(8) المقصود من العربية المعاصرة اللغة المستعملة في الصحف والمجلات العربية.

(9) إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1982، ص:212.

(10) نفسه، ص:209.

(11) تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، البيضاء، 1981،ص: 286

(12) منير البعلبكي، المورد: قاموس إنجليزي ــ عربي، دار العلم للملايين، 1992.

(13) نظم المعلومات الجغرافية، في البيئة والتنمية،ع: 37، أبريل 2001، ص: 24.

(14) عبدالرحمن بن عبدالعزيز الفاضل، البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، اللسان العربي، ع:47، ص:79.

(15) اخترنا اعتباطا الأبجدية الصوتية الإنجليزية من كتاب:
C.COBUILD, Basic Grammar, Harper Collins Publishers LTD, 1995. p:222.

المحـــارف العـــربية المنفـــصلة والكتابة المشكولة

د. حلام الجيلالي (*)

لعل من أبرز القضايا المطروحة في مضمار ترقية اللسان العربي، ما أكدت عليه نتائج الاستفتاء [1] الذي أشرف عليه مكتب تنسيق التعريب بالرباط سنة 1966م، حول نجاعة اللغة العربية في تأديتها المعرفة العلمية، فكان الجواب المشترك يشير إلى أن تخلف العرب العام يتضمن تخلف لغتهم، كما جاءت أهم الإجابات تؤكد على إصلاح التعليم وإثراء الرصيد المفرداتي وتحسين الخطاطة؛ على أن يتم ذلك باستثمار الوسائل الجاهزة لتنمية اللغة العربية [2].

وتأتي هذه الدراسة لتطرح إشكالية نجاعة اللغة العربية في تأديتها المعرفة العلمية، من حيث الثراء الأصواتي والخطاطي المحارفي؛ وتثير قضية انعدام المحارف الكتابية المنفصلة في الخطاطة العربية، لتقترح خطاً إضافياً، وتروم معالجة الألفبائية الأصواتية العربية العالمية للوقوف على قدرتها الصوامتية والصوائتية في تسجيل أكثر الصيتات الخاصة باللسان العربي والألسن الأخرى.

إن الخط في أبسط تعريفاته هو تثبيت المعاني الذهنية و اللفظية عن طريق الترميز لها بسمات محارفية، ويشمل المحارف الخطية وعلامات الترقيم والأعداد والرموز المتصلة بها، والخط كما يصفه يحيى بن خالد البرمكي(صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول) [3]، أما الخطاطة فهو العلم الذي يدرس ظاهرة الخط وأنواعها وأنظمتها وضوابطها في لسان بعينه.

وهذا يعني أن الخط وسيلة من وسائل تثبيت المنطوق، وليس غاية في ذاته، ولذلك تعددت وسائل تثبيت المعاني الذهنية والبصرية والكلامية. وبقدر ما طرأت على الخط من تغيرات عبر مسيرته الحضارية، يظل عرضة للتغير والتطوير والتوليد في أية لحظة أحست فيها الجماعة الكاتبة بنقص أو قصور في دقته المحارفية أو الترميزية.

وإذا كان الكلام المنطوق هو الوسيلة الأساسية للتواصل فان الخط يمثل أداة حفظ هذا التواصل وتنميته واستثماره في تقييد المعارف عبر الأجيال المتلاحقة؛ ولذلك يُعد ابتداع الكتابة أعظم اختراع حققته البشرية عبر تاريخها الطويل. وبعيدا عن التخمينات والتأويلات الأسطورية حول نشأة الأبجدية، فإن النقوش التي خلفها الأقدمون تؤكد أن أقدم أبجدية تعود إلى العهد العروبي الأكادي البابلي ثم الفنيقي،وعنها تولدت خطوط اللغات المختلفة[4]، وضمنها الخط العربي الذي نشأ في رحم الخط العروبي القديم، وما خط المسند الذي دونت فيه آثار العصر الجاهلي ووصل إلينا في بعض النقوش[5] إلا مرحلة من المراحل التطورية التي مر بها.

وقد تميز الخط العربي بالرسم الاختزالي؛ فلا يقرؤ حتى يفهم بسبب عدم مصاحبته للصوائت أو الحركات،

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية — جامعة سيدي بلعباس–الجزائر

كما أنه يكتب متصلا ولا توجد به حروف كتابية منفصلة، وهي إشكالية كانت لها آثار لغوية في مسألة التعلم، ولعل هذا ما دعا أنستاس الكرملي إلى القول (يتفرغ العرب لعلم اللغة ليقرأوا، بينما يقرأ الأجانب ليتعلموا العلوم، هذا هو الفرق بيننا وبينهم)[6].وهذا لاينفي وجود مراحل سابقة كان يكتب فيها منفصلاً ومصحوباً بالحركات، **لعدة أدلة من بينها**/ عودة الدعوة إلى إثبات الحركات أو الصوائت مع أبي الأسود الدؤلي (69 هـ/ 688 م)، ثم الخليل بن أحمد (175هـ)، ثم محاولة محمد السرخين تلميذ الكندي (260 هـ) الذي أجرى تحويرا جذريا لرسم الحروف في أربعين شكلا منفصلا لا تتشابه ولا تتداخل [7]. ولم تكن طريقة إعجام الحروف بالتنقيط التي ارتضاها نصر بن عاصم (89 هـ)، إلا اجتهاداً في هذا الباب. ومن الأدلة على أن الحركات إنما هي في الأصل الصوائت الطويلة التي فقدت موقعها بمرور الزمن ما يظهر في بعض النقوش [8]. ففي نقش النمارة مثلاً، نجد اسم إشارة (ته) تاء متبوعة بحركة الكسر (تي= S∏)،ومثلها كلمة (نفس) في حالة الضم كتبت متبوعة بضمة (نفسو= V9Ш9) ، ومن ذلك إثبات الواو للضم في (أبو) والياء للكسر في (أبي) والألف للفتح في (أبا)، وحركات التنوين التي تعبر عن ذلك عن حركة ونون ساكنة (مٍ = مون، مٍ = ماً، مان)، مما يشير إلى أن العربية كانت تكتب مصحوبة بحركات الشكل ثم تخلت عن ذلك عبر التاريخ.

وكأين من خط بلغ درجة من الرقي والكمال والإتقان، على مثال جماليات الخط العربي، لا يكاد يخلو من نقائص يفرض تطور العصر إصلاحها، وهي نقائص أحس بها اللغويون القدماء فأومأوا إليها وسعوا إلى إصلاحها باحتشام نظراً لإضفائهم هالة من التقديس والمعيارية [9] على الخط العربي لارتباطه برسم القرآن الكريم، كما أكد عليها بعض الدارسين المعاصرين أمثال عبد الواحد وافي و أنستاس الكرملي وعلي الجارم[10]، والمستشرق هنري فلايش الذي جاء في جوابه عن استفتاء 1966 حول اللغة العربية السابق الذكر (إنه **توجد** قضية أساسية تتمثل في الكتابة العربية التي مازالت تخضع لوضع اختزالي،ولا أدعو إلى التحلي عن الخط العربي، بل أدعو إلى تكييفه بالحركات ...)[11]. ويمكن إجمال هذه النقائص في ثلاث نقط:

1- عدم توفر الخط العربي على حروف كتابية منفصلة، فعلى ما تمتلكه الخطاطة العربية من أشكال فنية عديدة(النسخ- الثلث-الكوفي- الرقعي- الفارسي- الديواني...) تفتقر إلى محارف مطبعية منفصلة.

2- ظاهرة الاختزال؛ أي عدم مصاحبة الصوائت أو حركات الشكل للصوامت أثناء الكتابة، فلا يمتلك الرسم العربي كتابة مشكولة.

3- تعدد أشكال الحروف وبخاصة الهمزة، وتشابه بعضها، وكثرة النقط وعلامات الشكل الفوقية والتحتية.

وأمام هذا الوضع سعت المجامع اللغوية العربية منذ 1938م إلى إصلاح الخطاطة العربية،وبخاصة مجمع القاهرة الذي أجرى مسابقة حول إصلاح الخط العربي، ومكتب تنسيق التعريب الذي نظم استفتاءً حول الموضوع ذاته، فجاءت النتائج موزعة على ثلاثة آراء:

أ- أن ترسم الحروف العربية منفصلة بعد تغيير الحروف المتشابهة،وأن يثبت الصائت بعد الصامت مباشرة [12]، مع مراعاة الشدة والتنوين والمدّ، وهو اقتراح لم يجد حلاً حتى يومنا هذا؛ ولذلك سعينا في هذه الدراسة إلى اقتراح نموذج للكتابة العربية المشكولة ذات المحارف المنفصلة.

ب-ارتضاء الخط اللاتيني،واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية،وقد تبنى هذا الرأي بعض المستغربين،وهو توجه لا يخدم اللسان العربي بقدر ما يطمس تراثه ويشوه هويته الحضارية.

ج- تبني مشروع المحارف المنمطة (العمم- شع)؛ أي العربية المعيارية المشكولة للشفرة العربية الموحدة، وقد اقترح هذه الطريقة الأخضر غزال، وجربت بمكتب تنسيق التعريب بالرباط، وأعطت نتائج جيدة، إلا أنها التزمت بأشكال المحارف العربية اليدوية المتصلة وبحركات الشكل المعروفة، ومع ذلك استطاعت أن تقلل من تعدد أشكال الحرف الواحد [13]، وبذلك أصبح العدد الإجمالي للأشكال بما فيها المحارف والأرقام والرموز 84 علامة.

الكتابة العربية المنفصلة والمشكولة

أولاً – المحارف العربية المنفصلة

تهدف هذه الطريقة إلى إضافة نموذج كتابي إلى الخطوط العربية، وتروم رسم محارف منفصلة تلبي الأنماط الخطاطية الدولية في أشكالها الهندسية،في مرحلة المحارف العربية المنفصلة (م. ع. م) أولاً، ثم مرحلة الكتابة العربية المشكولة (ك. ع. م) ثانياً.

وربما يكون في عرض هذه الطريقة شيء من الجرأة الوصفية في مقابل النظرة المعيارية التي حكمت الخط العربي زمناً طويلاً، غير أن السعي إلى تسهيل تلقي المعرفة والعمل على تيسير عمليتي القراءة الصحيحة والكتابة البينة، وتكييف الكتابة العربية مع تقنيات الطباعة وأنظمة الحواسيب وبنوك المعلوماتية، لهو ضالة كل مجتهد. وأعتقد أن تبني المحارف العربية المنفصلة بقدر ما يقدم حلولاً عاجلة لبعض مشاكل الخط العربي، في صورته المتصلة يقطع الطريق أمام دعاة التغريب.

1– مواصفات الطريقة

أ– تقترح مجموعة من المحارف المنفصلة، في مقابل المحارف المتصلة التسعة والعشرين، باعتبارها خطاً جديداً يضاف إلى الخطوط العربية المعروفة، وهي محارف ذات أصول عروبية مستنبطة ومولدة من النقوش العربية القديمة [14]، تراعي أصالة الكتابة العربية وتمايزها، وتحافظ على سلامتها النطقية والإعرابية، وتبقي الصلة بينها وبين الخطوط التراثية المختلفة.

ب- يتميز كل محرف بشكل واحد قار وخال من النقط. وترد الحروف على مقاس واحد؛ بحيث تصطف على سطر الكتابة بحجم وعلو و انخفاض متساو.

ج- تستثمر في كتابة النصوص العربية طباعياً، كما يمكن أن تستغل ضمن الخطوط الأخرى، فتخصص لكتابة الأعلام والمصطلحات والرموز و تأثيل بعض المفردات.

د- تقدر عدديا بـــ 31 محرفاً، و03 علامات للشكل، وعلامة واحدة للتقعير [٧]، و 14 علامة للترقيم، و 10 علامات للأرقام، و 07 علامات رياضياتية، فيكون المجموع 66 علامة. (انظر الجدولين 4 و5).

1- الصوامت والصوائت

العدد	الرمز المتصل	الرمزالمنفصل	العدد	الرمز المتصل	الرمزالمنفصل
1	أ		16	ظ	
2	ب		17	ع	
3	ت		18	غ	
4	ث		19	ف	
5	ج		20	ق	
6	ح		21	ك	
7	خ		22	ل	
8	د		23	م	
9	ذ		24	ن	
10	ر		25	هـ	
11	ز		26	و	
12	س		27	ي	
13	ش		28	ة	
14	ص		29	فتحة	
15	ض		30	كسرة	
15	ط		31	ضمة	

(جدول 4)

ب- مصاوتات أعجمية

العدد	الرمز المتصل	الرمز المنفصل	المقابل الأعجمي
1	بـ	[illegible]	P
2	فـ	[illegible]	V
3	ک	[illegible]	G
4	جـ/ز	[illegible]	CH

(جدول 5)

غايتها-

أ- تسهيل القراءة ودقة الأداء الأصواتي، والسماح بتوليد عدد من الصوائت التي أشار إليها النحاة العرب القدماء وعلماء التجويد مثل الإشمام والغنة والانزياح.

ب- دقة استخراج الكلمات المختلفة من ملفات الحاسوب، وفق الفروق التشكيلية للكلمة، كالفرق بين الفعل المعلوم(عَلِمَ)والمجهول(عُلِمَ)والمصدر(عِلْم) والشخص (عَلَم).

ج- إثراء الألفبائية العربية بحروف أخرى منفصلة تستثمر في الترميز إلى الوحدات الفيزيائية والعناصر الكيميائية والرموز الرياضياتية، مما يكمل الطريقة التي اقترحها مجمع اللغة العربية الأردني في إطار لجنة الرموز(53) بخصوص ما أسموه الحروف الهندسية والمعقوفة والمقطوعة والمستندة والمحلقة.

د- ضبط نظام الترجمة الآلية في البرامج الحاسوبية، وكتابة عناوين الدخول إلى الشبكة الدولية.

ثانياً - الكتابة العربية المشكولة

تعتمد الكتابة العربية المشكولة ذات الحروف المنفصلة على ثلاثة محارف تسمى الصوائت أو الحركات القصيرة، وترسم بعد الصامت مباشرة، وهي تناقض حركات الخط المتصل، ولذا تعتبر ضوابط الخط المنفصل مصطلحات اشتراطية جديدة لا علاقة لها بما عرفناه عند النحاة، وعليه فلا يجوز الخلط بين الخطين في مقام واحد.

وأهم قواعد الشكل هي:

1- علامة الضم ، (9) لام مضمومة= (ل9).

2- علامة الكسر ، (٥) لام مكسورة = (ل٥).

3 - علامة الفتح ، (ا) لام مفتوحة = (لا).

4-علامة المدّ بالضم ، (99) لام ممدودة = (ل99)

5-علامة المدّبالكسر ، (55) لام ممدودة = (ل55).

6-علامة المدّبالفتح، (اا) لام ممدودة = (لاا).

7-الشدّة،تضعيف صامتين لام مشدّدة = (لل).

8- التنوين، حركة تضاف إليها نون ساكنة، تنوين بالضم = (ن9) تنوين بالكسر= (ن٥)، تنوين بالفتح = (نا)، مثال (قلماً VIPIlll =).

9- السكون، كل صامت غير متبوع بصائت.

10-حركات الإمالة والإشمام والانحراف الانزياحي:

- إشمام الفتح إلى الضم (ا+ 9)، ميم مفتوحة منـزاحة إلى الضم (م9ا).

- إشمام الفتح إلى الكسر (ا + ٥)، ميم مفتوحة منـزاحة إلى الضمم (م٥ا).

- إشمام الضم إلى الفتح (9+ ا) ميم مضمومة منـزاحة إلى الفتح (م9ا).

- إشمام الضم إلى الكسر(9+ ٥) ميم مضمومة منـزاحة إلى الكسر(م9٥).

- إشمام الكسر إلى الضم (٥+ 9) ميم مكسورة منـزاحة إلى الضم (م٥9).

- إشمام الكسر إلى الفتح(٥ + ا) ميم مكسورة منـزاحة إلى الفتح (م٥ا).

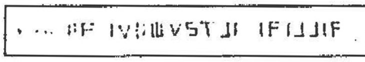
ويلاحظ أن حركات الإشمام تقدم ثراءً كبيراً للنطق العربي وبخاصة فيما يقابله في بعض اللغات الأجنبية التي تتوفر على بعض الصوائت الممالة مثل (.. E. E . E . EU. AI.U)

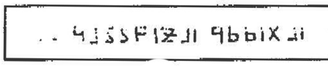
كما في محاولة كتابة كلمتي (BAR) و (BEURRE) ، اللتين ترسمان عربياً معاً بـــ (بار)، بينما ترسم الكلمة الأولى في الكتابة العربية المشكولة بـــ (ب ا ا ر) (...) حانة، والثانية بـــ (ب ا و ر ر) زبدة، ومثل ذلك الكلمات (SALE)= (ص ا ا ل) قذر، و(SALLE) =(ص ا ا ل ل) قاعة، و (SEL) = (س او ل) ملح، و(SELLE) = (س او ل ل)سرج.

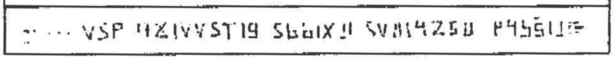
11- الهمزة لا تتأثر بهذا النظام الكتابي؛ لأن الحركات هي التي تحدد نوعيتها كما في الفرق بين مؤمن (م و أ م ى ن) و مأمن (م ا أ م ا ن). وإنّ (إ ى ن ن ا) و أنّ (أ ا ن ن ا).

12- يتميز حرف اللين الممدود عن حرف اللين المقصور بواسطة الإشمام كما في الفرق بين (على و علا)؛ حيث تكتب الأولى (ع ا ل ا ى) والثانية (ع ا ل ا ا)، وهكذا.

نماذج كتابية

عَلّم الإنسان ما لم يعلم	

الخط الجميل يزيد الحق وضوحاً	

عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتيح الرزق


الألفبائية الأصواتية

يعرف الصوت اللغوي بأنه كل أثر سمعي تنتجه أعضاء النطق الإنساني إرادياً، في شكل ذبذبات. وتسمى الوحدة النوعية الصغرى في التحليل الأصواتي الصيتة (PHONEME) ،وهي أصغر وحدة لا يمكن تحليلها إلى وحدات صوتية أصغر منها، ويشكل مجموع هذه الصيتات الألفبائية الأصواتية في أي لسان من الألسن، بما في ذلك الصوامت والصوائت، وتمثل هذه الصيتات برموز كتابية لاستثمارها في تسجيل الكلام المنطوق. وتتميز كل لغة بامتلاكها لعدد معين من الصيتات، يتراوح بين 15 و 40 صيتة، كما تتفاوت من حيث وجود بعض الأصوات أو عدم وجودها بالنسبة إلى لغات أخرى.

وتعتبر استعارة الأصوات بين اللغات المختلفة ظاهرة اجتماعية عامة، وكثيراً ما ينجم عن الصراع اللغوي تداخل الأصوات وتبدلها؛ فينتقل عدد من الألفاظ إلى لغة ثانية حاملاً معه أصواتاً أعجمية غريبة عن اللسان المستقبل، فيسعى إلى تطويعها لتناسب الأصوات الأثيلة لديه، وكثيرا ما يكون تأثيرها قوياً فتفرض وجودها ضمن نطق الجماعة اللغوية. وتطرح هذه الظاهرة مشكلة البحث في إيجاد محارف جديدة ترمز إلى هذه الأصوات الأعجمية. وهو ما يجعل معظم لغات العالم تسعى جاهدة من أجل التصدي لهذه المشكلة بتوليد رموز خاصة تساعدها على نطق هذه الأصوات نطقا يماثل أو يقارب نطقها الأصلي؛ فاللغة الفرنسية مثلا، اصطلحت على الرمز (GH) للدلالة على صوت الغين و(TH) للدلالة على صوت الذال أو الثاء في اللسان العربي.

وقد صادفت هذه الظاهرة العلماء العرب القدماء، فذهب بعضهم مثل سيبويه (180 هـــ) إلى استبدال كل الأصوات الأعجمية بما يماثلها في اللغة العربية أثناء تعريب بعض المفردات الدخيلة(16)،ومثله فعل الجواليقي في الـــمُعرَّب (17)، ولم يصطنع رموزاً عربية تقابل الأصوات الأعجمية، كما اقترح آخرون مثل ابن دريد (322هـــ) في الجمهرة، اصطناع رموز لبعض الأصوات التي يفتقر إليها النظام الصوتي العربي، مثل الباء المهموسة المقعرة و الفاء المجهورة المقعرة و القاف المجهورة المقعرة لتقابل الأصوات الأعجمية(G: V: P) (18) ولم يحاولوا وضع رموز قارة أو ألفبائية أصواتية لكتابة لغات العالم،

ولعل ذلك يعود إلى اعتداد العرب بلغتهم وهي في عصرها الذهبي آنذاك. أما في أوربا فقد ذهب اللغوي جون ولكيتر (1620-1672م) في القرن السابع عشر إلى اقتراح ألفبائية أصواتية علمية، تعتمد الرمز بحسب مخارجها،بالإشارة إلى شكل الشفتين واللسان والأنف (19)،و في سنة 1816م ظهرت الجمعية الصوتية الدولية بمبادئها المعروفة؛الرمز الواحد للصوت الواحد والتقليل من العلامات المميزة؛ فحاولت توفير كل المصاوتات(Allophones)(20).

ومع ظهور المجامع اللغوية العربية في القرن العشرين، طرحت من جديد مشكلة الألفبائية الأصواتية؛بسبب عدم وجود قاعدة مضبوطة في تعريب الأصوات السابقة، فظلت القاف المقعرة المجهورة (G) تكتب مرة غينا وأخرى جيما و ثالثة كافا مثلما هو الشأن في كلمة (انغليزي و إنجليزي و انكليزي)، حتى على مستوى المعاجم، علماً بأن مجمع القاهرة اللغوي كان قد أصدر قراراً في قواعد كتابة الأعلام المعربة، وقبل إدخال الحروف السابقة الذكر ليشار بها إلى الأصوات غير الموجودة في اللغة العربية ، واصطلح على الرمز إليها بثلاث نقاط فوق الحرف المماثل (21).

ويتضح من المعطيات السابقة، أن اللغة العربية لا تمتلك حتى اليوم ألفبائية أصواتية عالمية- على الرغم من توفر اللسان العربي على ألفبائية شبه مثالية من حيث الأصوات وتمايزها-، وأن قضية الاصطلاح على رموز كتابية للأصوات الأعجمية، بما فيها الصوامت والصوائت الممالة التي لا تتوفر عليها الألفبائية العربية، مسألة حاسمة وذات أهمية كبيرة في تسجيل اللغات المختلفة وتأثيل مفرداتها الدخيلة.

وفي هوس هذا الإشكال ذهبنا إلى اقتراح ألفبائية أصواتية عربية عالمية، ضمن المحارف العربية المنفصلة (معم) والكتابة العربية المشكولة (كعم)، حيث أسعفتنا هذه الطريقة في توليد 32 محرفاً مقارناً برموز المحارف العالمية، منها 04 أربعة صوامت غير موجودة في اللغة العربية، بالإضافة إلى 09 تسعة صوائت لتسجيل أنواع المد والإشمام والإمالة، مستندين في ذلك إلى بعض الدراسات العربية والأجنبية(22) وقرارات المجامع اللغوية مع شيء من التحويرات الضرورية. (انظر الجداول 6 و 7 و 8).

الألفبائية الأصواتية العربية العالمية

1- رموز الصوامت

الحرف المتصل	الحرف المنفصل	المقابل العالمي	الحرف المتصل	الحرف المنفصل	المقابل العالمي
أ	T	ʔ	ظ	ꟻ	ð̣ / θ̣
ب	Ш	b	ع	F	ʕ
ت / ة	Π / X̄	t	غ	ɦ	ɣ
ث	Ħ	θ	ف	9	f
ج	Ƶ	j	ق	Ǝ	q / qw
ح	Z	ħ	ك	ɿ	k
خ	X	x	ل	⅃	L
د	⊐	d	م	P	m
ذ	Ǝ	ð / θ	ن	V	n
ر	ʎ	r	ه	X	h
ز	λ	z	و	9̄	w
س	Ш	s	ي	5̄	y
ش	W	ṡ	بـ	Ш̌	p
ص	ꟼ	š	فـ	9̌	v
ض	Ħ	ď	كـ	ɿ̌	G
ط	b	ť	جـ	Ž	ch

(جدول 6)

2- رموز الصوائت

الحركة	فتحة	ضمة	كسرة	مد مفتوح	مد مضموم	مد مكسور	تنوين الفتح	تنوين الضم	تنوين الكسر	تشديد
الرمز	I	9	5	II	99	SS	VI	V9	VS	تضعيف الحرف
المقابل	a	o/ u	i	a	o/u	i	ane	one	ine	gemination

(جدول 7)

3- رموز الإشمام والإمالة

نوع الامالة	فتح الى ضم	فتح الى كسر	ضم الى فتح	ضم الى كسر	كسر الى فتح	كسر الى ضم
رمزها	91	SI	19	S9	IS	9S

(جدول 8)

المراجع والهوامش

1- نتائج استفتاء حول (اللغة العربية)، مجلة اللسان العربي، ع5، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، عدد 5، 1967، ص 89 وما بعدها.

2- محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1982، بيروت، ص 28.

3 - محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1982 ص41 .

4 - أبو ذئيب، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت 1980.

5- انظر نقش النمارة، ونقش زبد ونقش أم الجمال وغيرها، طاهر مكي، دراسة في مصادر الأدب، دار المعارف، مصر 1968. ومن أمثلة هذا التوافق بين المحارف / أشكال الباء في كل من البابلية والعروبية والإغريقية(⊓.ا!.π) واللام والحاء في اللاتينية والعربية (ـ•ـہ)، ولذلك قيل من البيت (باء، بيتا=) العروبي البابلي أثث كل بيوت أبجديات العالم. وتعني العروبية الأصول الأولى للشعوب العربية أو العرب العماليق في بابل (باب الله)، وهي تقابل مصطلح السامية) الذي أطلقه المستشرق شلوتسر (SCHLOZER) سنة 1781.

6- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 228

7- محمد ولد خليفة، خواطر حول التراث، مجلة الثقافة، العدد 50/ 1979 الجزائر، ص 53.

8- انظر/ نقش النمارة، ولفنسون، م. س. وطاهر مكي، م. س.

9- انظر/ مقدمة كل من/ كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الرازي، دار الكتاب العربي، القاهرة 1957، والفهرست، لابن النديم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

10- صالح بلعيد، م. س. ص 228.

11- نتائج استفتاء اللغة العربية، اللسان العربي، م. س. ص 26.

12- عبد الواحد وافي،فقه اللغة،القاهرة /دار النهضة العربية بمصر 1945، ص 220.

13- عماد حاتم، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، الهيئة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا 1986، ص 210

14- انظر النقوش مع ملاحظة المحارف ت ب ن ك ل م- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت 1980

15- احمد سعيدان، نحو نظام عربي للرموز العلمية، اللسان العربي، العدد 27، 1986 ص44.

16- سيبويه، الكتاب، ت/ عبد السلام هارون، ج 303/4، القاهرة 1963.

17- الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، م 54.

18- ابن دريد، جمهرة اللغة، حيدر آباد 1344هـ/ المقدمة ص5ج 1

19 - مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب،القاهرة،1982 ص 43 .

20 - Mounin G. Histoirre de Linguistique Des Origines Au 20 Em Siecle. Paris P U F. 1967 P. 66.

21- مدكور، إبراهيم، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما، 1965 ص 312 I مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد 3

22 - Chiss ; Et Autre / Linguistique Francaise . Paris - Hachette.1989 P 64.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع(**)

لأبي عبيد البكري

(الجزء الثاني)

تنبيهات وتصحيحات

أ.د. محمد جواد النوري (*)

ملخص

يعدُّ المعجم الجغرافي المشهور المعروف ب: "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" لأبي عبيد البكري (ت 487هـ) أحد الآثار الأدبية واللغوية والعلمية التراثية النفيسة التي خلّفها الفكر العربي شاهد صدق على نضجه العقلي، وارتقائه العلمي في ذلك الوقت المبكّر من مسيرة الحضارة البشرية.

جاء هذا المعجم، كما ذكر محققه أستاذنا المرحوم مصطفى السقا، متفوقاً على معاجم البلدان الأخرى، في غزارة مـوادّه، وكثرة تفاصيله، واكتمال عناصره، ودقة منهجه، وتمام ضبطه، وجمال أسلوبه، وتحرير عبارته. ولهذا فقد تلقّى العـلماء المسـلمون القدامى والمحدثون هذا المعجم بالرضا والقبول، ووثقوا صاحبه ورفعوه مكاناً عليا فوق اللغويين وأصحاب المعاجم، وكذلك الحال مع المستشرقين الذين استقبلوا هذا الأثر النفيس على نحو لا يقلّ عن استقبال أبناء الضاد له.

ولقـد وجدنـا أنفسنا، في أثناء دراستنا وتدريسنا لهذا الكتاب، بأجزائه الأربعة، لطلبتنا في مرحلتي الليسانس والدراسـات العـليا، أمام معجم يقترب من كونه ديوان شعر ضخماً. بيد أننا وجدنا أنفسنا، في الوقت ذاته، أمام طائفة لا يستهان بها من الأشعار التي أصابها، أو أصاب بعض ألفاظها، شيء غير يسير من آفات التحريف، والتصحيف، وعدم الدقة في الرسم والضبط، فضلاً عن الاختلاف في الرواية عمّا جاءت عليه تلك الأشعار في مظانها من الدواوين ومصادر الأدب.

وسنخصص هذه الدراسة المتواضعة، بحلقاتها الأربع ،للتنبيه على بعض ما لحق تلك الأشعار من أخطاء، محاولين تصـحيحها وبيـان وجه الصواب فيها. والله نسأل أن يجعل عملنا هذا، الذي بذلنا فيه من الجهد ما لا يعلمه سواه، خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه الخير والغناء للغتنا العربية لغة القرآن العظيم.

(*) أستاذ في العلوم اللغوية وعميد البحث العلمي - جامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين

(**) نشر الجزء الأول في العدد (50) من مجلة اللسان العربي

صاحب المعجم:

هو أبو عبيد عبد الله بن أبي مصعب البكري (...؟-487هـ)، كان أديباً ولغوياً وأخبارياً أندلسياً مرموقاً. وقد امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية العالية. تتلمذ البكري على جلّة علماء الأندلس مثل أبي مروان بن حيّان، وأبي بكر المُصْحَفي، وأبي العباس العُذري، وأبي عمر يوسف بن عبد البر. بَيْدَ أن هذا العالم كان، كما وصفه محقق معجمه أستاذنا المرحوم مصطفى السقا، ثمرة من "ثمرات ذلك الغراس الأدبي واللغوي، الذي غرسه أبو علي القالي في إقليم الأندلس. فقد تخرج بكتب أبي علي التي ألفها، والتي حملها من الشرق، من مخطوطات منسوبة مقروءة على مؤلفيها، مضبوطة أتم الضبط، ومصححة غاية التصحيح، ...إن البكري ورث وقرأ كثيراً من كتب القاليّ... بلى، قد تمرّسَ البكريُّ بتواليف القاليّ تمرّساً، وفلاها فَلْياً، واستطاع بثقافته الممتازة أن يشرحها، ويستدرك عليها... وتلك منزلة عالية في الإحاطة باللغة والشعر والتاريخ والأنساب، عرفها له أهل عصره ومترجموه،فوصفوه بالتقدم في فنونه،ورواج تواليفه" [1]

ترك البكري مجموعة من الكتب، منها هذا المعجم، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي، وكتاب الإحصاء لطبقات الشعراء، واشتقاق الأسماء، وأعلام نبوة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكتاب التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال، والمسالك والممالك... وغيرها.

المعجم [*]

يعدُّ معجمُ البكريّ واحداً من الآثار الأدبية والعلمية والتراثية النفيسة التي خلّفها العرب إبّان نضجهم العقلي، وارتقائهم العلمي، فقد جاء متفوقاً على معاجم البلدان الأخرى، كما يذكر محقّقه،في غزارة موادّه،وكثرة تفاصيله،واكتمال عناصره،ودقة منهجه،وتمام ضبطه،وجمال أسلوبه،وتحرير عبارته [2]. وهو، بالإضافة إلى ذلك، معجمٌ لغويٌّ خاصٌّ بتحقيق أسماء المواضع التي وردت في الشعر العربي، وفي الأحاديث، وفي كتب السير، والتواريخ القديمة، وأيام العرب، وما إلى ذلك.

وقد اتسم هذا المعجمُ الجغرافيّ اللغوي بالضّبط، ومحاولة تَبْرِئَة موادّه وشواهده من آفتيْ التصحيف والتحريف اللتين لم يبرأ منهما حتى أئمة الرواة وكبار العلماء اللغويين القدامى، ولهذا فقد وجدنا البكري يعمد إلى ضبط الكلمات بالعبارة لا بالحركات.

وقد جاءت مواد معجم البكري مرتبة على حروف الهجاء عند المغاربة وهو ترتيب:

أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.ط.ظ.ك.ل.م.ن.

ص.ض.ع.غ.ف.ق.س.ش.هـ.و.ي.

كما جاء ترتيب الكلمات، في كل باب، وفق ترتيب الحرفين الأول والثاني الأصليين من الكلمة، دون نظر إلى ترتيب ما بعدهما من الحروف، وبالإضافة إلى ذلك فقد أهمل البكري الحرف الثاني، ولم ينظر إليه عندما يكون ألفاً كألف فاضل وصاحب، واعتبر الحرف الثاني الحرف الذي يلي الألف.

ولا شك في أن هاتين الصِّفَتَيْن، اللَّتَيْنِ اتَّسم بهما هذا المعجم، قد أبعدتاه عن السهولة واليسر. ولهذا فقد عمد محقّقه إلى تغيير وضع مادته، وترتيبها على حسب الترتيب الأبتـثيّ المشرقيّ المألوف: أ.ب.ت.ث..ز.س.ش..هـ.و.ي.، وعلى ما يقتضيه نظام الفهرسة الصحيح، وذلك بترتيب حروفها بحسب صورها، لا بحسب جوهرها ومادتها، فليس مما يعني الباحث أن يكون الحرف أصلياً أو زائداً، وإنما يعنيه أن يكون موضع الكلمة التي فيها حرف الألف قبل موضع

الكلمة التي فيها حرف الباء، وهذه قبل التي فيها حرف التاء، في أيّ مكان وقع الحرف من الكلمة، كما يعنيه هذا الترتيب نفسه في الأحرف التي بعد الحرفين الأولين.

ولقد تلقى العلماء المسلمون القدامى والمحدثون هذا المعجم بالقبول، ووثّقوا صاحبه ورفعوه مكاناً عليّا فوق اللغويين وأصحاب المعاجم، وكذلك الحال مع المستشرقين الغربيين الذين استقبلوه استقبالاً لا يقل عن ذاك الذي حظي به عند أبناء الضاد.

ومهما يكن من أمر، فَقَد كان هذا المعجم(*)، بما اشتمل عليه من شواهد شعرية، أحد المراجع الرئيسة التي اعتمدناها لأنفسنا، ولفئة من طلبتنا في بعض المساقات الخاصة بقسم اللغة العربية في مرحلتي الليسانس والماجستير. وقد لفت انتباهنا، ونحن نقلب صفحات هذا المعجم، ونطالع ما ورد فيه من شعر، أننا أمام معجم يقترب من كونه ديوان شعر ضخماً، إن لم يكن كذلك. ولكن الذي شدّنا كثيراً- ونحن نقارن ما ورد في هذا المعجم الضّخم من شعر، مع ما توافر بين أيدينا من دواوين شعرية، ومعاجم لغوية، ومصادر أدبية- هو أن طائفة من الأشعار الواردة في المعجم قد لحقها، أو لحق بعضَ ألفاظها، على وَجْهِ التحديد، شيء غيرُ قليل من التحريف، والتصحيف، وعدم الدقة في الرسم، والضّبط، والاختلاف في الرواية عما جاءت عليه في دواوين أصحابها.

ولقد تجمّعت لدينا، مع الأيام وفصول الدرس والتدريس المتعاقبة، جذاذاتٌ كثيرةٌ سجّلْنا فيها ملاحظاتنا على بعض أشعار هذا المعجم أو، قل إن شئت، هذا الديوان. بَيْدَ أن هذه الملاحظات المتجمعة كانت أكبر من أن يحتويها بحث واحد، ولهذا فقد عمدنا إلى تقسيمها إلى أربعة أقسام . وقد خصصنا كل قسم منها لجزء من أجزائه الأربعة.

و إنّا لنهدف، بما نقدمه في الصفحات التالية من تنبيهات وتصحيحات، أن نبرّئ هذا الكتاب التراثيَّ النفيس مما علق به من هنات وهفوات، وأن نرقى به، من ثَمّ، إلى المكانة اللائقة به. والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه الخير لعشاق الضاد ومحبيها، فإن تحقق ما أردناه فالحمد لله وحْده، فمنه سبحانه نستمد العون، ونستلهم السداد.

الجزء الثاني

1- 7/356 : عفَت غَيْقَةٌ من أهلها فجريمها * * فُبُرقَةُ حَسنى قد عَفَت فصريمها

جاء عجز هذا البيت في ديوان صاحبه كثير (140) هكذا: فبرقة حِسمى قاعها فصريمها، وعلى هذا النحو جاء العجز أيضاً في منتهى الطلب من أشعار العرب، كما أشار المحقق في هامش الصفحة نفسها. أما الحموي 259/2، فقد أورد العجز بقوله : فبرقة حَسْنا : قاعها فصريمها. وتابعه في ذلك البكري نفسه في 1010/3. وجاء في المحكم 144/3 : "ابن الاعرابي : إذا ذكر "كُثَير" غيقة فمعها حَسْنى، وقال ثعلب : إنما هو حِسْيٌ، وإذا لم يذكر غيقة فحسْمى". (انظر مناقشة الحموي أيضاً لذلك في معجمه 259/2).

2- 357/12-13 : سقى الله قَبْرا بين بُصرى وجاسم
** ثوى فيه جودٌ فاضل ونوافِلُ
فآبَ مُضِلُوه بعَيْنٍ جَلِيَّة **
** وغُودِرَ في الجَوْلان حَزْمٌ ونائِلٌ

جاءت رواية البيت الأول ، في ديوان صاحبه النابغة الذبياني (121)، على نحو مختلف هو:

سقى الغيثُ قبراً بين بصرى وجاسم **

(*)اعتمدنا في هذه الدراسة، على الطبعة الأولى للمعجم، وهي الطبعة التي صدرت عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة 1947 م

**بغيث من الوسميّ قطر ووابل

أمـا البيت الثاني فصوابه : فآب مُصَلُّوه، بالصاد المهملة المفتوحة.

3-6/358: بتَثْليثَ أو نَجْران أو حَيْث تَلْتقي**

** من النَّجْد في قيعان جاشٍ مسايلُه

جاءت هذه الكلمة عند الحموي 94/2 بالسين المهملة هكذا : جـاس، أمـا في ديوان صاحب البيت طرفة (103) فجاءت بالشـين المعجمـة والألف المهموزة هكذا : جأش. كما أن كلمة مسايلة "جاءت في الديوان بالهمزة : مسائلة.

4-10/362- و لم يَغْذُ بالسُّلّاف حيٌّ أعزّة **

** تَحُلُّ جُباحاً أو تَحُلُّ مُحَجَّرا

جاءت رواية الأصل المخطوط لهذا البيت في ديوان صاحبه ابن مقبل (139) بقوله :

ويقدُمُنا سلافُ حيٍّ أعزة **

**تحلّ جناحاً أو تحل محجَراً

(انظر أيضاً الحموي 166/2).

5- 11/363 : وبنو ضبينَةَ واردو الأحْباب

ضـبط ديوان لبيد (23) كلمة ضُبَيْنَة، بضم الضاد المعجمة، وفتح الباء، وسكون الياء، كما جاءت رواية الديوان بقوله : حاضرو، لا واردو.

6—19/363 : بكَنْراء تَبْلُغُها بالسَّبا**

**لِ من عين جَبَّةَ ريحُ الثَّرَى

والصـواب : بكوراً. (ديوان حميد بن ثور : 47) وقد تكرر هذا الرسم المخالف لما جاء في الديوان في المعجم نفسه716/3.

7-12/370 : ثم انصَبَبْنا : جبالُ الصُفْر معرضة **

** عن اليسار، وعن أيماننا جُدَدُ

جاءت هذه الكلمة عند البكري نفسه، وعند الحموي 113/2 أيضا بفتح الجيم المعجمة هكذا : جَدَدُ.

8-9/371 : أصبحتْ من حُلُول قومي وَحْشاً **

** رَحَبُ الجَذْرِ جَلْسُها فالبِطاحُ

والصواب : وحْشاً، بالحاء المهملة. (قيس بن الخطيم: 228)

9-5/372 : من طَيٍّ أرْضِينَ أو من سلّم نَزِلٌ **

** من بَطْن نَعْمان أو من بطن ذي جَدَنِ

جـاءت رواية الحموي 114/2، بقوله: سلم نُزُلٌ، بضم النون والزاي المعجمة. أما ديوان ابن مقبل (308) فقد أوردها بلام مـنونة بالكسر "نَزِلٍ"، كما أن عجز البيت جاء في الديوان، ومعجـم الحموي على نحو آخر هو : ... من ظَهْر رَيْمان أو من عرض ذي جدَن.

10-3/374: منها بنَعْفِ جُراد فالقبائض من **

** ضاحي جُفاف مَرًى دُنيا ومستمع

جاءت رواية الحموي 117/2 بقوله : وادي.

11-5/374 : ويوم جُراد لم نَدَع لربيعة **

** وَأَخواتها أنفاً لهم غيرَ أجْدَعا

عجز البيت غير مستقيم الوزن، من الطويل، ويمكننا تصحيحه بقولنا : وأخْواتها، بتسكين الخاء المعجمة.

12-9/380 : حيِّ المنازل قد ذُكِرْنَ خرابا **

** بين الجُرَيْر وبين ركن كَسابا

فالثِّني من مَلْكان غَيَّر رَسْمَهُ **

* * مَرُّ السحاب المُعْقبات سحابا

جاءت رواية ديوان عمر بن أبي ربيعة (52-53-422) بقوله : قـد تُـرِكْنَ خرابا، وغيّرَ رسمها. وقد ضبط الديوان (422)، والحموي كلمة "كُسابا" بضم الكاف.

13-16/380 : فشليلِ دَمْخٍ أو بَسلْعٍ جُزارِ

جاءت رواية ديوان ابن مقبل (118)، والحموي 67/2، بقولهما : فبـتيلٍ، ثم أورده البـكري 748/3 بقوله بتليل. وقد تكرر الضبط الأول في البكري نفسه 432/2، وهذا الشطر هو عجز بيت صدره : لمن الديار بجانب الأحفار**

14-6/386 : فما أبْصرَ النّارَ التي وَضَحَتْ له **

** وراءَ جُفافِ الطَّيْر إلا تَمَاريا

جـاءت رواية ديوان صاحب البيت جرير (708) و (498)، والحموي 146/2، بقولهما :

الناس، بالسين المهملة، وتماديا بالدال المهملة. أما رواية اللسان

(جفف)، والمجمل 173/1، والمقاييس 417/1 فقد جاءت موافقة لرواية البكري.

15-3/387: وَمَرَّتْ على أكناف هَبْرٍ عشيةً **
** لها توءبانيّانِ لم يتفلّفلا

جاءت رواية الأصل المخطوط لهذا البيت في ديوان صاحبه ابن مقبل (212) على النحو التالي :

فَمَرَّتْ على أطراب هرّ عشية ** (انظر أيضا المقاييس 365/1، واللسان، تأب، وفلل، وطرفس).

16-6/391 : صُدُورَ دودان فَأعلى تَنْضُبٍ **
** فالأشهَبِينِ فجمالَ فالحَجْ

والصواب : فالأشهَبَيْنِ ، بفتح الباء ، وسكون الياء، و: فجمالٌ، بتنوين الضم في اللام، و: فالجحْ، بجيمين معجمتين. (ديوان حميد بن ثور : 63، والبكري نفسه 561/2).

17-14/391 : وَقَبْلَنا سبَّحَ الجوديُّ والجُمُدُ

هذا الشطر هو عجز بيت لأمية بن أبي الصلت، وصدره، كما جاء في ديوان صاحبه (37)، هو:

سبحانه ثم سبحاناً يعود له**

18-17/391 : سَرَتْ في دُجَى ليلٍ فأصبحَ دونَها**
** مَشارفُ جُمْدانَ الشُّرَيفُ فغُرَّبُ

جاءت رواية الحموي 162/2 لهذه الكلمة بالراء المهملة هكذا: جمـــران. ويبدو أن الصواب هو جُمدان، بالدال المهملة. فقد جـــاء في اللســـان (جمـــد) أن جمدان هو "موضع بين قديد وغسفان"

وهذا ما جاء في معجم البكري.

19-1/392 : لقد أتى عن بني الجَرْبَاءِ قولُهُمُ **
** ودونَهمْ قُفُّ جُمْدانٍ فَمَوضُوعُ

ولكـــن رواية ديوان صاحب البيت حسان (323)، واللسان (جمد) هو : دفُّ، بالدال المهملة المفتوحة.

20-5/396 : ** ألا هل أتى أهلَ الحجاز مُغَارُنا
**ومن دونهم أهلُ الجِناب فأيْهَبُ

والصواب : مغارنا، بالنون (ديوان طفيل : 41).

21-8/399 : فان تَكُ غبراءُ الجُنَيْبَةِ أصْبَحَتْ
** خَلَتْ منهُمُ واستبدَلَت غير أبدال

جاءت رواية ديوان عبيد بن الأبرص (117) بقوله: الخُبَيْبَة، بالخاء المعجمة، والباء الموحدة.

22-10/399-11:

ولا من طُفَيْلٍ في الجُنَيْبَة بَيْتُهُ **
** وَبَيْتُ سُهَيْلٍ بين قِنْعٍ وصَوْءَرِ
فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً
* * وحسناءَ قامت على طراف مُجَوْءَرِ

جاءت رواية ديوان صاحب البيت لبيد (51) لهاتين الكلمتين على النحو التالي : الجنينة، بنونين ومجوّر، بواو مشدّدة.

23-19/399 : مما يَضُمُّ إلى عمْران حاطِبُهُ **
** من الجَنَيْبَة جَزْلاً غير مَمْنُونِ

جـــاءت رواية الحموي 173/2، واللسان (جنن) لهذه الكلمة بقوله: الجُنَيْنَة، بنونين. وقد جاءت رواية اللسان أيضاً بقوله: ...جزلاً غير موزون، أما رواية الحموي فجاءت بقوله : غير معنون !!

24-8/402 : وأَكْوَارُنا بالجَوِّ جَوِّ جُوادَة**
** بحيث يصيد الآبدات العَسَلَّقُ

ضـــبط الحموي 175/2، والقاموس المحيط (حيد) هذه الكلمة بالدال المهملة، وفتح الجيم المعجمة هكذا : جوادة.

25-16/405 : ولشُؤمِ البَغْيِ والغَشْمِ قديما **
** ما خلا جَوْفٌ ولم يَبْقَ حِمارُ

هكـــذا جاء البيت في ديوان عدي (197)، ولكن صدره غير مستقيم الوزن، من الرمل، وقد جاء على الصواب في معجم البلدان 188/2 بقوله : ولشؤم البغي والغشم قديما...

26-17/406:

سُجُودٌ له غَسَّانُ يرجونَ فَضْلَهُ
** وحاءٌ ودَمُّونٌ وتُرْكٌ وسابل

جاءت رواية البيت في ديوان صاحبه النابغة (122) على نحو مختلف هو :

قعوداً له غسان يرجون أوبه **

** وتُرْكٌ ورهط الأعْجَمين وكابلُ

27-7/415 :

بنَجْد تَرُومُ الغَوْرَ بالطَّرْف هل ترى**

** به الغَوْرَ مالاءَمَت من مُتلائم

والصواب : بنجد، بدال مهملة منونة بالكسر.

28-17/416:

إني حلفتُ بربِّ مَكة صادقا **

** لولا الحياءُ ونسْوةٌ بالحاجرِ

لكسوتُ عُقْبَة حُلَّةً مشهورةً **

** تَرِدُ المدائنَ من كلامٍ عائر

جاءت رواية هذين البيتين، في ديوان صاحبهما ابن ميادة (157)، على نحو آخر هو :

ولقد حلفت برب مكة صادقاً **

** لولا قرابة نسوة بالحاجر

لكسوت عقبة كسوة مشهورة **

** ترد المناهل من كلام عائر

29-6/418 :

ألا لَيْتَ أنَّ الموت حَلَّ حِمامُهُ**

** ليالِيَ حَلَّ الحيُّ أكناف حامرِ

جـاءت رواية ديوان حاتم الطائي (54) بقوله : كان حمامه و: أكناب حابر، بالباء الموحدة

30-16/419:

سلِ الدارَ من جَنْبَي حِبِرٍ فواهب

** إلى ما يرى هَضَبَ القليب المُضَيَّحُ

جاءت رواية ديوان ابن مقبل (22)، والحموي 356/5 بقولهمـا : إلى ما رأى. ثم أورده البكري في 1235/4، 1365 بقولـه: إذا ما رأى .. وأورده الحموي مرة أخرى في 212/2 بقوله : إلى ما ترى.

31-5/420:

وَيجْزَنَ أودية البُضَيْع جَوازعاً **

** بالليل عَيْنوناً فَنَعْفَ قِيالِ

ضـبط الحموي 180/4 هذه الكلمة بالباء الموحدة، أي قِبـال. وكذلك فعل ديوان صاحب البيت كثير (286). وقد نـصَّ الـبكري نفسـه 1104/3 على أن الكلمة تروى بالباء المعجمة بواحدة !!

32-3/422 :

سقى الحبيسَ ومحبوساً ببرزخَة **

** من السُّميِّ كَفيتُ الوَدْقِ يَطَّردُ

والصواب : ببرزخه، بالهاء، ومن السَّمِيِّ، بفتح السين المهملة المشددة. (أبو تمام 78/4).

33-6/423 : بجَنْبَيْ حُبي ليلتين كأنما **

** يُفرِّطُ نَحْساً أو يُفيضُ بأسْهُم

جـاءت رواية ديوان أوس بن حجر (119) بقوله، بجنب دونما ياء.

34-16/438 : ومالُكَ أنساني بوَهْبَيْن ماليا

والصـواب : بوَهْبِين، بكسر الباء الموحدة. (الراعي : 290، واللسـان: وهـب والصحاح 236/1) وهذا الشطر هو عجز بيت صدره : رجاءُك أنساني تذكّرَ إخوتي**

35-15/439 :

أيام أهْلونا جميعا جيرةٌ **

** بكُتانةٍ ففراقدٍ فبعال

والصـواب : فثعال، بالثاء المثلثة. (ديوان كثير 285، والحموي 78/2)

36-10/440: تحلّلَ غَدْرٌ حَرْملاءَ وأقلَعتْ **

** سحائبه لما رأى أهل مَلْهَما

جاءت رواية ديوان أوس (111) بقوله : غدراً، بتنوين الفتح في الراء المهملة.

37-12/443 :

عفا الزُرْقُ من أكناف مَيَّةَ فالدَّحْل **

** فأجبالُ حُزْوَى فالقرينة فالحَبْلُ

جاءت رواية ديوان صاحب البيت ذي الرّمة1609/3) للعجز بقوله :

فأجماد حوضى حيث زاحمها الحبل

1/454-38 : وأرى الموتَ قد تدلّى من الحضْر على ربِّ أهله الساطرون

والصواب : ربٍّ، بكسر الباء المشددة (عدي بن زيد : 205). وقد جاءت رواية الحموي 268/2، لهذا البيت، الذي نسبه لعدي بن زيد وليس لأبي دواد، كما جاء عند البكري، بقوله :

على رَبِّ مُلْكه... وقد جاء هذا البيت ضمن الشعر المنسوب لأبي دواد الإيادي في كتاب دراسات في الأدب العربي لغرنباوم ص : 347

39-6/454: عفا دَيْرُ لَبّى من أُمَيْمَة فالحَضْرُ **

** فأقْفَر إلا أن يُنيخَ به سَفْرُ

والصواب : لِبّى، بالباء الموحدة. (ديوان الأخطل 1/ 212، ومعجم البكري نفسه 595/2).

14/454-40 : عَنْس تخالُ خَلْفها المُفرّجا **

** تَشْييدَ بُنيان يعالى أزَجا

جاءت رواية ديوان رؤبة (370) للشطر الأول بقوله : عنسا تخال خَلْقها المفرّجا.

12/456-41: تأبطَ نعْلَيْه بريرة **

** وقال أليس القومُ دون حُفائل

جاءت رواية ديوان الهذليين 83/1 لهذه الكلمة بقوله : فريرة، بالفاء، أما الحموي 275/2 فرواها بالميم، هكذا : مريرة. (انظر رواية اللسان وتعليق المحقق في الهامش : حفل)

15/460-42 : وأفْضْنَ بعد كظومهن بحرّة **

** من ذي الأبارق إذ رَعَيْنَ حقيلا

جاءت رواية ديوان صاحب البيت الراعي (224) لهذه الكلمة بالجيم المعجمة هكذا : بجرّة. (انظر أيضا المقاييس 2/ 88، 465/4، والمجمل 709/3، والصحاح 1671/4).

15/463-43 : فَجزْعُ الحَليفِ إلى واسط **

**فذلكَ مَبْدى وذا مُحْضَرُ

والصواب : مَحْضَرُ، بفتح الميم.(دريد بن الصّمة : 87، والبكري نفسه 769/3).

4/470-44 : يُثير نقا الحَنّاءَتَيْن ويَتّني **

** بها نقْبَ أوْلاجٍ كخيْم الصيادنِ

جاء هذا البيت، في ديوان صاحبه الطرماح (511) على نحو آخر هو :

ويُلقي نقا الحَنّاءَتَين بروقه **

** تناويطَ أولاج كَخَيْم الصيادن

7/477-45 :

فما أيْأستني النفسُ حتى رأيْتُهَا**

** بحَوْمانَةِ الزُّرْقِ أحزالتْ خَدُورها

والصواب : خُدورها، بضم الخاء المعجمة. (ذو الرمّة 228/1)

18/477-46 : لله دَرُّ عصابة نادَمْتُهم**

** يوماً بجِلّق في الزمان الأوّل

ضبط البكري نفسه 390/2 هذه الكلمة بكسر اللام، وكذلك فعل الحموي 154/2، وديوان صاحب البيت حسان بن ثابت : 184، و: 364، والمعرَّب للجواليقي : 242، وقد جاءت هذه الكلمة في بعض المعاجم، مثل المقاييس 475/1 والمجمل 196/1، بفتح اللام. أما اللسان والقاموس المحيط (جلق) فقد أجازا فتح اللام وكسرها.

9/482-47: لأبْصرَ أحْياءً بخاخٍ تَصَمَّنتْ **

**منازلَهم منها التِّلاعُ الدَّوافع.

والصواب : تضَمنت، بالضاد المعجمة. (ديوان الأحوص : 146، وطبقات فحول الشعراء : 536)

4/498-48: أفْوَى فَعُرَّى واسطٌ فَبَرامُ **

** من أهله فصُوائِقٌ فخزامُ

والصواب: أقوى، بالقاف، والبيت منسوب في اللسان (خزم، وبرم، وحضر) للبيد، وقد جاءت فيه كلمة خُزام مضمومة الخاء المعجمة، وكذلك فعل الحموي 367/2. أما رواية الديوان (288) فجاءت موافقة، في ضبط الخاء، لرواية البكري.

3/500-49 : إذ حَلَّ أهلي بالخَوَرْنَق فالحيرة واحتَلّوا بذي خُشُب.

جاءت رواية هذا البيت، في ديوان صاحبه عديٍّ بن زيد (80)

بقوله : واحتل أهلي...

ومـن الجديـر بالذكر أن هذا البيت في معجم البكري، وفي الديوان أيضاً غير مستقيم الوزن، من الكامل !!

50-4/505: هل عرفت الدار قَفْراً لم تُحلْ

** بين أجماد خُفاف فالرُّجَلْ

والصـواب : لم تَحَلْ،بفتح الحاء المهملة (دراسات في الأدب العـربي : 329) وقـد جاءت الرواية في هذا الكتاب بقوله : خِفاف، بكسر الخاء المعجمة.

51-6/505: لَجّ حتى ضاق عن آذيِّه **

** عَرْضُ خيمٍ فَخُفافٌ فيُسُرْ

ثجّ، بالثاء المثلثة. (ديوان امرئ القيس : 146، وطبقات فحول الشعراء : 80)

52/506/1 :

وأعْرضَ من خفّان قَصْرٌ كأنه **

** شماريخُ باهى بانياهُ المُشَقّرا

جـاءت رواية ديوان صاحب البيت الشماخ (142) بقوله : وأعرض من خفّان أجْمٌ يزينه.

53-6/507 : نَزَلْنا بين فَيْدٍ والخلافَى **

**بحيٍّ ذي مُدارأةٍ شديدِ

جاءت رواية الحموي 381/2 لهذا البيت بقوله: بين فتك، بالتاء المثناة الفوقية، والكاف، والخلاقي، بالقاف.

54-3/509: عاهَدُ اللهُ إن نجا ملْمنايا **

** ليعودَن بعدها حِرْميّا

والصواب : عاهدَ، بفتح الدال المهملة، و: اللهَ، بفتح الهاء.

55-15/509 : وقد قالتا هذا حُمَيْدٌ وأن يُرى **

** بعلياءَ أو ذات الخِمار عجيبُ

جـاء هذا البيت في ديوان صاحبه حُميد بن ثور (51) برواية مختلفة هي

وقائلةٍ زَوْرٌ مُغبٌ وأن يُرى **

** بحَلْيَةَ أو ذات الخِمارِ عَجيبُ

56-14/510: حفرتُ خُماً وحفرت زُمّاً **

**حتى ترى المجدَ لنا قد تمّا

جاءت رواية 389/2 و 3 /70 لهذه الكلمة بالراء المهملة، هكذا : رُمّـا (انظر أيضاً القاموس المحيط، واللسان : رمم، والسيرة النبوية 158/1).

57-20/510 : لمن الدار أقفرت بمَعَان **

** بين شطِّ اليرموك فالخَمّانِ

جاءت رواية اللسان (خمم) بقوله بمغان، بالغين المعجمة.

58-16/512 : إنكِ لو شهدتنا بالخَنْدَمَهْ

جاءت رواية هذا الشطر في اللسان (خندم) بقوله : إنكِ لو شاهدتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ

وأورده صـاحب السيرة النبوية 51/4 بقوله : إنك لو شهدتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ

59-3/513 : لهم نَهيتٌ خَلْفَنا وهَمْهَمَهْ

جـاءت روايـة اللسـان (خندم) بقوله : لهم نَهيتٌ حوله وحمحمه، بحاءين مهملتين.

60-13/513 : فالسَّفْحُ أسفلَ خنزيرٍ فبُرْقَتِه **

** حتّى تَدافَعَ عنه الرَّبْوُ فالجَبَلُ

جـاءت رواية هذا البيت في معجم الحموي 393/2، واللسان (خنـزر) بقولهما :

فالسَّفْحُ يجري فخنـزير فبرقته **

** حتى تدافع منه السهل والجبل

(انظر أيضاً ديوان صاحب البيت الأعشى : 57)

61-15/515-16: وتَفكَّرَ رَبُّ الخَوَرْنَقْ إذ أشرَفَ يوما وللهُدى تفكيرُ

سَرَّهُ حاله وكثرة ما يملِكُ والبَحْرُ معرضٌ السَّديرُ

والصواب : ربّ، بفتح الباء المشددة. وقد جاءت رواية البيتين في ديوان عدي بن زيد (90) على النحو التالي :

وتأملْ ربّ الخورنق إذ أشـ

** رف يوماً وللهدى تفكير

سرّهُ ماله وكثرة ما يَمْـ

** لك والبحر مُعْرِضاً والسدير

(انظر أيضاً : اللسان: سدر، والمعرّبْ للجواليقي : 377، 273).

10/518-62 :فلو كان حيّاً صاحب الخَوْعِ لِم تَقِظْ**

** سدوسُ ولا شَيْبانُ ذات العرائس

والصواب : لَمْ، بفتح اللام.

:13/519-63

وإلا فَحَوٌ حين تَنْدَى دِماثُه **

*عليّ حَرام حين أُصبح غاديا

جـــاءت رواية ديوان سحيم العبد (66) بقوله : فَحَوٌ، بالحاء المهملة، ثم عقب المحقق على ذلك بأن هذه الكلمة جاءت في المخطوطة (ح) بخط السيرافي بالجيم : فَجوٌ !!!

: 19/526 - 64

كُلُّهُمُ يُنْمَى إلى عِزٍّ أَشَمْ **

* أطولَ من فرْعَيْ حِراءٍ وخِيَمْ

جاءت رواية ديوان العجاج (117) بقوله : يَنْمي، بفتح الياء الأولى، وكسر الميم، وقوله: حراءٍ أو خيم

2/527-65 : ولم يَحُلّوا بأجوازِ الغميس إلى **

** شَطّيْ عُوَيْقَةَ بالرَّوْحاءِ من خِيَمَا

جاءت رواية ديوان القطامي (100) بقوله : بأحواس، بالحاء والسين المهملتين، وذكر محققا الديوان أن رواية إحدى نسختي الديوان جاءت بقولها :بأحواز، بالحاء المهملة والزاي المعجمة !

18/527-66 ألم ترنا بالأرْبُعاءِ وخَيْلُنا **

* غَداةَ دعانا قَعْنَبٌ والكياهِمُ

جـــاءت روايـــة اللسان (ربع)، والحموي 137/1 لهذه الكلمة بفـــتح كـــل من الهمزة والباء الموحدة، الأَرْبَعاء (انظر أيضا البكري نفسه 135/1).

4/530-67: أوِ الأَثْأَبُ العمُّ المحَرَّمُ سُوقُهُ **

** بَداءةَ لم يُخبَط ولم يَتَعَضَّدِ

جـــاءت رواية ديوان دريد (46) لعجز البيت بقوله: بشابة. كمـــا أنه ضبط كلمة "المحَزّم" بالزاي المعجمة، كما جاء في هامش صفحة الديوان، وهو الصواب.

: 17/533-68

أصاحِ أَلَيْسَ اليومَ تُنْتظري صَحْبِي **

** نُحَيِّي ديارَ الحَيِّ من دارة الجأب

والصواب : مُنْتظري، بالميم (ديوان جرير : 81، والحموي 2/ 426).

10/535-69 وبدارة السَّلَم التي شُوَقُتها**

**دِمنٌ يظلّ حَمامُها يُبْكينا

والصـــواب : شَـرْقِيُّها بالـــراء المهملة، والياء المثناة التحتية. (الحموي 428/2).

:16/541-70، 18

وبالحَجُور وثَنْي الوَلِيِّ**

** وبالفِرنْدادِ له إِمْظِيُّ

والصـــواب : وبالحُجور، بضم الحاء المهملة، وأُمطِيّ، بضم الهمـــزة، وبالطاء المهملة. (ديوان العجاج 323، وانظر شرح البـــكري نفســـه في الصفحة التالية 542/2، واللسان : أمط، ومطا) وقد تكرر ضبط كلمة إمطيّ، بكسر الهمزة في معجم البكري نفسه 1022/3.

5/542-71 : مِن رمل تُرْنَى أو رمال الدُّبْلِ

والصواب : يُرْنى بالياء المثناة التحتية. (ديوان رؤبة : 131).

: 5/547-72

أَنامَتْ غَضيضَ الطَّرْفِ رَخْصا بُغامُهُ**

** بذات السُّلَيْم من دُحَيْضَةَ جادلا

جـــاءت رواية ديوان لبيد (246) لصدر البيت بقوله : رخصاً ظلوفُهُ.

4/549-73 : أقاتليَ الحَجَّاجُ أنْ لم أَزُرْ له **

** دَرابَ وأَتْرُكْ عند هند فؤاديا

والصواب : إن بكسر الهمزة، و: لم أذر، بالذال المعجمة.

: 3/550-74

فقلت للرَّكْب في دَرْنَى وقد ثَمِلوا**

** شِيمُوا وكيف يَشيمُ الشّارِبُ الثَّمِلُ

والصواب : دُرْنى، بضم الدال المهملة. (ديوان الأعشى: 57، والحموي 452/2، وانظر أيضاً البكري نفسه الصفحة نفسها، وإصلاح المنطق : 16) وقد جاءت رواية الديوان، والمقاييس 3/

236، 267، واللسان (ثمل)، والحموي 452/2، بقولهم : فقلت للشرب، بدلا من : للركب، أما رواية إصلاح المنطق فجاءت بقوله: للقوم!

14/553-75: تمنيتَ أن تَلقى فوارسَ عامرٍ **

* بصحراء بين السُّودِ فالدُّفيانِ

والصواب : فالدَّفَيان، بفتح الدال المهملة، وقد نصّ البكري، في الصفحة نفسها، على أن هذه الكلمة بزنة "فَعَلان". (انظر أيضاً ديوان ابن مقبل : 345).

9/554-76 : وكأنما دَفَرى تَخَيَّل، نَبتُها **

** أنفٌ يَغُمُّ الضالَ نَبْتُ بحارِها

والصواب : تخيّلُ، بضم اللام (اللسان، وأساس البلاغة: دفر، والتهذيب 26/9.

6/560-77 :عذارى دوار في المُلاء المُذيَّلِ

جاءت رواية هذا الشطر في كل من اللسان (دور)، وشرح القصائد السبع الجاهليات (93)، والمقاييس 19/4 على النحو التالي : عذارى دوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ، وهذا الشطر هو عجز بيت لأمرئ القيس، صدره هو:

فعن لنا سِربٌ كأنّ نعاجه .. (ينظر ديوان الشاعر (120) بتحقيق مصطفى عبد الشافي).

10/560-78 : وطئناهُمُ سُلكَى بجرٌ بلادِهِمْ **

** ومحلوجةً حتى انْثَنَوْا للدوانك

لعلها : مخلوجة، بالخاء المعجمة، وقد استعمل امرؤ القيس هذه الكلمة في ديوانه بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم(120)، وذلك في قوله :

نَطْعَنُهم سُلْكَى ومَخْلوجَةً **

** لَفتَكَ لأَمَيْن على نابلِ

:11/561-79

كأن بذي دُوْرانَ والجزْعِ حَوْلَه**

** إلى طَرَفِ المِقْراة راغيةَ السَّقْبِ

الأدق أن يقول دَوْران، بفتح الدال المهملة، فهي، بهذا الضبط، موضع الشاهد. أما ديوان الهذليين 17/3 فقد أوردها على نحو آخر هو : دَوّان، بفتح الدال المهملة، وواو مشددة فألف فنون !!

3/564-80: طلب ابنة الزّبّا وقد جَعَلَتْ **

** دوراً مُسَرَّبةً لها أنفاقُ

صدر البيت غير مستقيم الوزن، من الكامل، ويمكن تصحيحه بقولنا :

طلب ابنة الزّبّا وقد جعلت (له) أو (لها)، أي بإضافة شبه الجملة "له أو "لها" إلى نهاية صدر البيت.

12 /567-81 تربّعُ دُوَاراً فما إنْ يروعها**

** إذا شُلّتِ الأحياء بالرمل مَفْزَعُ

والصواب : شَلّت، بفتح الشين المعجمة (ديوان طفيل : 88 واللسان: شلل) وقد جاءت رواية الديوان بقوله : تربع أذوادي .. الأحياء في الرمل مَفْزَعُ.

16/567-82: إذا أقول تركتُ الجَهْلَ هَيَّجني **

** رَسْم بذي البيض أو رَسْمٌ بدِوّارِ

والصواب : بدُوّار، بضم الدال المهملة. (ديوان جرير 240)

8/575-83: فإنْ تُعقب الأيامُ أظْفَرْ ببُغْيَتي **

**وإن أَبْقَ مَرْمياً بي الرِّجْوَانِ

والصواب، لاستقامة وزن عجز البيت، من الطويل، هو : وإن أبق مَرميا بيَ الرَّجَوان، أي بفتح الجيم المعجمة. (انظر هامش الصفحة نفسها، والحموي (505/2).

14/578-84: يعتاده كلُّ مَجْفُوٌّ مفارقه**

**من الدِّهان عليه سَحْق أَمْساحِ

جاءت رواية ديوان أبي نواس (297) بقوله: ... كل محفوف مفارقه**

1/579-85-2 في فتية لم يَدعْ تخوّفُهم **

** وقوعَ ما حَذِروه غيرَ أشباحِ

لا يَذْلُفون إلى ماء بآنية**

** إلا اغترافاً من الغُدْران بالراحِ

جاءت رواية أبي نواس (297) بقوله : في عصبة ...، كما أن الصواب في البيت الثاني هو : لا يَذْلِفون، بكسر اللام.

(اللسان والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط : دلف)

86-10/581: إذ العيش غَضٌّ والخلافة لذّة

**وأنت طرير والزمان غَرِيرُ

والصواب : المنسجم مع المعنى هو : لَدْنَة، ويرشح هذا التصحيح ما ورد في نسخة (ز)، التي أشار إليها المحقق، في هامش الصفحة نفسها، من أنها جاءت فيها هكذا : كدنة، بالكاف التي يحتمل أن تكون تحريفاً عن اللام، فضلاً عن استقامة المعنى بالتصحيح الذي أوردناه (انظر أيضا الحموي 2/ 510).

87-8/587 : فلقد كنتِ مَمْرحاً بيَ في الجنّة لكنها بغير خُلُودِ

جاءت رواية ديوان ابن المعتز 247/2 لهذا البيت على نحو آخر يدعم ما أورده المحقق في الهامش، وهو :

كنت عندي نموذجات من الـ **

**جنّة لكنها بغير خلود

88-7/588-9:

وزارني في قميص الليْل مُلْتحفا

**يَستعجِلُ الخَطْوَ من خوف ومن حَذَرِ

وغاب ضوء هلال كنت أرقُبهُ

** مثل القُلامةِ قد قُصَّت من الظُّفُرِ

وقمت أفرش خدّي في الطريق له

**ذُلاًّ وأَسْحَب أذْيالي على الأثرِ

جاءت رواية صدر البيت الأول، في ديوان ابن المعتز 250/2 بقوله : وجاءني في قميص الليل مستترا، وجاءت رواية صدر البيت الثاني في الديوان أيضاً 251/2 بقوله: ولاح ضوء هلال كاد يفضحه، أما البيت الأخير فجاءت روايته بقوله : فقمت أفرش ذيلي ... ذلاًّ وأسحب أكمامي...

89-3/590:

انْعم صباحا عَلْقَمَ بنَ عَديّ**

** إذا نَويتَ اليوم لم تَرْحَلِ

جاءت رواية ديوان عدي بن زيد (157) لعجز البيت بقوله : أثويت اليوم أم تَرْحَلْ !!

90-9/590: علقَمَ ما بالُكَ لم تأتنا**

** أما اشتهيت اليوم أن تنعَمَا

والصواب عَلْقَمُ، بضم الميم (المرجع السابق : 166).

91-15/616،13:

أتاهُنَّ أنّ مياه الذّها **

**ب فالأوْقِ فالمِلْحِ فالمِيثَبِ

تحرّى عليه رَبَابُ السَّما**

**كِ شَهْرَيْنِ من صَيِّف مُخصِبِ

جاءت رواية اللسان (أوق) للبيت الأول على النحو التالي :

أتاهُنَّ أنّ مياه الذُّها **

**ب فالمُلْج فالأوْق فالمِيثَبِ

ثم جاءت روايته في اللسان أيضاً (وثب) بقوله.

أتاهُنَّ أنّ مياه الذُّهاب **

**فالأوْرقَ فالملح فالمِيثَبِ

أما البيت الثاني فقد جاءت روايته في ديوان صاحبه النابغة الجعدي (24) بقوله : تُجرّي، بالجيم المعجمة.

92-11/617:

وأعْرَضَ من ذَهْبانَ مُغْرَوْرِقُ الذُّرا **

تُرَبِّعُ منه بالنِّطاف الحواجرُ

جاءت هذه الكلمة في معجم الحموي 9/3 بقوله: تربّع، بالباء الموحدة، أما كلمة مغرورق، فقد جاءت في ديوان كثير(373)، والحموي أيضا هكذا : مُغْرَوْرِف، بعين مهملة، وفاء.

93-14/617 : منه بصحن المحوِ زُرْقٌ غَمامُه**

** له سبَلٌ وأقْوَرٌ منه الغفائر

صدر البيت غير مستقيم الوزن، من الطويل، وصوابه يتم بقولنا، كما جاء في ديوان كثير (374)، ومنه ...، أي بإضافة الواو إلى بداية الصدر.

94-16/618: فخَرْجَيْ ذَرْوَة فَلوَى ذَبَال **

** يُعَفّى آيَهُ مَرُّ السنين

والصواب : ذيال، بالياء المثناة التحتية. (ديوان عبيد بن الأبرص : 145، والحموي 10/3، والبكري نفسه في الصفحة نفسها، البكري أيضاً 613/2).

95-13/621: فلبّدهُ مَسُّ القطار ورَجَّه

**نِعَاجُ رُؤافٍ قبل أن يتشدَّدا

جاءت رواية الأصل المخطوط لهذا البيت في ديوان ابن مقبل (66)، واللســـان (رجج، ورخخ) والحموي 75/3 بقولهما : ورَخّه، بالخاء المعجمة.

96-11/624: هُمُ منعوا النُّعْمانَ يوم رُؤيَّةٍ**

**من الماء في نَجْمٍ من القيْظ حانِفِ

والصـــواب، كما جاء في الأصل المخطوط لديوان الطرماح، والديوان المطبوع (513) هو : حاتن، بالتاء فالنون.

97-10/625: ونحن مَنَعْنا بين مَرّ ورابغ

**من الناس أن يُغْزَى وأن يُتَكنَّفُ

ضبط ياقوت 11/3 هذا الفعل هكذا : يتكنّفَا. أما ديوان كثير (483) فقـــد وافق البكري في الضبط، على الرغم من كون الفعـــل المضارع جاء مسبوقاً بأن الناصبة، ذلك أن البيت من قصـــيدة فائية مضمومة. وتجدر الإشارة إلى أن البكري أورد لعجز هذا البيت رواية أخرى هي : .. من الناس إذ نُغْزَى وإذ نُتكنّفُ. ثم نصّ على أن هذه الرواية أجود.

98-13/626:

سأُخبِرُكَ الأنْبَاءَ عن أمّ مَنْزِلٍ**

**تَصيّفتُها بين العُذَيْبِ، فراسِبِ

والصـــواب تضـــيفتها، بالضـــاد المعجمة. (ديوان القطامي :46، ومعاهد التنصيص 181/1).

وقد جاءت رواية الديوان بقوله. لمخبرك، باللام.

99-1/628:

صاح ترى برقاً بتُّ أرْقُبُهُ**

**ذات العِشاءِ في غمائمَ غُرّ

عجـــز الـــبيت غير مستقيم الوزن، من المنسرح، وصـــوابه يـــتمُّ بقولنا، كما جاء في ديوان صاحبه عبيد بن الأبـــرص (73): ذات العشـــا في غمائمٍ غرٍّ، مع ملاحظة أن القافيـــة جاءت في الديوان بالراء المشددة المكسورة، كما أن البيتين التاليين لهذا البيت جاءا غير مستقيمي الوزن !

100-11/628: حلّ الشَّقيقَ من العقيق ظَعائنٌ**

** فـــنـــزَلْنَ رامة أو حلَلْنَ نواها

والصـــواب : فنـــزَلْن رامة و احتللن نواها،، (ديوان القطامي : 118).

101-5/232: ولو خفْناكَ ما كنّا بضعْف**

**بذي خُشُبٍ نُعَزِّبُ والكُلاب

ضـــبط ديـــوان طفيل (97) هذه الكلمة بالراء المهملة المشددة : نعرّبُ

102-6/632: لكُنّا باليمامة أو لكُنّا **

** من المتقطِّرين على الجناب

جاءت رواية ديوان طفيل (91) لهذا البيت بقوله: أكُنّا ... من المتحدرين

103-7/632:

تواعَدْنا أضاخَهُمُ ونَفْنا**

** ومَنْعِجَهُمْ بأحياءٍ غِضاب

جـــاءت روايـــة ديوان طفيل (92) أيضاً بقوله: ونَقراً. ومن الجديـــر بالذكر أن الأبيات الأربعة، التي وردت معاً في هذه الصفحة لطفيل، تنتمي إلى قصيدتين اثنتين وليس إلى قصيدة واحدة !!

104-1/634: أتَنْسَوْنَ يَوْمَيْ رَحْرَحَانَ فقد بدا

**فوارسُ قيسٍ لابسينَ السَّنَوَّرا

جاء هذا البيت تلفيقاً من بيتين وردا في ديوان جرير (طبعة دار صعب : 186، 190) وهذان البيتان هما:

وأبناء إسحق الليوث إذا ارتدوا**

**محامل موتٍ لابسين السنوّرا

أتنسون يَوْمَيْ رحرحان كليهما

** وقد أشرع القوم الوشيج المؤمّرا

(ينظر أيضاً الحموي 36/3).

105-2/634:

تركتم بوادي رحرحَانَ نساءكم

**ويوم الصَّفا لا قيتم الشّعبَ أوْعَرا

والصواب : الشِّعْب، بكسر الشين المعجمة. وقد جاءت رواية ديوان جرير (190) بقوله : تركتَ، دونما ميم.

106-6/638:

تَوَاعَدْنَا الرُّبَيْق لننزلَنَّهُ

**ولم تشعُرْ إذن أنِّي خَليفُ

والصواب : تُواعِدُنا، بضم التاء، وكسر العين المهملة، وضم الدال المهملة (ديوان الهذليين: 99، مع الاختلاف في رواية البيت كما ذكر المحقق في هامش الصفحة أيضاً)

107-3/640: زعَمْتُمْ أن غَوْلا والرِّجامَ : لكمْ**

** ومَنْعِجا فاقصدوا والأمرُ مشترك

ضبط ديوان أوس بن حجر (80) كلمة "الرِّجام" بفتح الراء المهملة. وذكر محقق الديوان أن رواية البكري جاءت بقوله: فاقصدوا فالأمر، ولكن الذي جاء في معجم البكري هو ما أثبتناه هنا، وهو: والأمر، بالواو.

108-1/643:

قتيلٌ حَمَتْهُ الدُّبْرُ بين بُـيُوتِهم **

** لدى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفاء

والصواب : حَمَتْهُ، بالتاء المثناة الفوقية (ديوان حسان:259).

109-14/643:

سألتُ قومي وقد شُدَّتْ أباعرهم**

** ما بين رُحْبَةَ ذات العيصِ والعَدَن

والصواب : سَدَّت، بالسين المهملة. (المفضليات : 262).

110-4/647: ويوم رُحَيْخٍ صَبَّحَتْ جَمْعَ طَيِّـىءٍ

**عنا جيجُ يَحْملن الوشيجَ المُقوَّما

جاءت رواية هذا البيت، في ديوان صاحبه عامر ابن الطفيل (118)، على النحو التالي:

مجنّبة قد لاحها الغزو بعدما **

** تبارى مراخيها الوشيج المقوّما

111-17/647:

عُضَبٌ دَفَعْنَ من الأبارق من قَناً **

**بجنوب رِخَّةَ فالرِّقاق فيثقب

صدر البيت غير مستقيم الوزن، من الكامل، ويمكننا تصحيح وزنه، ومعناه أيضاً، بقولنا: عُصَبٌ دُفِعْنَ من الأبارق من قنا..

112-3/648:

وبين رُخَيَّاتٍ إلى جَنْبِ أَخْرُب

ولكن رواية ديوان امرئ القيس (386) لهذه الكلمة جاءت بالحاء المهملة، هكذا رحَيّات(انظر أيضاً الحموي 120/1، كما أشار البكري نفسه إلى هذه الرواية في معجمه 122/1).

وهذا الشطر هو عجز بيت صدره : خرجنا نريغ الوحش حول ثعالة**...

113 - 8/653: ونحن جَلَبْنا الخَيْلَ من جانبِ الملا**

** إلى أن تلاقت بالرِّشاءِ جنودها

جاءت رواية ديوان سحيم العبد (49) بقوله : جانب الغضى.

114-15/663: لما طَلَعْنَ من الرفيق عليّ في البَرَدانِ خَمْسا

جاءت رواية هذا البيت في ديوان صاحبه بشار بن برد 82/4 بقوله :من الرقيق، بقافين. كما جاءت روايته أيضا بقوله : بالبرّدان.

115-1/669:

لاقى البَديُّ الكُلابَ فاعْتَلَجا**

**سَيْلُ أَتِيَّيهما لمَنْ غَلَبا

والصواب : سيلُ، بضم اللام دونما تنوين. (البكري نفسه 1/ 141، 233) وقد جاءت رواية ديوان لبيد (31) بقوله : مَوْجُ.

116-5/671:

من الرَّوْضَـتَيْن فجَنْبَى رُكَيْحٍ**

**كلقْطِ المُضِلَّة حَلياً مُبانا

ضبط الحموي 65/3 شبه الجملة المشار إليها بقوله : كلفظ، بالفاء والظاء المعجمة.

ولكن ديوان كثيّر (211) جاء موافقاً، في الرسم والضبط، لما جاء في معجم البكري.

117-3/672: وأصبح قاراتُ الشغور بسابساً**

**تجاوَبُ في أرْءامهنّ الثعالبُ

جاءت رواية ديوان النابغة الجعدي (82) بقوله : آرامهن.

118-4/672: ولم يُمْسِ بالسِّيدان نَبْحٌ لسامع

** ولا ضوء نارٍ إن تنوّر راكبُ

والصواب : بالسِّيدان، بكسر السين المهملة المشددة (البكري 771/3، والحموي 294/3،وديوان النابغة الجعدي:182).

119-9/673:

بكَيْتم على الصُّلح الدُّماج ولم يكن

** بذي الرِّمْث من وادي تَبالة مِقْنَبُ

جاءت رواية ديوان أوس بن حجر(7)، والمقاييس 299/2 بقولهما : الدماج ومنكم.

120-5/674-6:

وَسَرْوَ وَشي كأن شِعْريَ أحياناً نسيبُ العيون من بِدَعِهْ

لا في رئام ولا قراه ولا**

زبيده مثله ولا رِمَعهْ

جاءت رواية ديوان أبي تمام 347/2 بقوله : وسرّ وشي، وريام، بالياء المثناة التحتية.

121-14/675: قذَفْن بفي من ساءهُنّ بصخرة

**وذَمَّ نجيلُ الرُّمتين وناصِلُهْ

والصواب : ساءَهُنّ، بفتح الهمزة، كما أن رواية ديوان طفيل (109) لعجز البيت جاءت بقوله: وناضله، بالضاد المعجمة.

122-14/677: يقولوا قد وَجَدْنا خيرَ طِرْفِ

**بِرَقْيَةَ لا يُهدُّ ولا يَخيبُ

ضبط ديوان الهذليين 93/1 هذه الكلمة بضم الراء المهملة : بُرُقْيَةَ

123-7/681: وغيّر آيات بنَعْف رُواوَة **

** توالى الليالي والمدى المتطاولُ

جاءت رواية ديوان كثيّر (455)،والحموي 75/3، واللسان (روى) بقولهم: ببرق رُواوة، وتنائي الليالي. ولعل أصل الكلمة الأخيرة هو : تتالي، بتاءين متواليتين.

124-4/688: وبالسَّفْح أبيات كأن رُسومَها**

**يمانٍ وَشَتْه رَيْدَةٌ وسَحُولُ

جاءت رواية ديوان طرفة (110) لصدر البيت بقوله : وبالسفح آيات، دونما باء.

125-6/689: عَرَفْتُ الدارَ قد أَقْوَتْ بريمِ**

** إلى لأيٍ فَمَدْفَعِ ذي يدوم**

ضبط الحموي 114/3، هذه الكلمة بالهمزة، هكذا : برئم، في حين تطابقت رواية ديوان كثيّر (344) ورواية البكري.

126-16/689: وما طوَيت ابنة البكري من أَمَمِ**

** من أهل رَيْمَانَ إلا حاجةٌ فينا

جاءت رواية الحموي 114/3، واللسان (بين) لصدر البيت بقولهما: لم تَسْرِ ليلى ولم تطرقْ لحاجتها ...وجاءت رواية ديوان ابن مقبل (316) له بقوله: لم تسر ليلى ولم تطرق بحاجتها...

127-10/697: تداركَ إرخاءَ العَرَادة كَلْمُها**

وقد جعَلَتْني من حَزيمة إصبَعَا

جاءت رواية المفضليات (32) لصدر البيت بقولها:

فأدرك إبقاء العَرَادة ظَلْعُها**...

أما رواية النوادر لأبي زيد الأنصاري (436) فجاءت بقوله:

وأدرك إبطاء العرادة كلمها**..

128-7/699: سقى الله ربُّ الناس سحّاً وديمةً**

جَنُوبَ الشَراة من مآبَ إلى زُغَرْ

ضبط الحموي 143/3، وديوان صاحب البيت حاتم الطائي (57) هذه الكلمة بالسين المهملة، هكذا : السَّراة.

129-3/703: تُهدي زنانيرُ أرواحَ المَصيفِ لها**

ومن ثنايا فروج الكَوْر تُهْدينا

جاءت رواية الحموي 152/3 و : 489/4، بقوله فروخ الكور تأتينا. أما ديوان ابن مقبل (318) فقد وافقت روايته رواية البكري. وقد جاءت رواية اللسان (زنر) بقوله : ومن ثنايا فروج الغور ... (انظر المقاييس أيضاً 28/3).

130-14/703: تَبيَّنْ هل بيَثْربَ زَنْدَوَرْدٌ**

قرى آباتك النَّبطِ العلاج

والصواب : آبائك، بالهمزة.

131-7/704: أتعرفُ رَسماً بين رُهْمانَ فالرَّقَمْ **

**إلى ذمى مراهيط كما خُطَّ بالقلَمْ

والصواب : إلى ذي، بحذف الميم من بنية الكلمة (ديوان كعب : 61) وقد جاءت رواية الديوان بقوله : رهمان، بالراء المهملة.

مصادر البحث ومراجعه

1- أساس البلاغة. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة، 1979م.

2- إصلاح المنطق، ابن السكّيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط.2، القاهرة: دار المعارف، 1956م.

3- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة: دار القومية العربية للطباعة، 64-1976م.

4- دراسات في الأدب العربي. غوستاف فون غرنباوم، ترجمة إحسان عباس وآخرين، إشراف محمد يوسف نجم، بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت).

5- ديوان ابن مقبل. تحقيق عزة حسن، دمشق: مديرية إحياء التراث القديم، 1962م.

6- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، 1964م.

7- ديوان أبي نواس. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. بيروت : دار الكتاب العربي، 1953 م.

8- ديوان الأخطل، شرح محمد محمد ناصر الدين .ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م.

9- ديوان أشعار الأمير أبي العباس (ابن المعتز) تحقيق محمد بديع شريف، القاهرة : دار المعارف، 1977 م.

10- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق د.م. محمد حسين، القاهرة: مكتبة الأدب بالجماميز، 1950م.

11- ديوان أمرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط.4، القاهرة: دار المعارف، 1984م.

12- ديوان امرئ القيس. ضبطه وصحّحه مصطفى عبد الشافي. بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

13- ديوان أوس بن حجر. تحقيق محمد يوسف نجم. ط2، بيروت: دار صادر، 1967م.

14- ديوان بشار بن برد. شرح محمد الطاهر بن عاشور ومراجعة محمد شوقي أمين . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.

15- ديوان جرير. بيروت: دار صادر (د.ت).

16- ديوان حُمَيْد بن ثَوْر. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.

17- ديوان دريد بن الصمّة الجشمي. تحقيق محمد خير البقاعي. بيروت: دار صعب، 1981م.

18- ديوان ذي الرّمة. تحقيق عبد القدوس أبو صالح . ط1 بيروت : مؤسسة الإيمان، 1982 م.

19- ديوان الراعي النميري. تحقيق راينهرت فايبرت. بيروت: فرانتس شتاينر، بفيسبادن، 1980م.

20- ديوان سحيم. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.

21- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق صلاح الدين الهادي. القاهرة: دار المعارف، 1977م.

22- ديوان طرفة بن العبد. تحقيق كرم البستاني . بيروت: مكتبة صادر، 1953م.

23- ديوان الطرماح. تحقيق عزة حسن. دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، 1968م.

24- ديوان الطفيل الغنوي.تحقيق محمد عبد القادر أحمد،ط 1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1968م.

25- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1964م.

26- ديوان القطامي. تحقيق ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. بيروت: دار الثقافة، 1960م.

27- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق ناصر الدين الأسد ط.2 بيروت: دار صادر، 1967 م

28- ديوان كثير عزّة . تحقيق احسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1971م.

29- ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة: دار المعارف، 1977م.

30- ديوان النابغة الذبياني. شرح عباس عبد الساتر.ط 2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.

31- ديوان الهذليين. أبو سعيد السكري. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.

32- السيرة النبوية. أبو محمد عبد الملك بن هشام. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1936م.

33- شرح ديوان الأخطل التغلبي. ايليا سليم الحاوي. بيروت : دار الثقافة.

34- شرح ديوان أمية بن أبي الصلت. تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1970.

35- شرح ديوان جرير. تحقيق ايليا الحاوي .ط 1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة 1982م.

36- شرح ديوان حاتم الطائي. شرح ابراهيم الجزيني ط 1 . بيروت

: دار الكاتب العربي، 1968 م.

37- شـــرح ديوان حسان بن ثابت. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الأندلس، 1966م.

38- شرح ديوان عبيد بن الأبرص. بيروت : دار صادر، 1958 م.

39- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الأندلس (د.ت).

40- .شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة. شرح عبد علي مهنا .ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.

41- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر،1950م.

42- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. تحقيق إحسان عباس. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1962 م.

43- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. تحقيق عبد السلام هارون. ط4. القاهرة : دار المعارف، 1980 م.

44- شعر ابن ميّادة، تحقيق حنا جميل حداد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م.

45- شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل سليمان جمال. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

46- شعر الأخطل، تحقيق فخر الدين قباوة، ط2، بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1979م.

47- شعر النابغة الجعدي. ط1، دمشق: منشورات المكتب الإسلامي، 1964م.

48- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .ط 3، بيروت: دار العلم للملايين، 1984م.

49- طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي. تحقيق محمود شاكر. القاهرة : دار المعارف 1952 م.

50- القاموس المحيط. أبو طاهر مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزابادي .ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م.

51- كتاب النوادر في اللغة. أبو زيد الأنصاري. تحقيق محمد عبد القادر أحمد ط1. بيروت: دار الشروق، 1981م.

52- لسان العرب. ابن منظور. تحقيق عبد الله الكبير وآخرين. القاهرة: دار المعارف، 1981م.

53- مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان .ط2. بيروث: مؤسسة الرسالة، 1986م.

54- مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق وليم بن الورد البروسي. ط1. بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1979م.

55- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. ابن سيده. تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار وآخرين، ط 1. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1958م.

56- كتاب الأمالي . أبو علي القالي. بيروت : دار الفكر. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية . 1926 م.

57- معجم الأدباء. ياقوت الحموي. ط3 بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1980م

58- معجم البلدان. ياقوت الحموي. بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1984م.

59- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق عبد السلام هارون، ط2 . القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1969م.

60- المعجم الوسيط. ابراهيم أنيس وآخرين . ط2 بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1973 م.

61- المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي. تحقيق ف عبد الرحيم. دمشق: دار القلم، 1990م.

62- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط 7. القاهرة: دار المعارف، 1983م.

II- دراسات معجمية ومصطلحية

في الاصطلاح والمصطلح

ذ. محمد الزكراوي (*)

لم تعرف العرب — في الجاهلية ولا في فجر الإسلام — لفظ الاصطلاح ولفظ المصطلح، بالمعنى الذي لهما في العلم المسمى باسمهما ، فلذلك لم يقع هذان اللفظان بذلك المعنى في معجمات اللغة العربية المشهورة،مثل جمهرة ابن دريد وصحاح الجوهري ومقاييس ابن فارس ولسان ابن منظور ومصباح الفيومي وقاموس الفيروزابادي، وإنما فيها الاصطلاح بمعنى التصالح والمصالحة واصطلح بمعنى تصالح، بيد أن أهل العلوم والصناعات — لاسيما بعد ظهور الإسلام — كانوا في حاجة إلى لفظ جامع يدلون به على ما استحدثوه من مفاهيم ومعان في مباحثهم و دراساتهم، ولم يقع بينهم اتفاق في بادئ الأمر على كلمة واحدة يستعملونها جميعاً للإشارة إلى الاصطلاح ، فرأيناهم في مصنفاتهم يتداولون ألفاظا تناهز العشرة- فيما استطعنا أن نحصيه- تدل كلها على الاصطلاح والمصطلح.

1- ألفاظ الاصطلاح

وأهم تلك الألفاظ وأكثرها جريانا على ألسنتهم — ورقما على صحائف كتبهم — الاسم واللفظ واللقب. قال الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في كتاب "الرسالة" [1] وسأله سائل : "ما القياس؟ أهو الاجتهاد أم هما متفرقان؟ (قال): هما اسمان لمعنى واحد "؛ثم أضاف بعد صفحات يسيرة: "والقياس وجوه يجمعها القياس"، يريد أن اسم القياس، أو مصطلح القياس، يطلق على مسمى له وجوه كثيرة يجمعها ما به سميت قياسا. وقال القاسم بن سلام (ت 224هـ) في كتاب"الأموال " [2] " فالأموال التي تليها أئمة المسلمين هي هذه الثلاثة التي ذكر عمر (بن الخطاب)، وتأولها من كتاب الله عز وجل: الفيء والخمس والصدقة؛ وهي أسماء مجملة يجمع كل واحد منها أنواعا من المال ". وقال الجاحظ (ت225هـ) في كتاب "البيان والتبيين"[3]: "وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك ألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء". وقال ابن المعتز (ت296هـ) في كتاب "البديع" [4]: "البديع اسم موضوع لفنون من الشعر". وقال أبو حاتم الرازي (ت322هـ) في كتاب "الزينة": "هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج الفقهاء إلى معرفتها"[5]وقال ابن ولاد (ت 332 هـ) في كتاب "المقصور والممدود"[6]: و المقصور في اللغة اسم عام لكل ما قصر من كلام أو غيره، وإنما جعله النحويون لكل اسم كانت في أخره ألف في اللفظ ". وللفارابي (ت 339 هـ) كتاب نشر بعنوان "كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق "، ولابن حزم (ت456هـ) رسالة" في تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول ". وقال ابن رشيق (ت456 هـ) في كتاب "العمدة "[7] في حديثه عن الإيجاز: "ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة ". وقال ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في كتاب "سر الفصاحة"[8]: "ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب ألفاظ المتكلمين

(*) أستاذ باحث – المغرب

والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم، لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام اصحاب تلك الصناعة". وقال أيضا بعد أوراق يسيرة: "وقد صنف العلماء في باب القوافي كتبا بينوا فيها ما تجب إعادته، ووضعوا لتلك الحروف والحركات أسماء". وقال السيرافي (ت 368هـ) في كتاب "صنعة الشعر"[9]: "هذا باب الألقاب، اعلم أن ألقاب العروض تنفع في علمه ومعرفة أجزائه ". وقال الخطيب التبريزي (ت502هـ) في كتاب "الكافي في العروض والقوافي " [10]: "وهذه بقية الألقاب التي يجب معرفتها في علم العروض" وقال الآمدي (ت 370هـ) في كتاب "الموازنة ":[11] "وهذا باب- أعني المطابق- لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر".. المتكافئ، وسمى ضربا من المجانس المطابق... وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي الفرج، فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الألفاظ غير محظورة، فإني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره، ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها، إذ قد سبقوه إلى اللقب وكفوه المؤونة". وجمع ابن خلدون(ت 808 هـ) بين اللفظ واللقب في قوله في الفقهاء[12]: "ولهم (في الحديث) ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة، مثل الصحيح والحسن، والضعيف والمرسل، والمنقطع والمعضل، والشاذ والغريب، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم ". وعقد السيوطي (ت911 هـ) في كتاب "المزهر" فصلا سماه "النوع العشرون في معرفة الألفاظ الإسلامية" نقل فيه عن أبي الفتح بن برهان (520هـ) قوله: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل (ألفاظا ذكرها ابن برهان) من اللغة إلى الشرع، ولا تخرج بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب، وهو المجاز؛ وكذلك كل ما استحدثه أهل العلوم والصناعات من الأسامي، كأهل العروض والنحو والفقه، وتسميتهم النقض والمنع والكسر والقلب وغير ذلك، والرفع والنصب والخفض، والمديد والطويل، وصاحب الشرع إذ أتى بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها من علوم حار الأولون والآخرون في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب، فلا بد من أسامي تدل على تلك المعاني".

إذاً ، إلى حدود الربع الأول من القرن السادس الهجري، لم يعرف علماء العرب من الألفاظ الجامعة لمعنى الاصطلاح والمصطلح سوى الألفاظ التي ذكرناها، وهي اللفظ والاسم واللقب، ولم يتفقوا على اسم واحد اتفاق العلماء اليوم على اسم "المصطلح ". ولا يذهبن أحد إلى أن هذه الأقوال لا يستوي أصحابها جميعا في مرتبة واحدة من الوعي بالاصطلاح وبالمفهوم الذي وضع له ذلك الاصطلاح، بدعوى أن ظاهر بعضها يوهم بأن أصحابها إنما قصدوا بما سموه "لفظا" و "اسما) " و "لقبا" ما يسمى به الشيء ليتميز عن غيره ويتعين عما عداه، وأنهم لم يكونوا على بينة من أنه اصطلاح، أي لفظ داخل في نظام متناسق متجانس من المفاهيم وضع للدلالة عليه نظام متجانس متناسق أيضا من الاصطلاحات، تعبر فيه تعريفات هذه عن مضامين تلك وليس مجرد اسم على مسمى لا يختلف في شيء عن غيره من الأسماء التي تطلق في لغة على المسميات؛ فتلك دعوى باطلة، سنبين في محله وجه بطلانها؛ وإنما مرادنا الآن التنصيص على أن هؤلاء العلماء جميعا وغيرهم ممن لم نذكرهم سموا الاصطلاحات التي استحدثوها واخترعوها رأسا، أو تواضعوا عليها فيما بينهم أسماء وأسامي وألفاظا وألقاباً، ولم يرد عند أحدهم البتة لفظ "الاصطلاح" ولا لفظ "المصطلح" [13]

واستعمل القدماء أيضاً "الكلمة"بمعنى "الاصطلاح"، فكتاب الزينة الذي تقدم ذكره عنوانه الكامل هو "كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية" . وقد أكد واحد من أعلام المنظرين المعاصرين لعلم الاصطلاح [14] أن الكلمات، أي أصغر وحدات اللغة، هي قطب رحى هذا العلم، ولا يخفى عليه أن لعلماء اللغة المعاصرين اصطلاحات كثيرة دلوا بها على وحدات في اللغة أصغر من الكلمة، لكنها عنده لا تفي بما تفي به الكلمة في هذا العلم. ، وأطلقوا أيضاً لفظ "اللغة" على الاصطلاح. قال الغزالي (ت 505 هـ) في الفلاسفة إنه لا "يمكن مناظرتهم إلا بلغتهم"[15]، أي بما اصطلحوا عليه من الألفاظ. وللعكبري (ت 616 هـ) كتاب سماه "لغة الفقه"، ولا شك أن المراد عنده هو اصطلاحات الفقهاء. وقال طاش كبرى زاده (ت968 هـ) في "مفتاح السعادة"[16]: "ومما يختص بلغة الفقهيات "المغرب" للمطرزي". وربما دل لفظ "الأوضاع" أيضاً على الاصطلاحات: فقد ورد في عنوان مصنف للزفتاوي (957هـ) هو "منهاج الإصابة في أوضاع الكتابة "[17]، ولعله يريد بالأوضاع هنا الاصطلاحات وغيرها من التقاليد والرسوم التي جرت عليها العادة في دواوين الكتاب. وقالوا كذلك "الكلام" يريدون "الاصطلاح" وقد قدمنا شاهداً عليه، وقال ابن النديم(ت385هـ) في الفهرست [18] في ترجمة الفراء، نقلا عن ثعلب،قال: "وكان الفراء يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته. (قال ابن النديم شارحاً): يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة".

وورد في كتب علماء القرآن والحديث خاصة لفظ يوشك أن يكون دالا على الاصطلاح، هو لفظ "الغريب". وذلك أنه " لما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت" [19]، فصار لألفاظ المؤمن والمسلم والمنافق والكفر والفسق والصلاة والصوم وغيرها معان مختلفة عما تعارفته العرب قبل الإسلام. وقد قدمنا أن ابن برهان ذكر أن صاحب الشرع أتى "بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها". وقال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) في مقدمة كتابه "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" : "لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسموه غريب القرآن " [20].

وذكر ابن خلدون أن أئمة علم الحديث لا يفوقم أبدا أن يأتوا في مصنفاتهم " بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث، من غريب أو مشكل أو تصحيف" [21]بل ربما أفردوا عن مسائله "الناسخ" والمنسوخ فيجعل فنا برأسه، وكذا الغريب " [22]. وذكر القفطي (ت646هـ) في كتابه " إنباه الرواة " "كتاب" غريب القرآن لأبي عبد (الرحمان بن اليزيدي (ت237هـ) وقال إنه "يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر [23]. وللراغب الأصفهاني (ت 502هـ) كتاب عنوانه "المفردات في غريب القرآن" [24] قال في أوله: "ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب... وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم وشعرهم". يتضح مما تقدم أن هذه الكتب تجمع بين اللغة العامة واللغة الخاصة، أي لغة التخاطب ولغة أهل الصناعة، فلولا أنها جامعة – تحت اسم "الغريب"– لمعاني الألفاظ اللغوية والألفاظ الاصطلاحية على حد سواء لكان لفظ "الغريب" من المفردات القائمة في التراث العربي الإسلامي مقام

الاصطلاح والمصطلح مثلما دلت عليه الألفاظ المذكورة قبل، ولكانت الكتب المؤلفة فيه حقيقة بأن تعد جوامع اصطلاحية.

قلنا إن القدماء استعملوا الألفاظ التي أحصيناها دالين بها على الاصطلاح، وأنهم لم يستعملوا لفظ الاصطلاح البتة، واستشهدنا على ذلك بأقوالهم ، بَدْءاً بعلماء القرن الثاني (كالخليل بن أحمد)، وانتهاء بعلماء القرن العاشر(كالسيوطي)؛ وإنما جزمنا بذلك ابتغاء الوضوح في العرض وحتى لا تختلط الأمور ببعضها ، وإلا فلفظ "الاصطلاح" يكاد يكون قديما قدم تلك الألفاظ التي قامت مقامه. وقد بدأ العلماء يستعملونه – فيما استطلعنا الوقوف عليه من مصنفاتهم – ابتداء من القرن الرابع، وهي الحقبة التي بلغت فيها الحركة الفكرية والعلمية العربية الإسلامية أوجها وذروتها . وأول من ذكر الاصطلاح بالمعنى الذي نريده هو محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب (ت 387هـ) في كتابه "مفاتيح العلوم" قال في مقدمته إن غرضه فيه أن يكون "جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات، التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة " [25]. وجاء أيضاً لفظ "الاصطلاح" بالمعنى الذي نقصده في إحدى رسائل محي الدين الأصفهاني (ت بعد441هـ)، وهو نصراني، قال في رسالة سماها "رسالة أشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث "[26]: " إن لكل من الملتين والنحلتين (يعني اليعاقبة والنساطرة)، بل من أرباب الحرف والصنائع، عبارات اصطلحوا عليها، واصطلاحات تداولوها فيما بينهم". وورد لفظ "الاصطلاح" في كتاب الغزالي المسمى "معيار العلم" : فقد عقد فيه فصلا لإطلاع المتعلم "على معاني أسماء أطلقها الفلاسفة، إذ لم يمكن مناظرتهم إلا بلغتهم وعلى حكم اصطلاحاتهم " [27].

وذكر أن "المستعمل في الإلهيات خمسة عشر لفظاً"، فسماها وعرفها في قسم أول، وجعل القسم الثاني للألفاظ المستعملة في الطبيعيات، قال: "ونذكر منها خمسة وخمسين لفظاً". وفي مقدمة هذا الكتاب قال إنّ أحد الباعثين له على تصنيفه هو "الإطلاع على ما أودعناه كتاب تهافت الفلاسفة، فإنا ناظرناهم بلغتهم، وخاطبناهم على حكم اصطلاحاتهم التي تواطؤوا عليها في المنطق". وجاء لفظ "الاصطلاح" أيضاً في عنوان كتابين من كتب الصوفية وفي متن الثاني منهما، أولهما لابن عربي (ت638هـ)، قال حاجي خليفة" [28] : "صنفه في صفر سنة خمس عشرة وستمائة"، والثاني للكاشاني (ت730هـ)، والظاهر أن عنوان الأول ليس من وضع المؤلف. قال ابن عربي في مقدمة رسالته في "اصطلاحات الصوفية" [29]: "أما بعد،فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون، (وإن الناس) سألونا في مطالعة مصنفاتنا ومصنفات أهل طريقنا، مع عدم معرفتهم بما توطأنا عليه من الألفاظ التي بها يفهم بعضنا عن بعض، كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم" . وقال الكاشاني في أول كتابه [30]: "وبعد، فإنني لما فرغت من تسويد كتاب شرح منازل السائرين، وكان الكلام فيه ... مبنيا على اصطلاحات الصوفية، ولم يتعارفها أكثر أهل العلوم المعقولة والمنقولة، ولم تشتهر بينهم، سألوني أن أشرحها لهم" [30]. وتكرر لفظ "الاصطلاح" أكثر من عشرين مرة في مقدمة ابن خلدون [32]، لكثرة العلوم والفنون والصناعات التي عقد فيها الكلام عليها، ولوعيه أيضاً بقيمة الاصطلاح . ثم وضع العلامة علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني (ت816هـ) كتابه الشهير الموسوم بالتعريفات، فذكر فيه الاصطلاح وعرفه،

فقال : "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول" [33]. وخير ختام لما قلناه على الاصطلاح هذه الكلمة التي يتبين فيها منـــزلة الاصطلاح من العلم. قال حاجي خليفة (ت 1067هـ) في كتابه " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، في فصل أرخ فيه لتدوين العلم [34] : "أخذوا في تدوين الفقه والحديث وعلوم القرآن، واشتغلوا بالنظر والاستدلال، والاجتهاد والاستنباط، وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول، وتكثير المسائل بأدلتها، وإيراد الشبهة بأجوبتها، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبيين المذاهب والاختلافات".

أما لفظ "المصطلح" الذي كثر جريانه اليوم على ألسنة المهتمين بشؤون الاصطلاح وغيرهم،فقد زعم بعض الباحثين[35] أنه غير صحيح لغة إلا أن يقال: المصطلح عليه، لأن "اصطلح" يتعدى بحرف الجر " على" فينبغي لاسم المفعول المشتق منه أن يتعدى تعديته، مثل ما قال أبو بكر الرازي(ت313هـ): "خبرني عمن علم أن المنادى بالنداء المفرد مرفوع، وأن المنادى بالنداء المضاف منصوب، أعلم أمراً اضطراريا طبيعيا أم شيئاً مصطلحاً عليه باجتماع من بعض الناس عليه دون بعض"[36]، ومثل ما قال الإمام السهيلي (ت 581هـ): " وأما الفعل والحرف فعبارتان مصطلح عليهما عند النحويين" [37]، وادعى هذا الباحث " أن أسلافنا لم يستخدموا" هذه الكلمة. ولو أجال الطرف في صفحات التراث لوقع على العجب العجاب، وذلك أن لفظ "المصطلح" قديم في الآداب العربية، يعود أول استعمال له — فيما استطعنا الوقوف عليه منها— إلى النصف الأول من القرن السادس. ففيه عاش أبو منصور البروي الفقيه الشافعي (ت 567هـ) وألف كتابه المشهور الموسوم بالمقترح في المصطلح[38]، قال فيه ابن خلكان" : وأكثر اشتغال الفقهاء به، وقد شرحه الفقيه تقي الدين المصري المشهور بالمقترح... واشتهر باسمه لكونه يحفظه، فلا يقال له إلا التقي المقترح". ثم ألف ابن عربي كتاب "رشح الزلال في مصطلحات أرباب الأذواق والأحوال" [39]، وابن فضل الله العمري (ت749هـ) كتاب" التعريف بالمصطلح الشريف"[40]، والطرسوسي (ت758هـ) كتاب"الإعلام بضبط مصطلح الشهود والحكام"[41]، والجرجاني (ت 788هـ) كتاب "المواهب الإلهية في مصطلح الديار المصرية"[42]،وابن القاصح (ت801هـ)كتاب "مصطلح الإشارات في القراءات الثلاثة عشر المروية عن الثقات"[43]،وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) رسالة "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"[44]،وشرحها القاري (ت 1014هـ) وسمى شرحه "مصطلحات أهل الأثر على شرح نخبة الفكر"[45]وصنف علي خان الهندي(ت1069هـ) كتاب"مصطلحات الشعراء"[46]، والدمياطي المعروف بابن الميت (1140هـ) كتاب "صفوة الملح بشرح البيقونية في المصطلح"[47]، ووضع الحريشي الفاسي (ت1145هـ) مصنفاً سماه "شرح منظومة ابن زكري في المصطلح" [48]، بل لقد جاء لفظ "المصطلح" في عنوان كتابين ألفهما صاحباهما بالفارسية ، أولهما "مصطلحات الشعراء" لوارسته اللاهوري، و الثاني "مصطلحات شاه جيهاني" لمحمد أحسن البلكراني الهندي[49]،وذكر طاش كبرى زاده[50] في الفصل الذي خصه لعلم الترسل كتابا سماه "مصطلح الكتاب وبلغاء دواوين الحساب "، ولم ينسبه إلى أحد. ومعنى لفظ "المصطلح" في جلها — إن لم يكن فيها كلها— هو الوحدة الاصطلاحية المعتمدة في علم الاصطلاح، يدل على ذلك إيرادهم هذه اللفظة بصيغة الجمع.

ولم نجد لفظ "المصطلح" في عناوين الكتب فحسب، بل في متونها أيضاً. استعمله الصفدي (ت 674هـ) في كتابه " فض الختام عن التورية والاستخدام" ، الذي فرغ منه – على ما جاء في مقدمة محققه، [51] – قبل ثماني عشرة سنة من وفاته، أي قبل سنة 746هـ ذكر في أول الكتاب أن التورية- وهي باب من أبواب البديع- لم تكن مقصودة لذاتها عند الشعراء المتقدمين ، وأن المعتني بها هم الشعراء المحدثون، وأتى بأمثلة من شعر هؤلاء وهؤلاء، قدم أحدها بقوله [52]:

"ومن هذه الملح، في هذا المصطلح"، ثم أنشد بيتين فيهما تورية. فلا يخلو: إما أنه أراد بالمصطلح ما نعرفه اليوم، فسمى التورية المذكورة قبل مصطلحا، وإما أنه أراد النهج والمهيع والطريقة، لكن تكلف السجع اضطره إلى الإتيان بلفظ "المصطلح" ليناسب قوله "الملح"؛ وكيف السبيل إلى ترجيح إرادة المعنى الثاني ولم نجد له في كتب اللغة أشباها ونظائر تسوغ القول به، إذ لفظ "المصطلح" منعدم فيها البتة، فلا يبقى إلا الأول. واستعمل ابن خلدون هذا اللفظ أيضاً في عدة مواضع من مقدمته وفي موضعين من سيرته المسماة بالتعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا. قال في المقدمة [53]: " وقد يفرد كل صنف (من هذه الوظيفة) بناظر، كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر وإقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك، على حساب مصطلح الدولة وما قرره أولوها". وقال فيها أيضاً [54]: "إن المتأخرين من الكتاب اصطلحوا على وصل كلمات بعضها ببعض، وحذف حروف معروفة عندهم، لا يعرفها إلا أهل مصطلحهم، فتستعجم على غيرهم، لكثرة موارد الكتابة عليهم، وشهرة كتابتهم، وإحاطة كثير ممن دونهم بمصطلحهم، فإن كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي أن يعدلوا عن ذلك إلى البيان ما استطاعوا" . وعنون أحد فصول المقدمة بقوله: " فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان ... "

وذكر في التعريف بنفسه أنه ولي خطة القضاء مرة فعاداه قوم من المشعوذة ، فحكى من أمرهم معه ما حكى، إلى أن قال [55] : و"تبين أمرهم للسلطان، وأمضيت فيها (يعني حكومة ذكرها) حكم الله تعالى إرغاما لهم، "فغدوا على حرد قادرين"، ودسوا لأولياء السلطان وعظماء الدولة يقبحون لهم إهمال جاههم ورد شفاعاتهم، مموهين أن الحامل على ذلك جهل المصطلح (...) وعن قريب تداركني اللطف الرباني، وشملتني نعمة السلطان – أيده الله- في النظر بعين الرحمة، وتخلية سبيلي من هذه العهدة التي لم أطق حملها، ولا عرفت – كما زعموا- مصطلحها، فردها إلى صاحبها الأول". وذكر الأستاذ دوزي من مادة "صلح" في قاموسه المسمى "تكملة المعاجم العربية" هذا الموضع الأخير من كلام ابن خلدون، وترجم لفظ المصطلح فيه بما معناه: الأعراف الجارية والتقاليد السائدة والرسوم المتبعة. ولئن كانت ترجمة الأستاذ صحيحة في الموضع المذكور من كلام ابن خلدون، وأيضاً في أول المواضع التي نقلناها هنا عنه، وهو في كلامه على الدواوين والأعمال، فمن البين أن المصطلح في المواضع الأخرى مرادف للاصطلاح بالمعنى الذي له اليوم. فلو استبدلت بلفظ المصطلح من قوله " في مصطلح أهل البيان "لفظ" الاصطلاح" فقلت: "فصل في تفسير الذوق في اصطلاح أهل البيان" لما تغير المعنى في شيء.

واستعمل لفظ "المصطلح" أيضاً العلامة السيوطي، وهو من هو في علوم اللغة وغيرها. قال في "الإتقان" في علوم القرآن "[56] : "وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير، الذي هو كمصطلح الحديث، فلم يدونه أحد لا في القديم ولا في

الحديث". وورد لفظ "المصطلح" كذلك في تذكرة الأنطاكي (ت1008هـ)، وقد فرغ من تأليفهما 976هـ ففي الباب الثاني منها ذكر جماعة من المؤلفين في الطب من العجم، وقال: " حتى أتى الفاضل المعرب، والكامل المجرب، اسحق بن حنين النيسابوري، فعرب اليونانيات والسريانيات، وأضاف إليها مصطلح الأقباط، لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكية" (57). وجعل التهانوي (ت1158هـ) الفن الأول من كتابه "كشاف اصطلاحات الفنون" في الكلام على "الألفاظ المصطلحية العربية"، (قال): "ونذكر فيه الألفاظ غير المصطلحية" (58) ووقع لفظ "المصطلح" أيضاً في كتاب" أزهار الرياض في أخبار عياض" (59) في ما نقله المقري (ت 1041هـ) عن "بعض المتأخرين قال: " وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدونة اصطلاحان: اصطلاح عراقي واصطلاح قروي. فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس... أما الاصطلاح القروي فهو البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب". واستعمل هذا اللفظ عدد من أعلام المحققين المعاصرين: منهم الشيخ أحمد محمد شاكر. قال في مقدمة تحقيقه لكتاب الرسالة للشافعي ردا على الدكتور زكي مبارك فيما طعن فيه على الإمام: " ولكن الدكتور زكي مبارك فاته هذا عند علماء المصطلح " (60). وكان الشيخ شاكر قد ألف قبل تحقيق "الرسالة كتابا سماه "شرح ألفية السيوطي في المصطلح". ومنهم محقق مقدمة ابن خلدون وناشرها الدكتور علي عبد الواحد وافي، فأول عنوان في التصدير الذي جعله بين يدي نشرته للمقدمة قوله: "مقدمة في التعريف بهذه الطبعة ومصطلحاتها". ومنهم الدكتور إبراهيم مدكور، قال في تصدير الطبعة الأولى للمعجم الوسيط (61) إن مجمع اللغة العربية بمصر "طلبت إليه وزارة المعارف ... أن يسعف العالم العربي بمعجم (يكون) مشتملاً على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير، وعلى مصطلحات العلوم والفنون "وأضاف أن المجمع "قصر همه على اللغة قديمها وحديثها، وتوسع في المصطلحات العلمية الشائعة". ومنهم الدكتور إحسان عباس محقق معجم الأدباء لياقوت الحموي، ذكر فيه (62) "معجم البلدان" لياقوت أيضاً وقال إنه تناول في مقدمته موضوعات أحصاها، وذكر من بينها موضوع "المصطلحات التي يتكرر ذكرها في الكتاب، كالبريد والفرسخ والكورة والإقليم، ومصطلحات الأرض المفتوحة وأنواع الضرائب"، وهو لا ينقل عن ياقوت، لأن ياقوتا لم يستعمل البتة لفظ "المصطلح".هؤلاء العلماء جميعاً، القدماء منهم والمحدثون ، استصوبوا اسم المفعول مع إسقاط حرف التعدية المعتاد — وهو "على" — واستعملوه، وعزفوا عن اللفظ الجاري في مثل سياقه — وهو الاصطلاح— وأهملوه.

يستفاد مما تقدم أن لفظ "الاصطلاح" بالمعنى المقصود ههنا ظهر في الآداب العربية في القرن الرابع، ولا يخفى على أحد أن اللفظ — بما هو تسمية— لا تظهر الحاجة إليه إلا إذا وجد مسماه، مما يفيد أن الوعي بالشأن الاصطلاحي قد بلغ أشده في ذلك العهد. على أن المسمى قد يكون موجوداً ولا اسم له، أعني اسما واحداً مجمعاً عليه، وهو ما حدث للاصطلاح في التراث العربي، إذ نشأت في الأمة العربية علوم مختلفة، لكل واحد منها اصطلاحاته ومفاهيمه، لكن الألفاظ الدالة على جماع الاصطلاحات، مثل لفظ "المصطلح"، لم تكن موحدة ، فرأيناهم يقولون: اللفظ، واللقب والاسم والتسمية والكلمة واللغة والعبارة والكلام، كل أولئك بمعنى الاصطلاح، ثم ظهر بعد "الاصطلاح" لفظ " المصطلح "

في القرن السادس، وكان معناه يتراوح بين الإفراد والجمع، فتارة يدل على المصطلح- الوحدة، وتارة يتسع ليشمل جميع الاصطلاحات ، فيستعمل استعمال اسم الجمع واسم الجنس، وما زال على هذه الحال إلى يوم الناس هذا، يشهد عليه قول العامة والخاصة: مصطلح الحديث. لكن لفظ "المصطلح" تخص – عند ذوي الاختصاص – للدلالة على الوحدة الاصطلاحية المعلومة.

2- موارد الاصطلاح وأسسه

لقد كان علماء المسلمين – أعني السباقين منهم إلى وضع العلوم- على بينة من ضرورة المصطلح المميز عن مفردات اللغة، لإدراكهم أنهم يستنبطون علماً برأسه وفناً قائماً بذاته. فلا يتعين العلم بموضوع خاص به إلا وتظهر الحاجة إلى مصطلحات خاصة به أيضاً، تنعت بها ظواهره ووقائعه، وتسمى بها مسائله ولواحقه وكل ما يمت إليه بسبب. وكما أن تسمية الأشياء الموجودة أو المتوهمة أمر مستقر في جبلة الإنسان وطبيعته، فكذلك وضع المصطلحات على الأمور المكتشفة أو المخترعة في العلوم والصناعات أمر ثابت في صميم نشاط العالم، بل عليه ينبني أوفر نصيب من العلم الذي يستنبطه ويؤسس قواعده

فنقد الحديث مثلا – وهو علم الجرح والتعديل- لم يصبح علماً قائم الذات إلا بعد ما رتب ابن أبي حاتم (ت327هـ) ألفاظ الجرح والتعديل، وعين أبو سليمان الخطابي(388هـ) أقسام الحديث الثلاثة الكبرى، وهي الصحيح والحسن والضعيف (63)، إلى غير ذلك من اصطلاحاته التي وضعها وضبطها غيرهما من العلماء. وكان هذا دأب علماء هذه الملة من قدتم. فهذا الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) لما وضع العروض أدرك أن الوقائع التي وقف عليها فيه لا بد لها من أسماء تميزها، فجعل لكل حالة اسما خاصاً. قال (64): " رتبت البيت من الشعر على ترتيب البيت من بيوت العرب الشعر، فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع في الشعر والمخفوض على قافية واحدة، كقول النابغة: عجلان ذا زاد وغير مزود، ثم قال: وبذاك خبرنا الغراب الأسود... وسميت تغير ما قبل حرف الروي سناداً ...، ومثل ذلك من الشعر: فاملئي وجهك الجميل خموشا، ثم قال: وبنا سميت قريش قريشاً". وتذكر كتب التراجم (65) أن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت215هـ) زاد في أوزان العروض التي وضعها الخليل وزنا آخر سماه الخبب. وقال أبو سعيد السيرافي (66): "فإن قال قائل: ما اسم هذا الباب من الدائرة؟ قيل له: لم ير الخليل ذكر هذا الباب البتة،ونحن نسميه الغريب"وقال ابن المعتز(67): "ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتنمية مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فناً من فنون البديع بغير ما سميناه ". وقال قدامة بن جعفر(ت 337هـ): "لما كنت آخذاً في معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها. وقد فعلت ذلك" (68).

فهؤلاء وغيرهم ممن كان لهم السبق إلى وضع علم من العلوم أو فن من الفنون كانوا جميعاً مدركين للزوم وضع مصطلحات على ما وقفوا عليه من مسميات في مسائل علمهم أو فنهم؛ قال ابن ولاد (69) : "لا بد لأهل كل صنعة من ألفاظ يختصون بها ويتفقون عليها". بل بلغ بهم إدراكهم لقيمة الاصطلاح ومنفعته أن قنعوا بالمصطلح الموضوع قبلهم وارتضوه وتداولوه إذا ظهر لهم صوابه، ولم يركبوا رأسهم ولا تعصبوا لرأيهم. مثال ذلك أن الجاحظ سبق إلى وضع مصطلح " المذهب الكلامي" على فن من فنون البديع، فاتبعه في ذلك ابن المعتز والعسكري وابن رشيق والتبريزي وغيرهم(70). وقد ذكرنا استنكار

الآمدي لصنيع قدامة بن جعفر في تسمية ما سبق إليه بأسماء أخرى اخترعها. بل لا نتحرج في الزعم أنهم كانوا مدركين أن الاصطلاح وحدة متكاملة ونظام متناسق، وأنه لا يقبل التخليط والتلفيق، وأن العالم في اللغة مثلا لا يلبس كلامه فيها بألفاظ الفقهاء وأخبار المنجمين أو اصطلاح المتكلمين والمحدثين، ويعلمون أن ذلك ما هو من باب العلم والضبط ولا هو من جنس التملح والتندر والتأنق، وإنما هو شعوذة وتلبيس. قال ابن خلدون (71) وذكر قوما يتشبهون بالعلماء وما هم منهم: "وكان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا وهناك"، وقد أكد الفارابي قبله أن الحال في العلوم" كالحال في الصنائع التي يتعاطاها الجمهور: فإن النجار إنما يخاطب فيما تشتمل عليه صناعة النجارة بالألفاظ المشهورة عند النجارين، وكذلك الفلاحة والطب وسائر الصنائع" (72)، وذكرنا فيما تقدم أن ابن سنان الخفاجي قال:"إن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة" . ولعل مرد ذلك إلى القاعدة العامة التي نقلها الجاحظ عن بشر بن المعتمر ، وهي قوله (73): "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".

ومصطلحاتهم في أغلبها مأخوذة من أصول لغوية للشبه الواقع بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، لذلك عنوا عناية بالغة بتبيان معنى المصطلح لغة ومعناه في الاصطلاح العلمي. قال الخليل بن أحمد في الإقواء(74):" وإنما سميته إقواء لتخالفه، لأن العرب تقول: أقوى الفاتل، إذا جاءت قوة الحبل تخالف سائر القوى"؛ وقال في السناد إنه " من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه ليس مستويا". وقد ذكر المرزباني (75) في ترجمة الخليل كيف سمى أوزان العروض جميعاً، منها أنه سمى الرجز رجزاً "لاضطرابه كاضطراب الناقة الرجزاء" ، "والهزج لأنه يضطرب شبه هزج الصوت" إلى آخر ما قال في ذلك. وقال قدامة بن جعفر في الفيء (76) : "وهذه اللفظة في كلام العرب اسم للرجوع. فبحق ما وضعت اسما لما غلب المسلمون عليه من بلاد العدو قسرًا بالقتال، وجعل موقوفاً عليهم، لأن الذي يجتنى منه راجع في كل سنة"؛ وقال في الجزية: "وإنما سميت الجزية بهذا الاسم لأنها جزت من القتل، أي كفت عنه لما أداها الذي حقن بها دمه". وقال ابن قتيبة (77) في المتشابه والمشكل : "وأصل التشابه أن يشبه اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان... ثم قد يقال لما غمض ودق متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ... ومثل المتشابه المشكل. وسمي مشكلاً لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه، ثم قد يقال لما غمض — وإن، لم يكن غموضه من هذه الجهة — مشكل "وقال السيوطي (78) نقلا عن ابن فارس، وعبارة الناقل أوجز: "وعلى هذا سائر أبواب الفقه. فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: فيه اسمان ، لغوي وشرعي (أي اصطلاحي)، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم جاء الاسلام به، وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر، كل ذلك له اسمان: لغوي وصناعي (أس اصطلاحي). وهذه الطريقة في استنباط المصطلح هي التي تسمى النقل، وقد سقنا فيما تقدم كلام ابن برهان أن الألفاظ المنقولة من اللغة إلى الاصطلاح" لا تخرج بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب، وهو المجاز" ، على أن

المجاز عام والنقل خاص: فعموم المجاز في كونه لا تخلو منه لغة من اللغات، ولا يعدمه إنسان من البشر، يؤكد ذلك قول ابن جني (79) : "اعلم أن أكثر اللغة – مع تأمله – مجاز لا حقيقة " وخصوص النقل في أنه سبيل العلماء إلى وضع المصطلحات، فكأن المجاز نقل العامة والخاصة، والنقل مجاز الخاصة وحسب. وفرق ما بينهما أن المجاز يمكن الرجوع عنه إلى الحقيقة، أما النقل فلا يمكن معه ذلك، " حتى إنك لو حاولت العودة ببعض المصطلحات إلى استعمالها الأول (كأن تستعمل الصوم مثلاً بمعنى الإمساك عن الشيء فتقول: صمت عن الكلام أو عن العمل) لتعذر عليك ذلك إلا بمجاز جديد" (80).

ولم تكن اللغة وحدها الأصل الذي يستمد منه العلماء مصطلحاتهم، بل كانت لهم — في الطب خصوصاً– أصول غيرها، أحصى بعضها ابن سينا في كتاب القانون في كلامه على أسامي الأمراض، قال: "إن الأمراض قد تلحقها التسمية من وجوه: إما من الأعضاء الحاملة لها، كذات الجنب وذات الرئة، وإما من أعراضها، كالصرع، وإما من أسبابها، كقوله: مرض سوداوي، وإما من التشبيه، كقولنا: داء الأسد، وداء الفيل، وإما منسوباً إلى أول من يذكر أنه عرض له ذلك، كقولهم: قرحة طيلانة، منسوبة إلى رجل يقال له طيلانس، وإما منسوباً إلى بلدة يكثر حدوثها فيها، كقولهم: القروح البلخية، وإما منسوباً إلى من كان مشهوراً بالإنجاح في معالجتها، كالقرحة السيروتية ، وإما من جواهرها وذواتها، كالحمى والورم" (81).

واتخذوا أيضاً إلى المصطلحات سبيلي الاشتقاق والتعريب. أما الاشتقاق فهو أظهر من أن نطيل الكلام عليه. وأما التعريب، فيرى الدكتور المسدي (82) أن له قانوناً مطردا يبدأ أول ما يبدأ بما سماه "التعريب"، وهي مرحلة يقبل فيها المصطلح الأعجمي كما هو، مع تطويعه لقواعد اللسان العربي، ثم يتلوه ما سماه "التفجير"، وهو أن يترجم المصطلح بعبارة تكون في الغالب مكلفة لكثرة مفرداتها، وتأتي في النهاية مرحلة سماها "التجريد" يصاغ فيها باللغة العربية ما يقابل المصطلح الأعجمي، فتستقر الحال عليه بالتواطؤ من العلماء جميعاً، فيصير هو المصطلح الدائر. مثال ذلك "سوفسطيقا" كذا عربوه عن اليوناني، وترجمة ابن النديم (83) بقوله : "معناه الحكمة المموهة "، ثم اصطلح عليه العلماء فيما بعد باسم "المغالطة" كما جاء عند ابن سينا وابن رشد ومن جاء بعدهما.

أما الأساس الذي قام عليه المصطلح، أعني ما به صارت الكلمة مصطلحا لا مجرد مفردة لغوية، فهو أمران اثنان: التواطؤ وكثرة الاستعمال. قال الجاحظ في علماء الكلام (84): "وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع". وقال ابن المعتز في أول كتاب البديع: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا ...من الكلام الذي سماه المحدثون البديع"؛ وقال أيضاً (85): "البديع اسم موضوع لـ ر ن من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم "ونص الخوارزمي الكاتب على أن كتابه مفاتيح العلوم " متضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات". وسقنا فيما تقدم كلام ابن عربي حين سئل عن شرح "ما توطأنا عليه من الألفاظ التي بها يفهم بعضنا عن بعض" . ومن ذلك أيضاً ما رواه ياقوت (ت626هـ) في "معجم البلدان" عند كلامه على البصرة أن " من اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في اسم الرجل الذي تنسب إليه القرية ألفا ونونا، نحو قولهم طلحتان، نهر ينسب إلى طلحة بن أبي رافع

إلخ". ومنه كذلك ما جاء في "وفيات الأعيان " لابن خلكان (ت 681هـ) في ترجمة الحلاج، وهو قوله : "ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشارتهم قوله "، ثم أنشد له بيتا، وأضاف قائلاً: " وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح"، ثم أنشد له بيتاً آخر، وقال: " وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب". وقال ابن خلدون [86] في المتصوفة : " لهم آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم ". هذا إلى ما قدمناه من كلامه في الفقهاء وأن لهم ألفاظا اصطلحوا على وضعها وألقابا متداولة بينهم. وقال أيضاً في أصحاب الكيمياء [87] : "ويكنون عن ذلك الإكسير إذا ألغزوا في اصطلاحاتهم بالروح، وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد"؛ وقال أيضاً في بيان أن "الشدة على المتعلمين مضرة بهم":" واعتبره في كل من يملك أمره عليه... و انظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء، حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد ". وقال الجرجاني في أول كتاب التعريفات: " وبعد فهذه تعريفات جمعتها ، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم". وقال ابن قتيبة في غريب القرآن إنه ذكر فيه "ألفاظاً يكثر ترددها". ووضع الكندي (ت260هـ) رسالته في الحدود وغرضه فيها "ذكر الألفاظ التي يكثر استعمالها في كتب الفلاسفة". وذكر الخوارزمي الكاتب في جميع العلوم التي سماها في كتابه ألفاظا "يكثر ذكرها" في كل علم على حدته. فهذا كله يؤكد أن الاصطلاح لا يكون كذلك إلا بتواطؤ من العلماء واصطلاح منهم عليه، وبكثرة ترداده وجريانه على ألسنتهم، وأن مدار كلامهم في صناعاتهم عليه. ويزيد هذه القضية فضل بيان أن هذا الذي تواطأ العلماء عليه وصار دائرا بينهم جارياً على ألسنتهم لا يعلمه غيرهم ولا يعرفه سواهم. قال الخوارزمي الكاتب بعد الذي نقلناه قبل من كلامه:"... المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة، حتى إن اللغوي المبرز في الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب التي صنفت في أبواب العلوم والحكمة، و لم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة، لم يفهم شيئاً منه. وزاد ابن المعتز على ما ذكرناه من كلامه فقال: "فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم (يعني البديع)، ولا يدرون ما هو". وقال السيرافي إن سيبويه وأمثاله من العلماء "يستصعب على المبتدئ ما صدروه في أوائل كتبهم من الألفاظ الغامضة التي يضل عن فهمها أولو الآراء والبصائر، فضلا عمن سواهم " [88]. وهذه الألفاظ التي لا يعرفها سوى أهل الصناعة هي من التميز عن ألفاظ اللغة العامة المشتركة بحيث لا تخفى على العارفين بالاصطلاحات، العالمين بما يروج منها على لسان أهل الصناعات. يشهد بذلك ما رواه ابن خلدون، قال[89]: "أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية، قال: ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي و لم أنسبها له، وهو هذا:

" لم أدر حين وقفت بالأطلال ***

ما الفرق بين جديدها والبالي "

فقال لي على البديهة: هذا شعر فقيه، فقلت له: ومن أين لك ذلك ؟ قال: من قوله ما الفرق، إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب. فقلت له: لله أبوك، إنه ابن النحوي"

ثم قد يتسع نطاق التواطؤ اتساعاً، فيتجاوز حدود أهل الصناعة إلى من عداهم، كما هو شأن الطب مثلا.

فأسماء المفردات، من نبات ومعدن وحيوان، مما يتداوى به، لا يكفي فيها تواطؤ الأطباء وحدهم، بل هم أنفسهم يسمون كثيراً من تلك المفردات بأسمائها التي تطلقها عليها العامة من الناس. وقد ذكر ابن جلجل (ت 384هـ) أن بعض المترجمين نقل كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة من اليوناني إلى اللسان العربي، "وما لم يعلم له في اللسان العربي اسما تركه في الكتاب على اسمه اليوناني، اتكالا منه على أن يبعث الله من بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي، إذ التسمية لا تكون إلا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما أرادوا، وأن يسموا ذلك إما باشتقاق أو بغير ذلك من تواطئهم على التسمية"[90]، وكذلك فعل ابن البيطار (ت646هـ) في تفسيره للكتاب نفسه، عندما رأى "استعجام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين وعامة الشادين، وتواري حقائقه عن غير واحد من الشجارين والمتطببين"، فعزم على ترجمته، قال: "واعتمدت في ذلك على ما تصفحته من كتب القدماء، وما شافهت به كبار الأطباء، وربما ذكرت في بعض الأدوية ما يليق به من الأسماء البربرية واللطينية، إذ كانت مستعملة في مصرنا، معروفة بين أهل عصرنا" [91]. وليس هذا حكراً على الطب وحده، بل هو أمر شائع في جميع الصنائع من قديم. وقد تنبه إلى ذلك الفارابي إذ قال [92] : " وينبغي أن نعلم أن أصناف الألفاظ التي تشتمل عليها صناعة النحو قد يوجد منها ما يستعمله الجمهور على معنى ويستعمل أصحاب العلوم ذلك اللفظ بعينه على معنى آخر، وربما وجد من الألفاظ ما يستعمله أهل صناعة على معنى ما ويستعمله أهل صناعة أخرى على معنى آخر... وقد يتفق في كثير (من العلوم) أن تكون معاني الألفاظ المستعملة عند الجمهور هي بأعيانها المستعملة عند أصحاب العلوم".

ثم قد يكون هذا الذي تعارف عليه أهل الصناعة واستعملوه غير جار على سنن اللغة العربية، ومع ذلك لا يمكن العدول عنه لكثرة جريانه. قال قدامة [93] : "فيمكن الآن أن نأخذ في تعريف ما يستعمله الكتاب، من وصف الحلي وشيات الدواب، على ما جرت عليه عادتهم وألفوه، وإن كان بعض ذلك لا يوافق ما عليه مجرى اللغة، فإنا لو ذهبنا إلى تغيير ما لا يجوز في لغة العرب مما قد ألف الكتاب استعماله لتعدينا ما يعرفونه ويعملون عليه، وجئنا بما ينكره أكثرهم، ويخالف ما جرت به عادتهم. وليس كل ما يستعمله الكتاب خارجاً عن مذهب اللغة، لكن القليل منه ".

هوامش

1- الإمام الشافعي: الرسالة، حققه الشيخ أحمد محمد شاكر سنة 1309، دار الفكر، ص477.

2- القاسم بن سلام: كتاب الأموال، حققه الشيخ محمد خليل هراس سنة 1387، دار الفكر، 1988، ص24.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، حققه عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ج 1 ص 139.

4- ابن المعتز: كتاب البديع، حققه كراتشكفسكي، لندن 1931، ص 58.

5- عن الشيخ أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، ط 1، ص43.

6- ابن ولاد: المقصور والممدود، نشرته مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1992، ص122.

7- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة، ج 1 ص250.

8- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، 1982، ص166.

9- أبو سعيد السيرافي: صنعة الشعر، حققه جعفر ماجد، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص212.

10- الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، حققه الحساني عبد الله، مكتبة الخانجي، ط 3، 1994، ص141.

11- الآمدي: الموازنة بين الطائيين، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، ص257-258.

12- ابن خلدون: المقدمة، حققها علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ص1034.

13- ووقفنا في كتب التراث العربي الإسلامي على عدد من العناوين وردت فيها هذه الكلمات، منها ما يدل دلالة ظاهرة على الاصطلاح، ومنها ما لا نستطيع الجزم أنه دال عليه، لأنا لم نطلع عليها جميعاً، فلذلك نذكرها كما هي لعل قارئا غيرنا يطلع عليها فيرشدنا إلى ما فيها، فمن هذه العناوين: كتاب التسمية للغذة (ت 210هـ)، ذكره ابن النديم في الفهرست ص 121 وياقوت في معجم الأدباء ص 874، كتاب أسامي الأشياء للبلخي (ت 322 هـ) (الفهرست 198 ومعجم الأدباء 274)، كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء للعسكري (ت 395هـ)، كتاب السامي في الأسامي للميداني (ت 518هـ) مطبوعان ولم نطلع عليهما، كتاب أزاهير الرياض المريعة وتفسير ألفاظ المحاورة والشريعة للبيهقي (ت518هـ) (معجم الأدباء 1762) كتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها للبيهقي أيضاً، قال ياقوت (ص1763): " وهو معنون بتفاسير العقاقير "، كتاب الألفاظ الجارية على لسان الجارية وكتاب الاختصار في الكلام على الألفاظ التي تدور بين النظار وكتاب الفائق في أسماء الحدائق، والثلاثة لأبي البركات الأنباري (ت 588هـ) (هدية العارفين (519-520)، كتاب الكلم الفارقية في الكلم الإلهية للحظيري (ت 568 هـ) (وفيات الأعيان 317/7)، كتاب لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه للخوارزمي النحوي (ت 638هـ) (هدية العارفين 707/1)، كتاب شرح ألفاظ الصوفية لابن عربي(ت 638هـ)(هدية العارفين 116/2). هذا وطبعة معجم الأدباء التي نحيل عليها هي التي حققها إحسان عباس سنة 1993 ونشرتها دار الغرب الإسلامي، وصفحاتها مرقمة من 1 إلى 2860.

14- Alain Rey: la terminologie, noms et notions, coll. Que sais-je. 20

15- الغزالي: معيار العلم، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1990، ص273.

16- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، ج1/ص122.

17- إسماعيل باشا: هدية العارفين، أسماء المولفين وآثار المصنفين، اسطنبول 1951، ج 27/1.

18- ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، ص99.

19- ابن فارس: الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1977، ص78.

20- معجم المعاجم، ص7.

21- المقدمة، ص1035.

22- المقدمة، ص1039.

23- معجم المعاجم، ص9.

24- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن حققه محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1961، ص6.

25- الخوارزمي الكاتب: مفاتيح العلوم، نشره إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي، 1989، ص13

26- محيي الدين الأصفهاني، ثلاث رسائل ، نشرها آلار وتروبو بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت، 1962، ص39.

27- معيار العلم، ص273.

28- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة المعارف، 1941،ص 107.

29- ابن عربي:اصطلاحات الصوفية، نشرها فلوجل ملحقة بالتعريفات للجرجاني وسماها اصطلاحات الشيخ محيي الدين، راجع التعريفات، ص238.

30- الكاشاني: اصطلاحات الصوفية، حققها عبد الخالق محمود، دار المعارف، ط 2: 1984، ص44.

31- ووقع لفظ الاصطلاح في عناوين عدد من الكتب، أحصينا منها ما بين القرن السابع والقرن العاشر ما يلي: الإيضاح لقوانين الاصطلاح لابن الجوزي (ت 656هـ) ، قال في كشف الظنون (ص213) : "ألفه في محرم 627هـ." أحكام الجدل والمناظرة على اصطلاح الخراسانيين والعراقيين، للمدائني (ت656هـ) (كشف الظنون ص18)، اصطلاح الصوفية والتنبيه على مقاصدهم الجزئية والكلية للرقام الصوفي (ت 705هـ) (هدية العارفين 830/1)، مشتبهات اصطلاح العلوم، للبلفيقي (ت782هـ) (هدية العارفين 341/1) البيان في اصطلاح أهل الزمان، لابن الركن (ت803هـ) (هدية العارفين، 177/2)، محاسن الاصطلاح في تضمين ابن الصلاح للبلقيني (ت 805هـ) (كشف الظنون، 1608)، مرقاة العلماء لاصطلاح الحكماء للحلبي (ت 875هـ) (هدية العارفين، 640/1)، الاقتراح في الاصطلاح، لابن دقيق العيد (ت911هـ).

32- المقدمة:1025-1027-1034-1039-1050-1061-1083-1099-1100-1105-1113-1128-1140-1159-1197-1236-1240-1254-1266-1277-1320-1326.

33- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات،نشره فلوجل سنة 1845، أعادت طبعه مكتبة لبنان 1978، ص28.

34- كشف الظنون، ص33-34.

35- يحي عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح: مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربي، العدد 36، سنة 1992، ص142-157، وراجع العدد 46، سنة 1999،ص9-18.

36- رسائل فلسفية للرازي، دار الآفاق الجديدة، ط5، 1982، ص44.

37- السهلي: نتائج الفكر في النحو، حققه محمد إبراهيم البنا، جامعة قاريونس، 1978، ص64.

38- ابن خلكان: وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس،دار صادر، ج 4 ص 225.

39- هدية العارفين، 116/2.

40- كشف الظنون، ص420.

41- كشف الظنون، ص127.

42- هدية العارفين، 172/2.

43- كشف الظنون، ص1711.

44- كشف الظنون، ص1936.

45- كشف الظنون، ص 1936

46- كشف الظنون، ص 494

47- كشف الظنون، ص 319.

48- كشف الظنون، ص 766.

49- كشف الظنون، ص 494.

50- مفتاح السعادة، ج1، ص249.

51- الصفدي: فض الختام عن التورية والاستخدام، حققه المهدي عبد العزيز الحناوي دار الطباعة المحمدية 1979، مقدمة المحقق، ص110

52- فض الختام، ص127.

53- المقدمة، ص657-676.

54- المقدمة ، ص972.

55- التعريف بان خلدون، ملحق بتاريخ ابن خلدون ضبطه خليل شحادة وراجعه سهيل زكار دار الفكر،1981،ج7ص656.

56- السيوطي: "الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر،ج1 ص3.

57- داود الأنطاكي: تذكرة ذوي الألباب والجامع للعجب العجاب، المكتبة الثقافية، ج 1 ص19.

58- التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون.

59- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، حققه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939، ج 3 ص 23.

60- الرسالة، ص10، من مقدمة المحقق.

61- المعجم الوسيط، ج 1 ص9.

62- ياقوت الحموي: معجم الأدباء (وهو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، حققه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1993، ص 2918.

63- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف...، ج 1 ص341-342.

64- راجع الموشح للمرزباني، نشره محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1995، ص28-29.

65- وفيات الأعيان، ج 2 ص244.

66- صنعة الشعر، ص 264.

67- كتاب البديع، ص2-3.

68- قدامة بن جعفر: كتاب نقد الشعر، نشره عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية،ص 68.

69- المقصور والممدود، ص122.

70- راجع كتاب البديع، ص53، وكتاب الصناعتين، حققه علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 1986، ص 410، وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2 ص 78 -79، والكافي في العروض والقوافي، ص170.

71- تاريخ ابن خلدون، ج 7 ص655.

72- الفارابي : كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، ص43.

73- البيان والتبيين، ج 1 ص138-139.

74- الموشح، ص29.

75- المرزباني: نور القبس المختصر من المقتبس، حققه رودلف زلهايم، فيسبادن 1964، ص71.

76- قدامة بن جعفر، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، حققه محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر 1981، ص204.

77- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، حققه السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية 1981، ص101-102.

78- المزهر ، ج1 ص295-296 والصاحبي، ص86، وقد ذكر محققا المزهر في الحاشية 5 ص294، من ج1 أن ما سمي في الصاحبي "باب الأسباب الإسلامية" قد يكون صوابه "باب الأسماء الإسلامية"، وقالا إنهما وجداه كذلك في تعليق – لم يسميا صاحبه – على الصاحبي.

79- الخصائص، ج 2 ص447.

80- عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 45.

81- ابن سينا: القانون في الطب، مكتبة المثنى، ج 1 ص78، وراجع تذكرة الأنطاكي ج 2 ص43-44، وهامش التذكرة ج 1 ص 291-292.

82- قاموس اللسانيات، ص 47-53.

83- الفهرست، ص 349.

84- البيان والتبيين ، ج 1 ص139.

85- كتاب البديع، ص58.

86- المقدمة، ص1099.

87- المقدمة، ص1197.

88- صنعة الشعر، ص 44.

89- المقدمة، ص1314-1315.

90- راجع ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره سميح الزين، دار الثقافة 1981.، ج3 ص75.

91- ابن البيطار: تفسير كتاب ديسقوريدس في الأدوية المفردة، حققه إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي 1989، ص109.

92- الألفاظ المستعملة في المنطق، ص43.

93- قدامة بن جعفر: كتاب الخراج، ص23-24.

دور التوثيق والإعلام المصطلحيّين في تطوير المصطلحات العربية وانتشارها

عبد اللطيف عبيد (*)

حياة المصطلح في استعماله، واستعماله رهين جودته من جهة، وطلبه (أو الطلب عليه) من جهة أخرى. ومن أهمّ شروط جودة المصطلح أن يتمّ اختياره- سواء بإحيائه من التراث، أو وضعه بالتوليد اللفظي (اشتقاقًا أو تركيباً أو نحتاً أو ارتجالاً) أو بالتوليد الدلالي (استعارة أو مجازاً مرسلاً أو ترجمة لفظية)، أو اقتراضه مَن اللغات الأجنبيّة- انطلاقا من عمل توثيقي مصطلحي دقيق وشامل ما أمكن. أمّا طلبه فلا يتحقّق إلاّ بوجود الحاجة إليه، ووجود تلك الحاجة يقتضي وضعه في متناول طالبيه وإتاحته بشتّى الأساليب والوسائل-بما في ذلك الوسائل الحاسوبية - لتيسير تداوله وانتشاره، وهو ما يطلق عليه الإعلام المصطلحي.

وتهدف هذه الورقة إلى بيان دور التوثيق والإعلام المصطلحيين في تطوير المصطلحات العربية وانتشارها، وذلك انطلاقا من تشخيص واقعهما الراهن وسبل تطويره،.بما يساعد على دعم جهود التعريب ويحقق تعريب التعليم العالي، بل تعريب التعليم الثانوي أيضا في بعض الأقطار العربية، تعريبا تامّا.

أوّلا: التوثيق المصطلحي

نهتمّ في هذا القسم الأوّل من الورقة، بالنقاط التالية خاصّة:

- ما موقع التوثيق ضمن العمل المصطلحي؟
- ما أنواع الوثائق الضروريّة للعمل المصطلحي؟
- ما واقع التوثيق ضمن العمل المصطلحي العربي الراهن؟-
- ما هي الآفاق المرتقبة للتوثيق المصطلحي في الوطن العربي في ضوء الأهداف المرسومة لجهود التعريب؟

1- موقع التوثيق ضمن العمل المصطلحي:

التوثيق مرحلة أساسية من مراحل العمل المصطلحي، بل هو حجر الزاوية فيه [1]. ومن المعلوم أنّ العمل المصطلحي المفهومي أو المنظومي- أي الذي يهتمّ بمجال علمي أو تقاني أو حضاري كامل ويسعى إلى وضع تسمياته المصطلحيّة في شكل منظومات تطابق منظوماته المفهومية وتغطّيها كلّها أو جلّها- عمل ينطلق من تحديد المجال المعيّن، ويمرّ إلى ضبط منظوماته وتعريف المفاهيم التي تنتظمها تلك المنظومات، ثم يجمّع أهمّ الوثائق المتخصّصة ذات الصلة بالمجال ليجرد ما فيها من تسميات، ويدرسها ليختار منها- في المرحلة التالية- أفضل تلك التسميات أي أكثرها توافراً على ما يعرف في علم المصطلح ب "معايير المقبوليّة"، وهي- باختصار شديد- الصحة اللغوية، والدقة، والإيجاز، والاشتقاقيّة (قابليّة الاشتقاق)، وأحادية الدلالة أي أحادية العلاقة بين التسمية والمفهوم[2]، بحيث لا تستعمل التسمية الواحدة (اللفظ الواحد سواء أكان مفرداً أم مركّباً) إلا للدلالة غلى مفهوم معيّن في المجال الواحد، ولا يعبّر عن هذا المفهوم في ذلك المجال إلا بتلك التسمية، لتسلم التسميات المصطلحيّة من الاشتراك، والترّادف، والازدواج (القطرية أو الإقليمية)، وتكوّن بدورها

(*) أستاذ بالمعهد العالي للغات- جامعة تونس

منظومة تسمية تطابق المنظومة المفهوميّة مطابقة تامّة داخل المجال المعيّن، إذ تحقيق ذلك التطابق هو الهدف الأسمى للعمل المصطلحي.

وهكذا فإنّ وضع التسمية المصطلحيّة (أو ما يطلق عليه عادة: المصطلح) للمفهوم العلمي أو التقاني أو الحضاري الجديد يمرّ حتما عبر التوثيق، أي تجميع الوثائق العلمية واللغوية المتضمّنة للتسميات المستعملة للدلالة على مفاهيم المجال المدروس .

وتنبع أهمية التوثيق من كون اللغة مؤسسّة اجتماعيّة أي ملكاً لكامل الجماعة البشريّة التي تستخدمها، وليست ملكاً لفرد واحد أو فئة مخصوصة. لذلك فعندما نضع معجماً في مصطلحات مجال ما، نكون مطالبين بأن نتقيّد بما اتفقت عليه الجماعة التي ننتمي إليها أو نشترك معها في تلك اللغة، وألاّ نخرج عمّا اصطلح عليه أهل الاختصاص فيها- أي تواضعوا واتفقوا- إلاّ لأسباب وجيهة؛ ومن هنا وجب الاطلاع الدقيق على التسميات المصطلحية المستخدمة في الدلالة على مفاهيم المجال المدروس، وحصرها، بهدف الانطلاق منها في وضع التسميات النهائية، وذاك هو المقصود- هنا- بالتوثيق المصطلحي.

ومن المعلوم أنّ أكبر داء يهدّد التعبير العلمي باللغة العربية هو كثرة الاجتهادات القطرية والفرديّة المنعزلة، التي تنطلق في وضع المصطلحات ممّا يشبه الفراغ، أي دون انطلاق من مدوّنة وصفيّة تحصر الاستعمالات المتداولة، مما يمثل خطراً على وحدة اللغة العربية واستمراريتها في المكان والزمان.

2- الوثائق الضرورية للعمل المصطلحي:

لا تقتصر الوثائق الواجب اعتمادها في العمل المصطلحي العربي على المعاجم والوثائق العلمية المتضمّنة لتسميات المجال الذي نهتمّ به والتي كتبها باللغة العربية أو عربّها متخصّصون ذوو خبرة مصطلحية وعلمية، وإنما تشمل أيضا أنواعا ثلاثة أخرى من الوثائق هي:

أ- الوثائق العلمية والموسوعية بالعربية و/ أو بلغة أجنبيّة مرجعية أو ضابطة (الإنجليزية أو الفرنسيّة... الخ)

ب- مصادر المعلومات عن المصطلحات.

ج- المعلومات عن المؤسسات والمشروعات والمنهجيّات المصطلحية.

فإذا كانت المعاجم والوثائق العلمية العربية أو المعرّبة تتضمّن المادة الأساسية الأولى (الخام) من التسميات المصطلحية التي لاغنى عنها في مرحلة اختيار التسميات النهائية ووضعها، فإنّ الوثائق العلميّة والموسوعيّة العربية أو الأجنبية ضروريّة في مرحلة تدقيق المفاهيم وتصنيفها وتعريفها وبناء منظوماتها، وذلك نظراً إلى أنّ العمل المصطلحي ينبغي ألا يقتصر على التسميات وإنّما ينبغي أن يهتمّ بالمفاهيم وأن ينطلق منها، **لأن المصطلح ليس لفظاً لغويّاً وإنّما هو علاقة بين مفهوم ولفظ،** أو هو- بتعبير أدق- تسمية تختصّ بالدلالة على مفهوم علمي أو **تقاني أو حضاري في مجال محدّد** [3]. ومن هنا فإنّ دور الوثائق العلمية العربية أو الأجنبية- وفي مقدّمتها المؤلّفات العلميّة، والأبحاث المنشورة في المجلاّت المتخصّصة، والموسوعات، والتصانيف والمكانز... الخ- هو مساعدة المصطلحيّين ومؤلّفي المعاجم المختصّة على مزيد استيعاب المفاهيم وإدراك مختلف العلاقات التي تربط بينها ضمن المنظومة المفهوميّة، ليتسنّى لهم اختيار أو وضع التسمية الملائمة التي تتوفّر فيها المعايير التي سبق أن أشرنا إليها. أمّا مصادر المعلومات عن المصطلحات فالمقصود بها خاصّة البيليوغرافيات التي تزوّد المصطلحيّ بالمعلومات عن معاجم وقوائم المصطلحات بمختلف أنواعها. وأخيراً فإنّ العاملين

في مجال المصطلحات- سواء أكانوا أفراداً أم مجموعات ولجاناً- يحتاجون إلى معلومات عن المؤسسات العاملة في مجال المصطلحات، وعن المشروعات الجارية والمنهجيّات المصطلحيّة الصادرة عن الباحثين والمجامع والهيئات الوطنية والأجنبية والإقليميّة والدوليّة، إضافة إلى الدراسات النظرية والمنهجية ذات الصلة بالمصطلح، وذلك لتطوير العمل المصطلحي وتحقيق جودة نتائجه.

3- واقع التوثيق في إطار العمل المصطلحي العربي الراهن:

من المعروف أنّ النشاط المصطلحي العربيّ يعدّ أحد مظاهر النشاط اللغوي والعلمي والتربوي والثقافي الذي عرفته النهضة العربية الحديثة منذ مطلع القرن التاسع عشر. وقد كان للرجوع إلى التراث العلمي واللغوي أثر واضح في ما وضع من تسميات مصطلحية في بداية النهضة الحديثة في البلدان العربية عامة ومصر وبلاد الشام خاصة، بل إنّ المترجمين ومؤلّفي الكتب العلمية والتقنية قد جعلوا له الأولوية ضمن الأساليب التي توخّوها في وضع المصطلحات، وذلك لحرصهم على استمرارية لغتهم، وتجنّب قطيعتها عن ماضيها الزاهر، وإيمانهم بقدرتها على استئناف مسيرة التعبير العلمي والحضاري.

ويمثّل الرجوع إلى التراث بصنفيه العلمي واللغوي عملا توثيقياً على درجة كبيرة من الأهمية نهض به، جزئيا، الرواد الذين عرفتهم هذه الفترة، وتقاعس عنه أغلب من جاء بعدهم من الأفراد والمؤسسات، ممّا كان له أسوأ الأثر على وضعيّة المصطلحات العربية وجودتها في الوقت الراهن. ومن أبرز الأمثلة على الرجوع إلى التراث وتوثيق مصطلحاته لاستثمارها في العمل المصطلحي إبّان عصر النهضة أنّ كثرة الكتب الطبيّة التي ترجمت في عهد محمّد علي قد تطلّبت عمل قاموس طبي بالوضع أو الترجمة، فأحضر كلوت بك من فرنسا "قاموس القواميس الطبيّة " Dictionnaire des dictionnaires de médecine تأليف فابر Fabre وهو في 8 أجزاء ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطبّ والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتّصلة بالعلوم الطبيّة "[4]. ويذكر الشيخ محمد بن عمر التونسي أنّ مدرسة الطب قد تعاونت بكلّ هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية، " ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك "وهو الدكتور برّون " على مهرة معلّميها (...) فترجم كلّ منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيع لفظه على المعنى حتّى شكرت مساعيه "[5]. على أنّ الدكتور برّون قد أحبّ **إثراء هذه الترجمة بالألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة، فوزّع القاموس المحيط للفيروزأبادي** على فريق المترجمين، وأشرك معهم مصحّحي المدرسة- ومنهم الشيخ محمد بن عمر التونسي- وأمر كلاّ منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، وينتقي منه " كلّ لفظ دلّ على مرض أو عرض، وكلّ اسم نبات أو معدن أو حيوان "[6]. ويذكر التونسي أنّ الدكتور برّون خصّه "باستخراج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داود من كلّ معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة، ومختصر الصحاح، وما في الهروي من التعاريف الصحاح... "[7]. وكانت نتيجة هذا العمل الجماعي المهم معجم " الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية " [8].

وعلى الرغم من أن أثر هذا المعجم في الأعمال المصطلحية اللاحقة قد كان ضعيفا بسبب عدم نشره وقلة تداوله، فإن منهجية إعداده دالة على وعي تام بضرورة ربط حاضر اللغة العربية العلمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر بماضيها الزاهر عبر عمل توثيقي ينطلق منه لإحياء المصطلحات التي لا تزال صالحة للاستخدام

الحديث أو لتضمين الألفاظ اللغوية معاني جديدة تنتقل بها من معانيها الأولى إلى معان اصطلاحية علمية وتقنية. ويرى مصطفى الشهابي في سياق حديثه عن النهضة العلمية في مصر في القرن التاسع عشر " أن النقلة والمؤلفين والمصححين فيها كانوا رواد نقل العلوم الحديثة إلى لساننا، وأنهم كانوا يرجعون في تحري المصطلحات العربية إلى كتبنا القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظ صحيحة. وقد استطاعوا الانتفاع بجملة صالحة منها في مختلف العلوم التي عالجوها بالترجمة والتأليف... "(9).

وفي النصف الأوّل من القرن العشرين طُرح موضوع التوثيق المصطلحي في إطار قضية إحياء التراث العلمي واللغوي بهدف الإفادة من مصطلحاته وألفاظه في وضع المصطلح العلمي والتقني والحضاري الحديث. وقد دعا مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى ضرورة العودة إلى التراث العلمي لدراسته واستقراء مصطلحاته وجردها وتوثيقها، بهدف تكوين المدوّنات المصطلحية التراثية الوصفيّة لينطلق منها في العمل على التسميات التي ينبغي للمعجم العربي الحديث أن يتضمّنها بالاختيار أو بالوضع. وقد تجسّمت هذه الدعوة خاصّة في قرارات- أي توصيات- أصدرها المجمع، ونشير منها إلى قرارين صدر أوّلهما في الدورة الثانية عشرة(1945) وثانيهما في الدورة الإحدى والعشرين (1954). وينصّ القرار الأوّل على أن "ينظر المجمع في اختيار مختصّين بشؤون العلوم العربية لإخراج المصطلحات العلميّة القديمة من الكتب العربيّة، وعرض كلّ فرع على اللجنة المختصّة، وإذا لم تكن لجنة مختصّة تشكّل لجنة جديدة "(10). أما القرار الثاني فينصّ على أن تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلميّة، ويعمل لكلّ كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه، بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعريب"(11).

على أننا لا نعرف لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ولسائر مجامع اللغة العربية أعمالا تطبيقيّة شاملة في مجال إحياء المصطلح العلمي العربي التراثي ؛ على الرغم من تواصل الدعوة إلى هذا الإحياء سواء في مؤتمرات المجامع أو على صفحات مجلاتها (12).

أما المصطلحيون الأعلام في النصف الأول من القرن العشرين- وفي مقدّمتهم محمد شرف مؤلّف "معجم العلوم الطبية والطبيعية "، وأحمد عيسى مؤلّف"معجم أسماء النبات "، وأمين المعلوف مؤلّف " معجم الحيوان"، ومصطفى الشهابي مؤلّف "معجم الألفاظ الزراعيّة "(13)، ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمّد صلاح الدين الكواكبي مترجمو "معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات " للدكتور أ. ل كليرفيل(14) فقد جمعوا بين التخصّص العلمي والخبرة اللغوية ومعرفة التراث والقدرة على التعامل معه توثيقاً واستثماراً. وقد سمح لهم ذلك بالعودة إلى أمّهات كتب اللغة ومؤلفات العلماء القدامى، فأفادوا منها إفادة واعية، وإن كانت- غالباً- محدودة وجزئية، بسبب ضخامة التراث اللغوي والعلمي، وقصور الجهد الفردي عن استيعابه. ويكفي أن نطالع مقدّمات معاجم هؤلاء المصطلحيّين الأعلام،وأن نتعرّف بعض ما اقترحوه من مقابلات عربية تراثية للمصطلحات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية ليتضح لنا الجهد التوثيقي الكبير الذي بذلوه، بما جعل منهجيتهم المصطلحية عامّة وعنصر التوثيق فيها خاصّة العامل الأساسي في جودة هذه المعاجم و وثوقيّة مصطلحاتها.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين توسّع استخدام اللغة العربية على الرغم من تعثّر جهود التعريب، واتضحت فوضى المصطلحات العربية لأسباب عديدة

يهمنا منها، هنا، قلّة الجهود المنهجيّة والتطبيقية في مجال توثيق مصطلحات التراث والمصطلحات الحديثة على حدّ سواء بهدف الاطلاع عليها للإفادة منها بما يساعد على تفادي تكرار الجهود وتعدّد الاجتهادات الاعتباطيّة والعشوائية،ويحافظ على تجانس اللغة العربية واستمراريتها.

وإنّ التهاون بالتوثيق المصطلحي قد جعل مؤلّفي المعاجم المصطلحيّة الحديثة يغفلون عن تسميات مصطلحيّة تراثية دقيقة صالحة للاستعمال الحديث في العديد من المجالات، ويستعيضون عنها بمولّدات أو مقترضات أقلّ منها دقّة وطلاوة، إضافة إلى ما تتّصف به هذه المولّدات أو المقترضات من تعدّد وفوضى بسبب قلّة اطّلاع مؤلّفي المعاجم على أعمال سابقيهم وعلى أعمال بعضهم بعضاً.

من ذلك ، مثلاً، أنّ المصطلح الجيولوجي الانجليزي Aquifer (وهو في الفرنسية Aquifère) نجد له في المعاجم الأجنبية العربية الصادرة في السنوات الثلاثين الأخيرة والمختصة في الجيولوجيا والجغرافيا والطاقة والمياه وغيرها مقابلات كثيرة منها: ذوماء، محتو على ماء، طبقة صخرية مائية، مستودع ماء أرضي، طبقة حاوية للماء، تكوّن مائيّ، طبقة مائية، محتو ماء، طبقة خازنة للماء...الخ. وقد غفلت كلّ المعاجم التي اطلعنا عليها- وعددها يزيد على العشرة- عن التّسمية العربية الأصيلة التي تتضمّنها المعاجم اللغوية، بدءاً من الرسائل اللغوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهي " الحسْي "[15]. فهذا اللفظ يؤدّي المفهوم العلمي أداء دقيقا لما بين ذلك المفهوم الجيولوجي والمعنى اللغوي للّفظ العربي من تطابق تامّ ممّا يغني عن وضع تسمية جديدة، إضافة إلى أن التسمية العربية الأصيلة تتوافر فيها معايير أخرى من معايير المقبولية؛ أهمّها أنها تسمية مفردة،مختصرة، أحادية الدلالة، متواصلة الاستخدام إلى يومنا هذا في العديد من الأقطار العربية خاصّة في مجال تسمية أعلام الأماكن.

ومن ذلك أيضا أنّ للمصطلح الزراعي الإنجليزي Greenhouse (Glasshouse أو Hothouse وهو في الفرنسية Serre) مقابلات عربية كثيرة اقترحتها المعاجم أو استنبطتها وسائل الإعلام وأهمها: دفيئة، مصرى، وأمْ، صُوبة، بيت مكيّف، بيت استنبات، بيت أخضر، بيت زجاجي... الخ. وقد غفل مقترحو هذه المولّدات ومرتجلوها عن تسمية عربية قديمة حفلت بها كتب الفلاحة الأندلسية في القرنين الخامس والسادس للهجرة (11 و 12 م) وهي " البيت المكنّ " [16].

و لم يكن توثيق المصطلحات العربية الحديثة التي وضعها الأفراد أو وضعتها المؤسسات والهيئات بأفضل حظّاً من توثيق مصطلحات التراث مثلما سبق أن أشرنا، وهو ما عدّ أحد مظاهر خلل العمل المصطلحي العربي وسبباً رئيسياً من أسباب ما يعرف بفوضى المصطلحات العربية العلمية والتقانية والحضاريّة في أيامنا هذه. على أنّ الوعي بضرورة توثيق المصطلحات العربية الحديثة- سواء للإفادة من المدوّنات المصطلحيّة في العمل المصطلحي أو لإتاحتها للمستعملين من مترجمين ومؤلّفين وغيرهم- كان ماثلاً لدى العديد من المهتمين بالمصطلحات العربية الحديثة من الأفراد والمؤسسات.

ومن المعروف أنّ توثيق المصطلحات قد مرّ بثلاث مراحل هي:

أ-مرحلة التوثيق اليدوي: وذلك باستخدام البطاقات (الجذاذات) التي ترتّب في بطاقيّات (مجذّات). وتخصّص لكل تسمية مصطلحية (أو مفهوم) بطاقة تتضمّن عدداً قليلاً أو كثيراً من البيانات المصطلحية واللغوية والببليوغرافية من أهمها: التسمية، ووصف المفهوم (التعريف)، ومجاله، ومرادفات التسمية، ومقابلاتها في

لغات أخرى، وصنفها اللغوي، وسياقها، والمصادر التي استقيت منها المعلومات... الخ.

ب- **مرحلة التوثيق الميكانيكي:** باستخدام الميكروفلم والميكروفيش.

ج-**مرحلة التوثيق الإلكتروني:** باستخدام الحاسوب

وقد أدّى تطوّر المعلوماتية وقواعد المعلومات من جهة، وازدهار علم المصطلح وإنشاء بنوك المصطلحات في بعض البلدان الصناعية منذ بداية السبعينيّات من جهة أخرى، إلى إنشاء بعض بنوك المصطلحات في عدد من الأقطار العربيّة ممّا كان له دور كبير في تطوير الوعي بأهمية توثيق المصطلحات العربية وحوْسبتها لا فقط بهدف خزنها واسترجاعها ونشرها وتبادلها وإنّما أيضا لأغراض دراستها وتحديثها واستكمالها في إطار العمل المصطلحي.

إنّ أوّل إنجاز عرفه الوطن العربي في مجال حوسبة المصطلحات هو المتمثل في **"قاعدة المعطيات المعجميّة- المعربي"** التي أنشأها سنة 1978 معهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط لتكون قاعدة بيانات مصطلحية وصفية بهدف تدارك نقص رئيسي يعانيه ضبط المصطلحات العربيّة، وهو " انعدام المدوّنات اللغوية التي قد تسمح باستغلال منتسق للأعمال المعجمية القديمة والحديثة من أجل تنظيم المعجم الحالي وملء الفراغات الموجودة بالنهل من كنوز العربية الفصيحة"[17]؛ إذ "من الضروري أن ندرس ونستغلّ طاقة العربية منهجيّا لا فوضويّا. فبدون رصيد من المعلومات والوثائق اللسنيّة يكون من الوهم القيام بإصلاح جدّي... "[18] .

وتشتمل القاعدة، حاليّا، على ما يزيد عن 500.000 "وثيقة ترد فيها معلومات معجميّة مستقاة من معاجم متخصّصة صادرة عن مؤسّسات عربية معروفة (مثل المجامع اللغوية، والمنظمات الدولية، ومكتب تنسيق التعريب... الخ) ومن قواميس ثنائيّة اللغة (مثل المنهل، والمنجد، والسبيل) "[19]. ولغات هذه القاعدة هي الفرنسية والإنجليزية واللاتينيّة والعربية، بحيث إنّ المصطلح العربي يخزّن في الحاسوب مع مقابل أو أكثر بلغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الثلاث المذكورة. وتقدّم القاعدة عن المصطلحات العربية بيانات مصطلحية (المصطلح، المقابلات في اللغات الأخرى، مجال الاستعمال) وبيانات توثيقية (مصدر المصطلح...) وبيانات لغوية.

وفي سنة 1983 تأسّس **"البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)** " في إطار مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض. وهو يهدف إلى: [20]

أولا: المساهمة في تعريب العلوم والتقنية، وذلك من خلال:

أ- إعداد بنك آلي للمصطلحات العلمية والتقنية.

ب- حصر وجمع وخزن المصطلحات العلميّة والتقنية والمعلومات الخاصّة بها المستخلصة من اللغات الأوروبية الحديثة (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) مع توفير مقابلاتها العربية.

د- إمكان استرجاع هذه المصطلحات والمعلومات الخاصة بها لإجراء التعديلات اللازمة لتحديثها.

ثانيا: تهيئة وسيلة مساعدة للعاملين والمختصّين في مجال المصطلحات من أفراد وهيئات عربية وأجنبيّة مما يعين على وضع المصطلحات الجديدة (بناء على المعلومات المتاحة من البنك) وتجنّب التناقض والتكرار.

ثالثا: إشاعة ونشر المصطلحات العلمية والتقنية باستخدام وسائل النشر الإلكترونية أو الطباعة الورقية، والعمل على إيصالها إلى المستفيدين من أفراد ومؤسسات عن طريق شبكات المعلومات.

وقد أفاد البنك إفادة واضحة من تجارب أهمّ بنوك المصطلحات المعروفة في أوربّا الغربية وفي الهيئات والمؤسسات الدولية العاملة في مجال المصطلحات وأخصّها المركز الدولي للإعلام المصطلحي (Infoterm) والمنظمة الدولية للتقييس (ISO)

وفي عام 1993 كان (باسم)يتوفّر على"أكثر من 300000 مصطلح بلغات البنك الأربع،العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية،وذلك في مختلف فروع العلم والتقنية" [21].

ويبدو أنّ جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية تعتزم تنفيذ مشروع جديد استكمالا لمشروع بنك (باسم) هو " **البنك الآلي لمصطلحات العلوم الإنسانية والاجتماعية**" [22].

أما "**بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني** " بعمّان فقد بدأ سنة 1985 بقسم للحاسوب تأسس في المجمع للإفادة من تقنيات الحاسوب وبرمجياته في تخزين المصطلحات العلمية والفنية من أجل تيسير عملية الترجمة والتّعريب على المتخصّصين والمهتمّين في هذا المجال "[23]. وفي سنة 1993 اتخذت أهداف المشروع صورتها النهائية التالية[24]:

1-جمع المصطلحات وتنظيمها وتوفير وسائل توزيعها والتأثير في استعمالها.

2- تأسيس خدمات مصطلحية ولغوية محوسبة، وتوفيرها للمستفيدين من خلال الاتصال المباشر(On-line) وغير المباشر (المطبوعات، والأوساط الممغنطة، والمعالجة بالرزم).

3- تقديم خدمات مصطلحية متخصصة للباحثين في مجلس المجمع ولجانه ومؤسسات العمل المصطلحي العربية التي تعمل بالتنسيق مع المجمع (المجامع اللغوية والعلمية العربية، ومكتب تنسيق التعريب...).

4- اعتبار بنك المصطلحات في المجمع مركزا للأبحاث يعمل على تصميم أدوات حاسوبية لتحسين معالجة اللغة العربية بالحاسوب وتطويرها.

5- تطوير المنهجيات النظرية والتطبيقية للعمل المصطلحي المحوسب، وتوحيد الممارسات المصطلحية عند الأفراد والمؤسسات عن طريق البحث العلمي والتدريب وفق الأسس الحديثة لعلم المصطلح.

6- يعتبر البنك أداة تمكن المجمع من تنفيذ تعليمات مشروع قانون اللغة العربية الذي تقوم السلطات التشريعية الآن بإجراءات إقراره.

7- توفير الوسائل الفنية الآلية التي تساعد المجمع في نشر المعاجم العلمية والفنية.

8- العمل على توفير المستلزمات الفنية لدى البنك لإنشاء مركز لشبكة عربية للمصطلحات، وتعزيز فرص قيام تعاونيات مصطلحية بين مؤسسات العمل المصطلحي العربية.

وإلى حدّ سنة 1993 تمثّلت إنجازات البنك في "تنفيذ مجموعة من النظم الفنيّة ودمجها معا لتشكّل نظام بنك المصطلحات، وتحديد المعالم الرئيسية لمنهجيات العمل المصطلحي التي تعتمد على استخدام الحاسوب (...)، وفرز أربعمائة ألف مصطلح في شتّى مجالات العلوم والتقنية في ملفّات مؤقتة تمهيدا لتنـــزيلها في قواعد بنك المصطلحات بعد تحريرها واستكمال عناصرها الأساسية.

وتشكّل هذه المصطلحات معظم ما أقرّته مجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب، واتحاد الأطباء العرب، وبعض المؤسّسات العربية الأخرى المعتمدة في مجالات العمل المصطلحي... "[25]

ويسعى بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الأردني إلى الإفادة من التجارب السابقة العربية والأجنبية والدولية في تأسيس بنوك المصطلحات وأساليب عملها، من ذلك " **أنّ المفهوم أساس التنظيم الدقيق للمعلومات المصطلحية والمعلومات التوثيقية المتعلّقة بها في البنك.** وتشكّل البيانات اللغوية والمرجعية والإداريّة ما يسمّى بالوحدة المصطلحيّة (...). **وإن التنظيم الأساسي لمصطلحات البنك يقوم على أساس مفهومي، مما يترتّب عليه إلغاء منهجيات العمل المصطلحي التي تنظر إلى المصطلح من منظور لغوي معجمي.** وهكذا فإنّ المفاهيم في البنك ترتبط مع بعضها بعلاقات ذات معان محدّدة وشبيهة إلى حدٍّ ما بالعلاقات التي تربط الواصفات في المكانز. ونطلق على هذا التنظيم البنية المجهرية للمعرفة "Microstructure of Knowledge" [26]، وإن كانت هذه المنهجيّة النظريّة تتعارض مع المنهجية التطبيقية للعمل المصطلحي في المجمع الأردني بل في سائر المجامع العربية، إذ " يتعامل المجمع مع المشروعات المصطلحيّة بمنهج المعجم اللغوي، ممّا يتسبّب في الكثير من الإشكاليات التي تنعكس آثارها السلبيّة على مستوى نتائج العمل المصطلحي..." [27]

وبالإضافة إلى الجهود المغربيّة والسعوديّة والأردنيّة في مجال إنشاء بنوك المصطلحات خدمة لأغراض التوثيق المصطلحي ونشر المصطلحات، ينبغي أن نشير إلى أنّ **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي** بالرباط بصدد إنشاء بنك للمصطلحات (أو قاعدة معلومات مصطلحيّة) جعل من أهدافه [28]:

1-تجميع المصطلحات في مختلف ميادين المعرفة.

2- مواكبة المصطلحات المستجدّة وتخزينها.

3-تزويد المستعملين بالمصطلحات الموحّدة.

4-دعم دور المكتب في تنسيق المصطلحات العلميّة.

5- خلق شبكة عربية مصطلحيّة للاستفادة المتبادلة بين بنوك المصطلحات.

6-تخزين المعلومات البيليوغرافية المتعلقة بعلم المصطلح.

7- وضع دليل محوسب للمتخصصين العرب في علم المصطلح والمعجمية والترجمة.

وكان مكتب تنسيق التعريب قد عقد ندوتين (1995 بطنجة، و 1997 بالرباط) اهتمّت أولاهما بالمبادئ العامّة لاستثمار الحاسوب في العمل المصطلحي، وثانيتهما بالتطبيقات الحاسوبية العربية في المجال المصطلحي.

ولمكتب تنسيق التعريب مكتبة معجمية مختصّة "تشتمل على مئات المراجع المتصلة برسالة المكتب، كالمعاجم والموسوعات والدوريات، وهي مفتوحة بدورها في وجه خبراء المكتب وعامّة الباحثين والطلبة، من داخل دولة المقرّ وخارجها، لمساعدتهم على إنجاز بحوثهم" [29]، ويمكن اعتبار هذه المكتبة سندا هاما للبنك.

وإضافة إلى ما سبق، نشير إلى جهود بعض المؤسسات العلمية العربية مثل **"المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية"** بالكويت الذي يمكن اعتبار إنجازاته التوثيقية والمصطلحية وسعيه إلى حوسبتها خطوة على طريق إنجاز بنك مصطلحات متخصّص، وإلى جهود بعض المؤسسات الأجنبية مثل **شركة سيمانس** بألمانيا التي أرست بنكا للمصطلحات لأغراض أعمالها العلمية والتجارية تعدّ العربية إحدى لغاته الكثيرة.

4- الآفاق المرتقبة:

ينتظر من التوثيق المصطلحي بمختلف أصنافه (توثيق مصادر المصطلحات أي المعاجم والوثائق العلمية والتقنية، وتوثيق المصطلحات نفسها، وتوثيق الأدلة والمنهجيات

والمؤسسات والمشروعات) أن يعمّ كلّ المؤسسات العاملة بالوطن العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً (المجامع، مراكز الأبحاث اللغوية والعلمية، مراكز الترجمة،الجامعات، الاتحادات المهنيّة... الخ) أو المعنيّة بها من قريب أو من بعيد (مكاتب الترجمة، المدارس، الشركات، المؤسسات الإعلامية ، دور النشر، مكاتب الدراسات... الخ). وفي هذا السّياق، من المفيد أن نذكّر بتوصية صادرة عن "ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا " التي انعقدت بتونس في يوليو/ تموّز 1986 تحت شعار" **المصطلح العربي في خدمة التنمية الشاملة**"، وهي توصية لا تزيد على كونها نموذجا من توصيات كثيرة في الموضوع، وتتضمّن " **التأكيد على أنّ التوثيق أمر أساسي لازم في كلّ عمل مصطلحي، ودعوة جميع المؤسسات العربية والأجنبية التي تستخدم المصطلحات العربية أو تضعها أو تقيسها إلى إقامة قسم فيها للتوثيق المصطلحي تجمّع فيه المعاجم وسائر المطبوعات المتصلة بمجال اختصاصاتها**" (30).

ومن البديهي أن تكون أهمية قسم التوثيق ونوعية الأساليب والوسائل المستخدمة فيه مسايرتين لطبيعة المؤسسة أو الهيئة العاملة في مجال المصطلحات أو المعنية بها. على أنه **من الضروري أن تنشأ بنوك المصطلحات في كلّ الأقطار العربية**، وأن تخدم غرضين أساسيين، هما:

أ-**العمل المصطلحي**: بأن تكون في خدمة المصطلحيين والباحثين واللجان والهيئات المصطلحية، بما يساعد على تطوير العمل المصطلحي ويحسّن جودة المصطلحات العربية.

2- **الإعلام المصطلحي**: بأن تتيح لمختلف أصناف المستعملين المصطلحات العربية المقيّسة أو الموحّدة أو المفضّلة الموصى بأستخدامها، فتساعد على انتشار المصطلحات العربية وتحقّق الغاية من وضعها.

على أنه لا قيمة لبنوك المصطلحات إلا بمقدار ما يبذل من جهود لتزويدها بالبيانات المصطلحية المتصفة بالجدّة والوثوقية، وتطوير برمجياتها لرفع كفاءة خزنها للبيانات ومعالجتها واسترجاعها، كما أنه لا أهمية لها إن لم يكن الاتصال بها متاحا للمستفيدين على أوسع نطاق.

وعلى مستوى التزويد بالبيانات المصطلحية، ينبغي الحرص على النقطتين التاليتين خاصّة:

1- **إيجاد الآليات الكفيلة بجرد جيّد التراث العلمي واللغوي** العربي جرداً منهجياً تامّاً. بما يسدّ الفجوة التي قامت، في كثير من المجالات، بين ماضي اللغة العربية العلمية وحاضرها، وبما يساعد على دراسة ذلك التراث نفسه انطلاقاً من مفاهيمه وتسمياته المصطلحية.

وفي هذا الصدد فإن المعلوماتيّين العرب وخاصّة منهم ذوي الصلة بالعمل المصطلحي وبالتقانات اللغوية واللسانيات الحاسوبية، مدعوّون إلى **تطوير برمجيّة لاستخلاص (جرد) المصطلحات إلكترونياً**.

2-رصد **مختلف المولدات المصطلحية العلمية والتقانية والحضارية** التي تظهر في مختلف الأقطار العربية، والتعجيل بدراستها وتوحيدها منعا لتفاقم التوالد العشوائي للمصطلحات، وهو ما يقتضي تأسيس "**المرصد العربي للمولدات المصطلحية**" ليكون على شكل شبكة تعاونية، وعلى أساس تقاسم الجهود والنفقات.

ويبدو أن الحاجة أصبحت ماسة إلى **تأسيس بنك مركزي قومي للمصطلحات العربية**.

ثانيا: الإعلام المصطلحي

ذكرنا في البداية أنّ حياة المصطلح في استعماله واشتراك أعضاء الجماعة اللغويّة فيه. وقد سمّي المصطلح في العربية " مصطلحاً " لاصطلاح الناس عليه أي تواضعهم

وتراضيهم واتفاقهم عليه. وينتج عمّا سبق أنه "إذا استعمل أحد أفراد الجماعة اللغوية لفظا للدلالة على مفهوم ما، ثمّ لم يتبعه بقية الأفراد في ذلك الاستعمال، فإنّ ذلك المصطلح تزول عنه صفة المصطلحية ويبقى لفظاً من ألفاظ اللغة لا غير. لذلك فإنّ آلاف المصطلحات التي يضعها أفراد أو لجان أو مجامع ثمّ لا يستعملها المعنيون بالأمر، أي أهل الاختصاص والمشتغلون بالعلوم والتقنيات، لا يمكن أن تعدّ مصطلحات وإنّما هي مقترحات أو إمكانيات أو مصطلحات "موجودة بالقوّة" كما يقول الفلاسفة (...) المصطلح، إذن، يوجده الاستعمال المتواتر، ويبلوره، ويوثّق العلاقة بين مكوّنيه الرئيسيّين اللذين هما اللفظ والمفهوم، وبذلك يستقرّ فيقوم بدوره الذي يتمثّل في تصنيف الواقع ونقل المعرفة ونشرها وتبادلها " [31].

وقد تنبّه شيخ المجامع العربية- أعني مجمع اللغة العربية بالقاهرة- وأكثرها اهتماماً بالمصطلح العربي تنظيراً وتطبيقا، منذ تأسيسه، إلى ضرورة إشاعة ما يضعه من مصطلحات علمية وتقنية وحضارية، لا في مصر فحسب وإنما في سائر الأقطار العربية أيضاً، وذلك بمختلف الوسائل المتاحة. ومن قراراته الأولى في هذا الصدد قراره بأن "ينشر المجمع المصطلحات التي وضعتها اللجان وأقرّها المجلس، بحيث تنشر مصطلحات كلّ علم فني نشرة خاصّة **وتوزع مجانا على الأفراد والهيئات المختصّة بهذه المصطلحات...** " [32]، وقراره بأن " يقدّم المجمع رجاء إلى وزارة المعارف أن يراعي مدرسوها ألفاظ المجمع ومصطلحاته في التدريس، **إذ المدارس خير بيئة تنشر فيها الألفاظ الجديدة والمصطلحات الحديثة** " [33]، وقراره بأن "ترسل المصطلحات التي أقرّها المجمع (...) إلى وزارة المعارف لطبعها **وتوزيعها على المدارس والمؤلّفين والمترجين والصحف**" [34]، وقراره " تنبيه أصحاب **الجرائد والمجلات السيارة** على استعمال الكلمات التي وضعتها لجنة كلمات الشؤون العامّة " [35] وقراره بـ "نشر القوائم التي أقرّها المجمع من كلمات الشؤون العامّة **بالجرائد والمجلات قليلاً قليلاً**" [36]، وقراره **لتنظيم وسائل الاتصال بالجمهور** ونشر كلمات الشؤون العامّة التي يقرّها المجمع "**استخدام الإذاعة** على أن تتولّى ذلك لجنة من بينها مراقب المجمع" [37].

على أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد انتبه مبكّراً أيضاً إلى ما انتبهت إليه الاستراتيجيات والمنهجيات والهيئات واللجان المصطلحية في الغرب عندما قرّر ضرورة تعرّف ردود فعل المستعملين عامّة وأهل الاختصاص خاصّة إزاء ما يضعه أو يقترحه من مصطلحات، ليساعد ذلك على تطوير المصطلحات وتجويدها. ومن قراراته في هذا الشأن أن " تعرض الكلمات والمصطلحات التي يقرّها المجمع سنة على الجمهور بعد **إقرارها ويتقبّل المجمع خلال تلك السنة الانتقادات التي يعترض بها العلماء**" [38]، وقراره بأن " يكون من وسائل النشر التي يتخذها المجمع إرسال المصطلحات قبل عرضها على المجمع إلى وزارات المعارف والهيئات العلمية في مصر وبالبلاد العربية وغيرها، والانتظار بها مدّة كافية، **لتبدي هذه الوزارات والهيئات رأيها**، وتوافي المجمع به" [39]... الخ. ومثل هذه التوصيات يلتقي مع ما ورد في المبدأ الرابع من " المبادئ الأساسيّة في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها" التي صدرت عن" ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي " (الرباط 18-1981/2/20). فقد تضمّن ذلك المبدأ "**اشتراك المختصّين والمستهلكين في وضع المصطلحات، ومواصلة البحوث والدراسات ليتيسّر الاتصال بدوام بين واضعي المصطلحات**

ومستعمليها"[40]، وهو ما يقتضي وجوب إعلام المستعملين ، لأنّ المصطلحات إنما توضع لهم، ولأنّ تعرّف مواقفهم منها يسهم في تطوير تلك المصطلحات وتحقيق جودتها.

إنّ كلّ هذه القرارات أو التوصيات، التي صدرت في دورات المجمع خلال الثلاثينيات والأربعينيات، دالّة على وعي تامّ بضرورة نشر المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية التي أقرّها المجمع والإعلام بها على أوسع نطاق، حتى تكتسب صفة " المصطلحيّة" وتحتلّ موقعها الضروري في المدرسة والجامعة والتعبير العلمي والثقافي. ولا تزال مثل هذه التوصيات تتردّد في كلّ المؤتمرات والندوات اللغوية والمصطلحية وغيرها، وفي مقدّمتها مؤتمرات مجامع اللغة العربية ومؤتمرات التعريب التي بلغ عددها، إلى يومنا هذا، عشرة مؤتمرات تكرّر توصياتها بعضها بعضا، وما ذلك إلاّ بسبب الأزمة التي فرضت على اللغة العربية عندما أُقصيت عن تدريس العلوم في التعليم العالي- بل التعليم الثانوي أيضاً في بعض الأقطار العربية- وعن كثير من مجالات الحياة العصرية في العديد من الأقطار العربية منذ العهد الاستعماري ثم في " زمن العولمة ".

وفي إطار الوضعية اللغوية التي تعيشها أغلب الأقطار العربية والتي توصف لسانيّاً بالثنائية (Bilinguisme) والازدواجيّة (Diglossie) اللتين تزاحم في نطاقهما اللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسيّة) والعاميات المحلّية اللغة العربية الفصيحة المشتركة يصطدم الإعلام المصطلحي- باعتباره عرضا لمنتجات هي المصطلحات - بعقبة كأداء هي ضعف الطلب العربي للمصطلحات لا في وسائل الإعلام الجماهيري والحياة العامّة فحسب، ولكن خصوصاً في التعليم عامة والجامعي منه خاصّة. وعملاً بقانون السّوق فإنّ ضعف الطلب- بسبب غياب سياسة التعريب الشامل- ينعكس سلباً على المنتجات المعروضة- وهي هنا المصطلحات- فيؤدّي إلى كسادها وإهمالها وضمورها ونزع صفة " المصطلحيّة " عنها، إذ أنّ الحاجة هي التي تخلق الوسيلة، والوظيفة هي التي تخلق العضو. وإنّ "المصطلح ينتشر حين يصبح عملة مقبولة" [41].

على أنّ غياب سياسة التعريب الشامل لا تعفي المهتمين بالتعريب والمدافعين عنه والداعين إليه من مواصلة ترقية اللغة العربية والعناية بمصطلحاتها وضعاً واستكمالاً وتحديثاً وتقييساً وتوحيداً ونشراً، حتى لا يكون نقص المصطلحات كمّاً أو كيفاً ذريعة لمناهضة التعريب وعقبة تفتعل في طريق إنجازه.

ومن الضروري استثمار الاتجاهات الإيجابية لدى الرأي العامّ العربي عامّة وأغلب فئات المثقفين وقادة الرأي خاصّة لإشاعة المصطلحات العربية وتوطينها في مختلف البيئات والقطاعات باستعمال مختلف الأساليب والوسائل العصرية، وفي مقدّمتها الحاسوب ووسائل الإعلام الجماهيري، حتّى تصبح، أكثر فأكثر، أمراً واقعاً لا تراجع فيه، مع السعي إلى إقناع المناهضين للتعريب والمشككين في نجاعته وجدواه بذور اللغة العربية في التنمية العربية الشاملة المتوازنة التي تعتني بالجوانب التربويّة والتعليمية والثقافية والروحيّة عنايتها بالجوانب الاقتصادية والمادية.

إنّ أوّل سبل نشر المصطلح وإشاعته- وهو هدف الإعلام المصطلحي-هو"وضعه في متناول أهله وطالبيه[42] الفعليّين (الموجودين بالفعل) أو الضمنيّين (المحتملين أو الموجودين بالقوة)، وذلك بأساليب ووسائل عديدة هي القانون، والتأليف العلمي باللغة العربية، والترجمة العلمية إلى اللغة العربية، وتأليف المعاجم المتخصصة الثنائية أو المتعدّدة اللغات، والتقييس المصطلحي في إطار التقييس

الصناعي... الخ، وكلّها أساليب ووسائل لم تغب عن أذهان قادة الرأي العرب خاصّة في القرن العشرين. ولا شكّ أن التعليم عامة والجامعي منه خاصّة هو أفضل إطار لنشر المصطلحات العربية وإشاعتها، على شرط ألا يكون هذا التعليم مقطوعاً عن لغة البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل هذا القطر أو ذاك، فلا يكون جزيرة منعزلة في وسط مستلب ومناوئ. وهذا يعني أنّ نشر المصطلح العربي وإشاعته مسؤولية قومية جماعية تعدّ فرض عين لا فرض كفاية، ويقتضي النهوض بها جهداً جماعيّاً عصريّاً في شكل "شبكة للعمل والإعلام المصطلحيّين " مثلاً.

ثالثاً: الشبكة العربية للعمل والإعلام المصطلحيين

تضمّنت التوصية الثامنة عشرة الصادرة عن " ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً " (تونس- يوليو/ تمّوز 1986)الدعوة إلى " **إنشاء شبكة عربية للإعلام المصطلحي، على أساس النظام الموزّع لا المركزي، وقيام المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في تونس بإجراء دراسة جدوى لهذا المشروع بعد دراسة المواصفات التقنية لهذه الشبكة ولقاعدات المصطلحات في العالم العربي،** بالتعاون مع المؤسسات العالمية ذات الخبرة في المجال، وتسجيل عرض المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في تونس بأن يقوم بدور الأمانة التقنية لهذه الشبكة، وتسجيل عرض اليونسكو بتقديم المساعدة لهذا المشروع في مرحلة دراسة الجدوى وفي مرحلة الإنشاء "[43].

وقد أنجز المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس دراسة الجدوى المشار إليها مستعيناً بثلاثة خبراء (هم الأستاذ هلموت فلبر المدير السابق للمركز الدولي للإعلام المصطلحي (الأنفوترم) بفيينا، والأستاذ زهير المراكشي، والأستاذ عبد اللطيف عبيد). وقد تضمّنت دراسة الجدوى عرضا للوضع الراهن للأنشطة المصطلحية في الوطن العربي، وبيانا للحاجة إلى الشبكة العربية للإعلام المصطلحي، ومشروع الشبكة نفسها من حيث الأهداف، والهيكل، والخدمات التي توفّرها، والانتساب إليها، وتعاونها مع الجهات الخارجيّة، وتمويلها.

وقد تضمّنت خاتمة الدراسة ما يلي:

"ينبغي أن يفهم من الشبكة **أنّها رابطة للأجهزة العربية الحكومية وغير الحكومية والأفراد المهتمين بتطوير وإرساء مصطلحات عربية موحّدة وبنية مصطلحية أساسية لإعداها.** وبالتالي فإنه ينبغي أيضاً أن يكون واضحاً في كلّ الأذهان أنّ الشبكة العربية للإعلام المصطلحي لن تحلّ محلّ المؤسسات والأجهزة العربية القائمة والمهتمة بالمصطلحات، ولن تكون بديلا لها، بل إنّ العكس هو الصحيح.فالشبكة العربية للإعلام المصطلحي تنطلق من الأنشطة المصطلحية القائمة والبنية الأساسية المصطلحية الراهنة في البلدان العربية، **وتهدف إلى الربط بين تلك الأنشطة المصطلحية والتنسيق بين المؤسسات العربية المهتمة بالمصطلحات بحثاً وإنجازًا وتدريباً وتوثيقاً وحوسبة وتقييساً** بهدف ضمّ جهودها لبعث بنية أساسية مصطلحية مستقبلية ضرورية **لإيجاد مصطلحات عربية شاملة موحّدة في مجالات العلوم ونقل التكنولوجيا والأنشطة الاقتصادية والثقافية** "[44].

وقد تضمنت التوصية السادسة عشرة الصادرة عن ندوة " تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته " (عمّان، 6-1993/9/9) ما يلي: "اعتبارا لتجربة مصرف المصطلحات بمجمع اللغة العربية الأردني في معالجة المصطلحات وتوحيدها، يرجى من المؤسسات العربية المتخصصة في وضع المصطلح العربي

وتوحيده أن تتعاون مع المصرف المذكور حتى يصبح مركزاً عربياً للإعلام المصطلحي، وحتّى يحقق إنشاء شبكة عربيّة لامركزيّة للمصطلحات وذلك في سبيل رفع مستوى العمل المصطلحي بشكل عام"[45].

لكنّ مؤتمر التعريب السابع (الخرطوم 1994) عدّل هذه التوصية كما يلي:

"يرجى من المؤسسات العربية المتخصّصة في مختلف البلدان العربية التي من مهامها وضع المصطلحات العربيّة وتخزينها وضبطها أن تتعاون فيما بينها لإنشاء شبكة عربية للمصطلحات يكون مركزها مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وذلك في سبيل رفع مستوى العمل المصطلحي وتوحيد المصطلحات بشكل عامّ "[46].

وقد أشارت دراسات وتقارير عديدة إلى فكرة هذه الشبكة، ودعت إلى تفعيلها، وهي فكرة لاتزال مطروحة للنقاش. ونظراً إلى أنني أحد منجزي دراسة جدوى هذه الشبكة فإنني أضعها بين أيدي المشاركين في هذه الندوة المباركة، وأقترح تعديل اسمها- تجنباً لأي التباس وإلحاحًا على اتساع مشمولاتها- ليصبح: **"الشبكة العربية للعمل والإعلام المصطلحيّين "**، علما أن فكرتها مستوحاة من " الشبكة الدولية للإعلام المصطلحي " (Infoterme) بفيينّا.

رابعاً: النتائج والتوصيات:

ركّزنا في هذه الورقة على تشخيص مشكلتين رئيسيّتين من مشكلات المصطلح العربي خاصّة واستخدام اللغة العربية في التعليم والتعبير العلمي عامّة، وهما التوثيق والإعلام المصطلحيّان.

ففيما يخصّ التوثيق، توصّلت الورقة إلى أنه عنصر أساسي لازم في كل عمل مصطلحي، وإلى أنّ من أهم أسباب أزمة المصطلحات العربية وما تتصف به من فوضى ونقص ضعف أعمال التوثيق المصطلحي، ممّا أدّى إلى ما يشبه القطيعة بين حاضر اللغة العربية العلمية وماضيها، وإلى تكرار الجهود وعدم إفادة مؤلّفي المعاجم من جهود القدامى والمحدثين باستثناء نخبة قليلة منهم.

وأوصت الورقة بما يلي خاصّة:

- ضرورة نشر الوعي بأهمية توثيق المصطلحات ومصادرها ومؤسّساتها والأدلة والمنهجيات المتصلة بها، وذلك لدى المؤسسات العاملة في مجال المصطلحات أو المعنية بها من قريب أو من بعيد؛
- إنشاء بنوك المصطلحات في كلّ الأقطار العربية لتكون في خدمة العمل والإعلام المصطلحيّين؛
- تطوير برمجيّة عربية لاستخلاص (جرد) المصطلحات إلكترونياً؛
- تأسيس " المرصد العربي للمولّدات المصطلحيّة العلمية والتقانية و الحضارية "؛
- تأسيس بنك قومي للمصطلحات العربية.

وفيما يخصّ الإعلام المصطلحي، أكّدت الورقة أن لا حياة للمصطلح دون استعماله، وهو ما يقتضي وضعه في متناول أهله وطالبيه وإتاحته لهم بشتى الأساليب والوسائل، إضافة إلى أنّ إشاعة المصطلح تسهم إسهاماً كبيراً في تطويره وتجويده، وهو ما تنبّه إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسعى إلى تطبيقه منذ الثلاثينيات. وبيّنت الورقة أن المصطلح العربي- وإن كان يخضع لقانون العرض والطلب- فإنّ غياب سياسة التعريب الشامل لا تعفي المهتمّين بالتعريب والمدافعين عنه والداعين إليه من ترقية اللغة العربية والعناية بمصطلحاتها وضعاً واستكمالاً وتحديثاً وتقييساً وتوحيداً ونشراً، حتى لا يكون نقص المصطلحات كمّاً أو كيفاً ذريعة لمناهضة التعريب.

وأوصت الورقة بما يلي خاصّة:

– استثمار الاتجاهات الإيجابية نحو اللغة العربية لإشاعة المصطلحات العربية وتوطينها في مختلف البيئات والقطاعات باستعمال مختلف الأساليب والوسائل وفي مقدّمتها الحاسوب، ووسائل الإعلام الجماهيري، والتأليف العلمي باللغة العربية والترجمة العلمية إليها، وتأليف المعاجم المتخصّصة، والتقييس المصطلحي في إطار التقييس الصناعي.

– اعتبار نشر المصطلح العربي وإشاعته مسؤولية قومية جماعية يقتضي النهوض بها جهداً جماعياً عصرياً يستجيب لمتطلبات العصر وتحدّياته؛

– تفعيل مشروع " الشبكة العربية للعمل والإعلام المصطلحيين ".

الهوامش

1–حول التوثيق المصطلحي انظر على سبيل المثال:

علي القاسمي: مقدّمة في علم المصطلح، دار الحرية للطباعة، بغداد 1985 (265 ص)، ص 161 – 208.

Guy RONDEAU : « Terminologie et documentation » in : Meta, Vol 25, N° 1, mars 1980, pp 152-170.

2–انظر حول معايير انتقاء المصطلحات وصياغتها: المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية: مبادئ علم المصطلح وطرائقه– المواصفة التونسية م. ت 44– 04 (1990)،ص 19–20.

3– المنظمة الدولية للتقييس– أيزو: مفردات علم المصطلح– المواصفة الدولية أيزو1087(1990)،نقلها إلى العربية عبد اللطيف عبيد (بطلب من المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس لتكون مشروع مواصفة قياسية عربية)،تونس 1995 ،ص 7.

4– جمال الدين الشيّال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمّد علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1951(228+97 ص) ، ص 192.

5– نقلا عن المرجع نفسه، ص 192.

6– نقلا عن المرجع نفسه، ص 192 193.

7– نقلا عن المرجع نفسه، ص 193.

8– انظر حول التونسي ومعجم " الشذور الذهبية... ": إبراهيم بن مراد: "أسس المعجم العلمي المختصّ في "الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية " للتونسي" في: المعجم العربي المختصّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 (496 ص)ص 19–49.

9– مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث،ط2، المجمع العلمي العربي، دمشق 1965 (219 ص)، ص 45 .

10– مجمع اللغة العربية: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما 1934–1984، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، القاهرة 1984(326 ص)، ص 232.

11– المرجع نفسه،ص 232.

12– انظر مثلا: عبد الكريم خليفة: "دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات " في: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث ،مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان 1987، (291ص)، ص 243 – 262.

13– انظر حول هذه المعاجم الأربعة المرجع التالي مثلا: محمود حافظ: "اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء "، مجلّة مجمع اللغة العربية،33(مايو 1979)،ص 79–89.

14– انظر حوله: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية، ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985 (353ص)ص 271 – 308.

15– جاء في لسان العرب لابن منظور (مادّة: حسا): "الحسي: الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حرّ الشمس أن ينشف الماء، فإذا اشتدّ الحرّ نبث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع باردا عذبا... "

16– جاء في حديث ابن بصّال عن زراعة خيار شنبر أنه "يوافقه من الأرض والهواء مثل ما يوافق المخيطا، إلاّ أن غراسته تكون في شهر يناير ويحين نباته في أبريل، فإذا نبت وقرب فصل الشتاء حجب عنه وأدخل في البيوت المكنة بالليل لئلا ينـزل عليه الجليد لأن الحريق يسرع إليه ويخاف عليه ذلك في البلاد

الباردة ".

ابن بصّال: كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلّق عليه خوسي ماريه مياس بيكروسا ومحمّد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان 1955 ، (182+ 231 ص)،ص 85 .

17- أحمد الأخضر غزال: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الأبحاث والدراسات للتعريب،الرباط 1977،(82 ص) ص39.

18 - المرجع نفسه، ص 47 .

19 - ليلى المسعودي: علم المصطلحات وبنوك المعطيات، (مستلّة غير محدّدة المصدر)، الرباط 1985، (4 ص) ، ص 3

20- عبد الرحمان بن عبد العزيز الفاضل: "البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)- تجربة عربية لتوثيق المصطلحات العلميّة "، اللسان العربي، 47 (1999)،(ص 79-105)، ص 84 .

21- عبد الله سليمان القفاري: "خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح العربي"، اللسان العربي،39 (1995)،(ص277 - 293)، ص 284.

22 - فارس الطويل: "نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي"، اللسان العربي، 39 (1995)، (ص 225 – 276)،ص 239.

23 - المرجع نفسه، ص 241.

24 - المرجع نفسه، ص 241-242 .

25- المرجع نفسه، ص 245 - 246.

26- المرجع نفسه، ص 247 - 248.

27- المرجع نفسه، ص 267.

28 - مكتب تنسيق التعريب: دليل مكتب تنسيق التعريب، إعداد محمد أفسحي، ا لرباط 1997 (34 ص)،ص 23 .

29 - المرجع نفسه ، ص 22.

30- " توصيات ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً "،مواصفات (مجلة)،31/30(جويلية/ يوليو 1986)، (ص 5 - 7) ، ص 6 .

31- عبد اللطيف عبيد: "إشكالية المصطلح العربي بين الوضع والاستعمال"، الإعلامية للعالم العربي (مجلّة) ، 2 (سبتمبر 1988)، (ص 16-18) ص 16-17.

32- مجمع اللغة العربية: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما ... مرجع ذكر سابقا في الهامش 10 أعلاه)، ص 259.

33- المرجع نفسه، ص 360.

34- المرجع نفسه، ص 361.

35- المرجع نفسه، ص 362.

36- المرجع نفسه، ص 363.

37- المرجع نفسه،ص 364.

38- المرجع نفسه،ص 253.

39- المرجع نفسه ص 254.

40- اللسان العربي،39(1995)،(ص 339-341)،ص 340 .

41- أحمد شفيق الخطيب: "حول تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته "، اللسان العربي، 39 (1995)،(ص 145-147)،ص 166.

42 - المرجع نفسه، ص 166.

43-"توصيات ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً "(مرجع ذكر سابقاً في الهامش 30 أعلاه)،ص7.

44- المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية: الشبكة العربية للإعلام المصطلحي: تصوّر في مراحل تنفيذ المشروع، تونس- سبتمبر 1987، (28 ص) ، ص 28 .

45- "تقرير لجنة الصياغة عن نتائج أعمال ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته" ، اللسان العربي،39 (1995)،ص (335-338) ، ص 337.

46-تقرير لجنة بحوث المؤتمر وتوصيات ندوة عمّان المعروضة على مؤتمر التعريب السابع- الخرطوم يناير/ كانون الثاني 1994" ، المرجع نفسه، (ص 343 - 344) ص 343.

المعاجم اللسانية العربية :
ما لها وما عليها

عمر أوكان (*)

من المعجم العام إلى المعجم الخاص (أو المختص)

المعجم الخاص (أو المختص) هو الذي يقتصر على اصطلاحات علم معين ويختص بها دون غيرها من اصطلاحات تنتمي إلى علم آخر أو علوم أخرى ؛ ومثاله معجم اللسانيات أو معجم الإعلاميات أو معجم الرياضيات، إلخ ؛ وقد يكون أكثر اختزالاً واختصاصاً بحيث يتناول اصطلاحات فرع معين من فروع العلم الواحد مثل الاقتصار على الصوتيات أو السيميائيات أو التداوليات في مجال اللسانيات، أو على مصطلحات العين وأمراضها أو مصطلحات التشريح في مجال الطب، إلخ ؛ بل إنه قد يتناول أحياناً اصطلاحات كتاب معين أو كاتب معين فقط.

وتأتي أهمية المعجم الخاص (أو المختص) من جهة الدقة في وضع الاصطلاح، والشفافية التي تكتنفه، ومراعاة السهولة والإنتاجية في اختياره، حيث إن المعجم العام - مثلاً- لا يهتم بوضع حدود دقيقة تميز بين الاصطلاحات المتجاورة في المعنى والدلالة ؛ إذ إنه قد يضع لكلمات مثل Contexte و Environnement و Situation مقابلاً واحداً هو "سياق" دون الحرص على التمييز فيما بينها وإقامة الحدود اللغوية والمنطقية، كما أنه لا يهتم باحتواء الاصطلاحات الدقيقة للعلوم بين دفتيه ؛ ومن ثَمَّ فلن نفاجأ أو نصدم إن لم نعثر فيه على عدد كبير منها أو حتى على الحد الأدنى من هذه الاصطلاحات.

هكذا من خلال بحث سريع واعتباطي في **المورد** (إنجليزي-عربي) لم نعثر على اصطلاحات لسانية مثل sème و sémème و syntagme ، إلخ ؛ كما لم نعثر في **الكامل الكبير** (فرنسي-عربي)على اصطلاحات لسانية مثل Tagmème و Tagmèmique و Illocutoire و Illocutionnaire ، إلخ. إضافة إلى ذلك، فالمعجم العام في معالجته للاصطلاح المختص غالباً ما يلجأ إلى الترجمة ؛ أي تقديم المقابل العربي للاصطلاح في جملة تحتفظ بالمعنى ولا تهتم بوضع المصطلح الواحد للمفهوم الواحد في الحقل الواحد. هكذا يضع **المورد** - مثلاً- مقابلا للفظ Semantics : علم دلالات الألفاظ وتطورها، وللفظ Phonetics : علم تمثيل أو تصوير الأصوات، وللفظ Syntax : تركيب أو استعمال كلمة في جملة، إلخ ؛ ويضع **الكامل الكبير** مقابلاً للفظ Stylistique : مبحث أساليب الكتابة، وللفظ Morphologie : علم التشكل، الخ.

من هنا يمكن أن نفهم الدور المهم الذي يقوم به القاموس الخاص(أو المختص) في ترجمة الأعمال والمساعدة على قراءتها ؛ فهو أداة لا غنى للمترجم عنها، سواء أكان مختصا في مجال الاصطلاح الذي يتناوله أم غير مختص فيه. إلا أن هذا الحكم لا يعني أن كل المعاجم الخاصة (أو المختصة) يمكن أن تذلل الصعاب أمام المستعين بها، بل إن

(*) أستاذ باحث - المغرب

بعضها يشكل خطرا على اللاجئ إليها "كالمستجير من الرمضاء من النار"، خصوصا إن لم يكن من أهل المجال والعلم. ولا أدل على ذلك من الانتقادات التي وجهت لها؛ ومنها على سبيل الذكر الانتقادات التي وجهها عمر أوكان **للمعجم الموحد للسانيات** وليلى المسعودي للمعجم نفسه، والانتقادات التي وجهها علي القاسمي **للمصطلحات اللغوية الحديثة في العربية** لمحمد رشاد الحمزاوي؛ والانتقادات التي وجهها محمد رشاد الحمزاوي **لقاموس اللسانيات** للمسدي **ولمعجم المصطلحات اللغوية والصوتية** لخليل إبراهيم حماش **ولمعجم علم اللغة النظري** لمحمد علي الخولي **ولمعجم علم اللغة الحديث** لمحمد باكلا وآخرين ؛ والانتقادات التي وجهها محمد حلمي هليل **لمعجم علم اللغة النظري** لمحمد الخولي **ولمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث** لمحمد باكلا وآخرين، إلخ.

المعجم اللساني العربي : ملحوظات أولية

نسجل بدءا أن هناك بعض المعاجم التي لا علاقة لها بموضوعنا، ولا تدخل في المدونة التي اعتمدناها، رغم أنها تحمل لفظ "لسانيات" عنوانا لها ؛ مثل **المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)** من إعداد محمد التونجي وراجي الأسمر؛ وذلك لأنها لا تتناول اللسانيات الحقة بقدر ما تنصب في إطار الدرس اللغوي العربي القديم. ولهذا السبب الأخير، فإن معجم **العريف** الذي وضعه بيير كاكيا عن مصطلحات النحو العربي رغم ثنائيته اللغوية (إنجليزي – عربي /عربي–إنجليزي) لا يدخل في مضمار هذه الدراسة التي تقتصر على العلم الذي وضعه فرديناند دو سوسور وصار علماً رائداً فيما بعد حين طوره ورثته من بنيويين وتوزيعيين وتحويليين وتوليديين ووظيفيين وفلاسفة لغة، إلخ.

ملحوظة أولى :

نلاحظ أن هذه المعاجم بعضها ثنائي اللغة : إما فرنسي- عربي مثل قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي، ومعجم اللسانة لبسام بركة ومعجم الدلائلية للتهامي الراجي الهاشمي ؛ أو إنجليزي – عربي مثل معجم علم اللغة النظري ومعجم علم اللغة التطبيقي وهما معا لمحمد علي الخولي، ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لمحمد حسن باكلا وآخرين، ومعجم المصطلحات اللغوية والصوتية لخليل ابراهيم حماش، ومعجم اللسانيات الحديثة لسامي عياد حنا وكريم زكي حسام الدين ونجيب جريش، وقاموس الأسلوبية والبلاغة لحسن غزالة ؛ وبعضها الآخر ثلاثي اللغة، حيث إنه يجمع بين العربية والفرنسية والإنجليزية مع جعل إحدى هذه اللغات الثلاث هي المدخل والأخرى وسيطاً والتي تليهما مخرجاً، مثل **معجم المصطلحات اللغوية** لخليل أحمد خليل، **والمعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات** لمكتب تنسيق التعريب، **ومعجم المصطلحات الألسنية** لمبارك مبارك، **ومعجم المصطلحات اللسانية الإعلامية** للطيب بكوش ورضا السويسي وعبد المجيد بن حمادو، **والمصطلح اللساني** لعبد القادر الفاسي الفهري، **وقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص** لرشيد بن مالك ؛ في حين أن بعضها رباعي اللغة (عربي–إنجليزي–ألماني–عربي) مثل مصطلحات علمي الأصوات واللغة من وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وليس هذا الأمر قصرا على العربية دون غيرها من اللغات الحية ذات الانتشار الواسع. ففي الفرنسية، نجد ماروزو في **معجم اصطلاحات اللسانيات** يضع المصطلح الألماني جنب المصطلح الفرنسي، كما أنه أعاد طبعه من

خلال وضع مقابل ثلاثي الألسن للمصطلح الفرنسي (فرنسي-ألماني-إنجليزي - إيطالي) ؛ وفي الإنجليزية، نجد ناش يضع معجما متعدد الألسن عن اللسانيات وفقه اللغة، حيث إنه يشمل المصطلح الإنجليزي والألماني والروسي والفرنسي.

وأود هاهنا أن أطرح تساؤلين جوهريين ومرتبطين فيما بينهما ارتباط المقدمة بالنتيجة، وإن كانا يبدوان غريبين نوعاً ما. وهما كالتالي:

- لماذا تهتم المعاجم اللسانية العربية بوضع المقابل الأجنبي أمام اللفظ العربي؟

- وألا يمكن تجاوز هذا الوضع والاقتصار على المصطلح العربي فقط دون اللجوء إلى المصطلح الأجنبي ؟

الجواب عنهما يتمثل في أن المصطلح العربي في مجال اللسانيات لم يستقر بعد ومازال في طور البحث عن التكوين والتوحيد ؛ وهو ما عبر عنه الطيب بكوش ورضا السويسي وعبد المجيد بن حمادو بقولهم: " وإننا مازلنا في مرحلة لم تترسخ فيها المصطلحات التي تحتاج ، في غالب الأحيان، إلى أكثر من جيل من الممارسة ؛ مما يتحتم وضع المصطلح الأجنبي بجوار المقترح العربي مدة طويلة قبل التفكير في وضع القواميس الأحادية اللغة التي تتجاوز توفير المصطلح إلى الشرح الدقيق والتعريف العلمي وانتقاء الشواهد الملائمة ".

ملحوظة ثانية :

نسجل تنوعا في عناوين هذه الأعمال حيث يعتبر البعض عمله قاموساً في حين يعتبره البعض الآخر معجماً؛ مما خلق نوعا من التذبذب والبلبلة لدى المتلقي زاد من حدتها كون بعض القواميس، ومنها **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات**، يجعل " المعجم" في العنوان مقابلا لكلمة Dictionary وفي المتن نجد "القاموس" هو المقابل لهذا المصطلح الأجنبي. هكذا يضع البعض "القاموس" أو "المعجم" مقابلا لمصطلح Dictionnaire ، في حين أن فئة أخرى تفضل الاحتفاظ بمصطلح "معجم" مقابل مصطلح Lexique الأجنبي مثلما قام به التهامي الراجي الهاشمي في **معجم الدلائلية** وجورج بوهاس وآخرين في **معجم اللسانيات** ؛ وهو تميز نشجع عليه بل ونؤكد على ضرورة الالتزام به في وضع القواميس اللسانية لأسباب سنوضحها في هذا العمل وبإسهاب في عمل لاحق.

ونجد هذا التنوع أيضا بحذافيره في الأعمال الفرنسية التي تستعمل Dictionnaire مثل دوبوا، وتودوروف مع دوكرو، وغريماس مع كورتيس، وجورج مونان، وسومبف مع هوغ وموريي، ومولينيي ؛ أو تستعمل Lexique مثل إنجلر وماروزو ودوبوف ؛ أو تستعمل Vocabulaire مثل فليزون، ومازالايرات مع مولينيي، الخ. وكذا في الأعمال الإنجليزية بدورها حيث نجد Dictionary لدى بي مع غاينر، ولدى كريستال، ولدى وولز، ولدى هارتمان مع ستورك، ولدى أونيشي، وريتشاردز، ونجد Glossary لدى هامب، ولدى ماكليش ولدى بي مع غاينر، ولدى أميروش-غربي، ولدى بلير، ولدى جيرسون، ولدى بالماتيي وستيبل ونجد Lexicon لدى ناش، مع غياب Vocabulary التي لم نعثر عليها.

فهل هناك فرق بين هذه المفردات أم لا؟

وإذا كان يوجد فرق فإلى أيها تنتمي المعاجم اللسانية الموجودة لدينا؟

من هنا ينبغي أولا التمييز بين Dictionnaire و Lexique، Vocabulaire، Glossaire، Thésaurus.

فالقاموس Dictionnaire كما يعرفه فيلزيون هو "مجموع منتظم من كلمات لغة ما"، أما المعجم Lexique فهو

"مجموع الكلمات التي يقع بها التواصل فيما بين جماعة لسانية ، وهو من هذه الناحية يختلف عن الملفظ Vocabulaire ؛ حيث إنهما لم يصبحا مستعملين مثلما كان عليه الأمر في السابق دون اختلاف، وإنما صار المعجم يتعلق بوحدات اللسان أو الكفاية اللغوية، فهو إذن مجموع الكلمات التي يتوفر عليها المتكلم أو الجماعة اللسانية أو اللغة عموماً ؛ في حين أن الملفظ يتعلق بوحدات الكلام أو الإنجاز اللغوي أو الخطاب عموماً، حيث إنه ينطبق على قائمة المفردات الواردة في نص ما أو في متن ما أو لدى مؤلف ما. والملسن Glossaire عموما هو قاموس يتعلق بالكلمات النادرة أو غير المعروفة أو المصطلحات التقنية في مجال معين ، ويقول دوبوا في تعريفه له :" هو قاموس يعطي ترجمات بسيطة لمعنى الكلمات النادرة أو غير المعروفة، أو قاموس يضع معجماً للمصطلحات التقنية لمجال متخصص"، ويقول جاك روجير في تعريفه له: " وفي أيامنا هذه نسمي ملاسن قوائم جرد معجمية تظهر في نهاية مؤلف ما وتعطي لائحة ألفبائية لكلمات الملفظ المختص الذي هو مستعمل، أو أيضا قواميس مزدوجة موجزة معطاة في نهاية مختارات مدرسية، وأحيانا أخرى قوائم جرد ألفبائية لملفظ مختص أو لهجي". وأخيرا، فإن المكثر هو اسم معطى لقواميس تهدف إلى استقصاء معجم لغة ما أو لمعاجم فلسفية أو معمارية.

انطلاقا من هذا التمييز، فإننا لا نرى مانعاً من استعمال قاموس أو معجم لتلك الأعمال التي ترصد المصطلح وتقدم تعريفا به (له)، مع الحرص على مقابلة قاموس لمصطلح Dictionnaire ومعجم لمصطلح Lexique حتى يمكن فهم الدلالة التي تحملها هذه الكلمة الأخيرة في المجال المعجمي من جهة وفي مجال النحو التوليدي أو الوظيفي من جهة أخرى. إلا أن تلك الأعمال التي لا تعرض سوى للمصطلح الأجنبي مع ذكر مرادفه العربي فهي ليست قواميس أو معاجم إلا عن طريق المجاز بينما هي في الحقيقة ملاسن ؛ وهي مسألة قد وعى بها محمد علي الخولي حين وضع ملسناً في آخر معجمه سماه "مسرد ألفبائي بالمصطلحات العربية الواردة في المعجم"، في حين لم يحالف الحظ بسام بركة حين سمى معجمه "معجم اللسانة : فرنسي-عربي مع مسرد ألفبائي بالألفاظ العربية" ؛ حيث إن معجمه كله عبارة عن ملسن (أو مسرد) ؛ في حين أن معجم المصطلحات الصوتية لكتاب "الصوتيات" لمالمبرج لمحمد حلمي هليل هو ملفظ وليس معجماً.

ملحوظة ثالثة :

تتناول هذه المعاجم المصطلح اللساني عموما وهي الأغلبية ؛ في حين أن بعضها يتناول اللسانيات مع التركيز على فرع معين منها مثل **معجم المصطلحات اللغوية والصوتية** لخليل إبراهيم حناش ؛ وهو عنوان يشتمل على نوع من الإطناب حيث يأتي فيه ذكر الخاص بعد العام، ولعل صاحبه تأثر بكريستال في معجمه الموسوم **بالقاموس الأول للسانيات والأصواتيات**،ونجد مثيلا لذكر العام بعد الخاص لدى هارتمان في معجمه الموسوم **بقاموس اللغة واللسانيات**، في حين أن أونيشي حاول تجاوز هذا الإطناب بعد كريسطال فسمى معجمه **بالقاموس الكبير للأصواتيات**، ومن المعاجم التي يأتي فيها ذكر العام بعد الخاص نذكرمعجم دوبوا **الموسوم بقاموس اللسانيات والعلوم اللغوية**،وحتى لا يقع تودوروف ودوكرو في هذا الإطناب فقد سميا معجمهما **بالقاموس الموسوعي في علم اللغة.**

وتقتصر فئة معينة من هذه المعاجم على فرع معين من اللسانيات مثل **قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص** لرشيد بن مالك، **ومعجم الدلائلية** للتهامي الراجي الهاشمي ؛ وقد اهتم الفرنسيون بهذا المجال أيضاً فوضع غريماس مع كورتيس **سيميائيات : معجم معقلن لنظرية اللغة** ، ووضعت جوزيت راي دوبوف معجماً عن السيميائيات (والذي قمنا بترجمته وهو الآن قيد الطبع لدى إفريقيا الشرق)، ومثل **قاموس الأسلوبية والبلاغة** لحسن غزالة الذي ركز فيه على **معجم الأسلوبيات** لكيتي ويلز بالإنجليزية في حين نجد في الفرنسية **قاموس البلاغة** لجورج مولينيي **وقاموس الشعريات والبلاغة** لهنري موريي، **وملفظ الأسلوبيات** لمازالايرات ومولينيي ؛ ومثل **معجم اللسانيات التطبيقية** لمحمد علي الخولي الذي لم يطلع على المعجم الذي ألف في الإنجليزية قبله بسنة عن اللسانيات التطبيقية من طرف ريتشاردز وآخرين ؛ ومثل **معجم اللسانيات الإعلامية** للطيب بكوش ورضا السويسي وعبد المجيد بن حمادو، ونجد بعض المعاجم التي تختص بمدرسة معينة مثل **معجم النحو الوظيفي** لمحمد المسدي (تحت الطبع لدى إفريقيا الشرق)، وهنا نستحضر أيضاً معجم فاشيك ودوبسكوي بالفرنسية عن قاموس لسانيات مدرسة براغ ومعجم أمبروس-غربي بالإنجليزية عن النحو التحويلي ؛ كما نجد معاجم تختص بمؤلف واحد مثل ذاك الذي وضعه محمد حلمي هليل عن المصطلحات الصوتية لكتاب "الصوتيات" لمالبرج ؛ وهي محاولة شبيهة بتلك التي قام بها بالفرنسية أنجلر عن معجم المصطلحات السوسورية، وهذا النوع الأخير من المعاجم هو شبيه بتلك الفهارس الاصطلاحية التي يضعها المترجمون في آخر مؤلفاتهم والتي تشمل المصطلح العربي ومقابله الأجنبي.

ملحوظة رابعة:

نسجل اختلاف هذه المعاجم في العلم الذي تتأطر ضمنه ؛ حيث هناك تعدد في مصطلح اللسانيات ذاته الذي يتراوح بين اللسانيات والألسنية واللسانية واللسانة واللغويات وعلم اللغة، إلخ. هكذا فإن مصطلح علم اللغة مرفوض من جهتنا، ليس لأنه يختلط بفقه اللغة وإنما لأنه ليس توليداً لمصطلح Linguistique بقدر ما هو ترجمة لمعناه ، وهو ما يطرح مشكلة حين ترجمة هذا النص من قاموس مونان للسانيات في مادة "Linguistique ":

Linguistique :Science du langage, c'est à dire étude objective, descriptive et explicative de la structure, du fonctionnement (linguistique synchronique) et de l'évolution dans le temps (linguistique diachronique) des langues naturelles humaines. S'oppose ainsi à la grammaire (descriptive et normative) et à la philosophie du langage (hypothèses métaphysiques, biologiques, psychologiques, esthétiques sur l'origine, le fonctionnement, la signification anthropologique possible du langage).

فلا يمكن أن نقول علم اللغة (هو) علم اللغة ، إلخ ؛ فلن يفهم المتلقي أي معلومة من هذا الخطاب ؛ في حين أن ترجمة المصطلح باللسانيات يزيل اللبس عن هذا النص الذي يترجم كالتالي :

لسانيات : علم اللغة، أي الدراسة الموضوعية، الوصفية والتفسيرية لبنية اللغات الطبيعية البشرية، لاشتغالها (اللسانيات التزامنية) ولتطورها في الزمان (اللسانيات التعاقبية). وهي تتقابل هكذا مع النحو (الوصفي والمعياري)، ومع فلسفة اللغة (الافتراضات الماورائية، الحياوية، النفاسية، الجمالية عن أصل اللغة، واشتغالها، والدلالة الإناسية الممكنة لها).

وإذا كان مصطلح " علم اللغة " هو الذي انتشر

بكثرة في بلدان المشرق العربي ومصطلح "الألسنية" أو " اللسانية " في لبنان، ومصطلح " اللسانيات " في المغرب العربي (مع بعض الاستثناءات البسيطة) ؛ فإننا من جهتنا نقبل بالتوصية التي أقرها الملتقى الثالث للسانيات بتونس سنة 1978 باستعمال مصطلح "اللسانيات" رغم الانتقادات التي يمكن أن توجه له، والتي من بينها أن الوصف والنسبة إلى "اللسانيات" هي "لساني"، فلا يدري القارئ أيرجع ذلك إلى " اللسان " أو "اللسانيات"، وحتى إذا كان الوصف "لساني" يعود إلى "اللسانيات" فكيف يتم ترجمة مصطلح " lingual " ؟ من هنا جاء اقتراح مصطلح "ألسنية" بالنسبة إلى الجمع بعد أن أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة النسبة إلى الجمع التي أقرها نحاة الكوفة ورفضها نحاة البصرة ؛ إلا أن هذه النسبة تعاني من عدم احترام قاعدة توليد اللواحق؛ حيث إن اللاحقة "ique" تطابق في العربية "يات"، فيكون المصطلح هو "ألسنيات" والنسبة إليها هي "ألسني"، إلا أننا ورغبة في توحيد المصطلح نقبل باللسانيات وتكون النسبة لها والوصف منها هو "لساني"، ويكون مصطلح "ألسني" مقابلا للمصطلح الأجنبي " lingual ".

هكذا يطرح مشكل الاختلاف والتعدد في مصطلح "اللسانيات" ذاته لدى المشتغلين في هذا الحقل وواضعي المعاجم الخاصة فيه، فما بالك بالمصطلحات اللسانية الأخرى التي لم يقع الاتفاق عليها بسبب ما أسماه المسدي ب"عقدة المصطلَح"، ونسميه من جهتنا ب"نرجسية المصطلِح"؛ حيث إن كل باحث يحاول أن يضع مصطلحاً خاصاً يعرف به ويميزه عن سواه .

ولمعرفة هذا الواقع، نلقي نظرة سريعة في هذه المعاجم عن المصطلحات التالية :

Affixe : زائد، إضافة، لاحقة، بادئة، لاصقة، زائدة، إلخ

Infixe : داخلة، زائدة وسطية، زائدة وسيطة، حشو، لاصقة داخلية، إلخ.

Préfixe : سابقة، صدر، بادئة، سابق، إلخ.

Suffixe :لاحقة، لاصقة ختامية، لاحق، إلخ.

Phonématique: علم الفونيمات، دراسة الوحدات الصوتية الصغرى، صواتمية، علم الأصوات الوظيفي،علم الوحدات الصوتية،الصوتيات الوظيفية، إلخ.

Phonème : فونيم، لافظ، مستصوت، وحدة صوتية صغرى، صوتم، صويت، وحدة صوتية، حرف، حرف صوتي، صوت الفونيم، الصوت النطقي، فونيمية، صوت مجرد، صوتيم، إلخ.

Phonétique : علم الأصوات، صوتيات، صواتة، الفونتيكا، علم الفونتيك، إلخ.

Phonologie : صواتة، علم وظائف الأصوات، صوتيمية، صوتمية، علم الصوت الوظيفي، الفونولوجيا، علم وظيفة الأصوات، علم أصوات اللغة، الصوتيات الوظيفية، علم الفونولوجي، علم الفونيمات، علم الأصوات التاريخي، إلخ.

وهذه نماذج لمصطلحات بسيطة ومتداولة ومعلومة المعنى والدلالة، وما هي إلا قطرة من مطر أو ورقة من شجر ؛ أما إذا انتقلنا إلى مصطلحات أكثر صعوبة وأكثر راهنية من قبيل المصطلحات التداولية والوظيفية والتوليدية إلخ، فإننا نسجل غيابها أو نجد الطامة الكبرى التي يقف المرء حيالها مشدوها من تضارب الآراء وكثرة الاصطلاحات وعدم الدقة في التوليد والعشوائية في الاقتراح، إلى آخره ؛ والغالب على الاجتهاد في هذا الميدان هو التعريب أو ترجمة المعنى.

ملحوظة خامسة:

تلتصق هذه الملحوظة بشقيقتها السابقة التصاق البؤبؤ بالعين والسبابة باليد ؛ حيث إن بعض هذه المعاجم تطرح أكثر من مقابل عربي للمصطلح الواحد. ونعثر على أمثلة عديدة لهذه الظاهرة لدى بسام بركة وعلية عزت عياد، وعلي الخولي، ومبارك مبارك، وسامي حنا، وحتى في المعجم الموحد، بل إن حسن غزالة يعطي ثلاثة عشر مقابلا لكلمة Paraphrase هي كالتالي :

إعادة الصياغة /إعادة السبك /مناقلة/ شرح مسهب/ إسهاب/ إطالة/ ترادف مفرط/ تبسيط/ شرح بديل/ ترادف عبارات لا كلمات/ أسلوب مماثل/ أسلوب ازدواجي/ تطابق في المعنى واختلاف في المبنى.

وهذه الظاهرة تضرب في قاعدة مهمة من القواعد الضرورية في وضع المصطلحات المختصة وهي وضع المقابل العربي الواحد للمصطلح الواحد ذي المفهوم الواحد في الحقل الواحد. وقد حاول تجنب هذه الظاهرة – قدر الإمكان– عبدالسلام المسدي في قاموسه، وهو النهج الذي نتبناه بدورنا في معجمنا عن اللسانيات والعلوم اللغوية (قيد الطبع).

ملحوظة سادسة :

عدم استفادة اللاحق من السابق في تقديم مقابل عربي للمصطلح الأجنبي أو الاستفادة منه مع السكوت عن الإشارة إليه مثل الخولي الذي يستفيد من تعريفات مجمع اللغة العربية بالقاهرة لبعض الاصطلاحات اللسانية دون الإشارة إلى ذلك في معجمه ؛ إضافة إلى تأثر المسدي بالقرمادي في وضع مصطلح " صوتم" وما جاء على شاكلته إلى درجة جعلت هذا الاقتراح ينسب إلى المسدي مع تغييب القرمادي ؛ بل إن بعض هذه المعاجم، مخافة الافتضاح، نجدها تصمت عن المراجع التي اعتمدها في وضع اصطلاحاتها بغية أن توصف بالأصالة والابتكار، وذلك مثل **معجم المصطلحات اللغوية** لخليل أحمد خليل، **وقاموس اللسانيات** لعبدالسلام المسدي، **والمعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ومعجم المصطلحات الألسنية** لمبارك مبارك، إلخ، في حين اهتم أكثرها بوضع فهرس للمراجع التي اعتمدها مثل الخولي وبسام بركة وحسن غزالة وباكلا وبوهاس وآخرين والبكوش وآخرين، ورشيد بن مالك، وعلية عزت عياد، إلخ.

إضافة إلى ذلك نسجل هاهنا عدم تنسيق الأفراد فيما بينهم في وضع المعاجم ؛ ما عدا حالات قليلة تتعلق بمعجم بوهاس ومعجم سامي حنا ومعجم البكوش. وبإلقاء نظرة على المعاجم الغربية خصوصا الفرنسية منها نجد **قاموس اللسانيات والعلوم اللغوية** الصادر عن دار لاروس من وضع جان دوبوا وماشي غياكومو ولوي غسيان وكريستيان مارسيليسي وجان بابتيست مارسيليسي وجان بيير ميفيل، **وقاموس اللسانيات** الصادر عن الدار الفرنسية للنشر من وضع عشرين فرداً تحت إشراف جورج مونان، **والقاموس الموسوعي لعلوم اللغة** قد استعان فيه تودوروف ودوكرو في وضع بعض موارده بالسيدة ماريا-سكانيا وماري-كريستين مازاييل- ماسيو وفرانسوا وول ؛ كما استعان غريماس وكورتيس في وضع قاموسهما بهامون ودارو وباش ورنغستورف.

ولا تقف هذه الوضعية عند الأفراد، بل نجد كذلك المؤسسات التي تهتم بشؤون المعجم وقضاياه ومشكلاته، إلخ لا تنسق فيما بينها قصد توحيد مجهوداتها واجتهاداتها؛ حيث إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد قام منذ سنة 1962 بوضع مجموعة من المصطلحات العلمية والتقنية التي أقرها المجمع في المجال اللساني عموماً والصوتي خصوصا لم يستفد منها معهد اللغة العربية بجامعة الرياض حين وضع

معجمه الذي أشرف عليه باكلا، كما لم يستفد منها **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات** الذي وضعه مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ملحوظة سابعة :

تتفاوت هذه المعاجم كما وكيفا في مادتها اللسانية ووحداتها المعجمية ؛ حيث تبلغ هذه المادة ما يلي :

3059 وحدة معجمية في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات.

2858 وحدة معجمية لدى مبارك مبارك.

2431 وحدة معجمية لدى بسام بركة.

2424 وحدة معجمية لدى عبد السلام المسدي

1748 وحدة معجمية لدى علي الخولي في معجمه عن اللسانيات التطبيقية

1600 وحدة معجمية لدى جورج بوهاس.

1202 وحدة معجمية لدى محمد رشاد الحمزاوي

986 وحدة معجمية لدى التهامي الراجي الهاشمي

249 وحدة معجمية لدى خليل أحمد خليل

222 وحدة معجمية لدى سامي حنا وآخرين

207 وحدة معجمية لدى البكوش وآخرين

98 وحدة معجمية لدى رشيد بن مالك.

إلا أن أغلب هذه المعاجم تقتصر على المتداول من المصطلحات والذي استقر فيه وضع الاصطلاح اللساني ، ولا تتناول المصطلحات الجديدة والصعبة ؛ حيث إن معجم رشيد بن مالك -مثلا- لا يتناول المصطلحات السيميائية الواردة في معجم جوزيت راي- دوبوف على صغر حجمه ؛ فأنى له، ثم أنى له، أن يتناول معجم غريماس وكورتيس الذي يزخر بالمصطلحات الرائجة في هذا العلم منذ سوسور وبورس مرورا بسيميائيات التواصل وسيميائيات الدلالة ومدرسة تارتو ومدرسة باريس، إلخ. وحتى تلك المعاجم التي تبهرك منذ الوهلة الأولى بالدرجة الكمية العليا لمصطلحاتها، فإنها حين تتأملها تخيب انتظارك وتحبط توقعك حيث تجدها تقتصر -مثل شقيقاتها- على المصطلح الصوتي دون غيره من باقي الفروع اللسانية ومستوياتها مثل المصطلح الدلالي والتداولي والأسلوبي والبلاغي والسيميائي، إلخ ؛ كما أنها من جهة أخرى، تقف عند مدرسة لسانية واحدة هي المدرسة البنيوية دون تجاوزها إلى المدارس الأخرى مثل التوليدية والوظيفية وفلسفة اللغة، وغيرها. وأتذكر، وأنا أترجم معجم جوزيت راي-دوبوف، أنني قد جبت هذه المعاجم طولا وعرضاً دون أن أعثر على مصطلح الـPhème عند بورس، ومصطلح الـ Acte rhétique والـ Acte phatique عند أوستين في أي من هذه المعاجم العديدة.

ملحوظة ثامنة :

إذا كانت هذه المعاجم تسكت أحياناً ، وكما لاحظنا آنفاً، عن مراجعها ؛ فإنها تسكت كذلك عن المنهجية المتبعة في وضع اصطلاحاتها واختيارها، مثلما وقع للمسدي -مثلاً- الذي كتب مقدمة جميلة في علم المصطلح إلا أنه لم يشر إلى المنهجية التي اقتفاها في اختيار اصطلاحاته وتفضيل بعضها على بعض مما كان متداولاً في عهده. وهو الأمر الذي نلفيه لدى خليل أحمد خليل، ومبارك مبارك، إلخ. ونحن بهذا الصدد، ننوه بالمقدمة الجيدة التي وضعها عبد القادر الفاسي الفهري لمعجمه، الذي هو معجم حسن وضعاً ونهجاً وتوليداً ؛ إلا أنه، مع كامل الأسف، لم يستوفه بل وقف عند حرف D ولم يكتب له أن يستمر حتى حرف Z . وتكمن أهميته في احتوائه على المصطلحات التوليدية بتفصيل، نجد تكملة له في كتابه عن **اللسانيات واللغة العربية** وأعماله الموالية ؛

إضافة إلى أعمال إدريس السغروشني عن **الصواتة التوليدية**، وما ترجمه مبارك حنون وأحمد العلوي عن **الفونولوجيا التوليدية الحديثة** لهاري فان درهالست ونورفال سميث. كما يمكن أن نجد اصطلاحات المدرسة الوظيفية مضمنة فيما كتبه أحمد المتوكل وفي المعجم الذي وضعه محمد السيدي عن النحو الوظيفي من خلال أعمال سيمون ديك وأحمد المتوكل.

ملحوظة أخيرة وليست آخرة :

تتعلق هذه الملحوظة بترتيب المادة المعجمية في هذه المعاجم التي بين أيدينا ؛ حيث إن بعضها يعتبر اللغة العربية لغة مدخلا ، في حين أنها لغة مخرج ؛ لأن هذه المصطلحات تتعلق بعلم قد استقرت عند الغرب مصطلحاته بينما نحن مازلنا في طور البحث عن المقابلات العربية لهذه الاصطلاحات. ففي معجم مثل **العريف** يمكن اعتبار اللغة العربية لغة مدخلاً ما دام هذا المعجم يتعلق بالمصطلح النحوي العربي القديم وإعطاء مقابل غربي له، لكن معجماً مثل معجم خليل أحمد خليل الذي يعتبر الأصل هو المصطلح العربي، في حين أنه الفرع والأصل هو المصطلح الغربي. وهناك مسألة ثانية في تبويب المادة وتتعلق بمعجم المسدي الموسوم **بقاموس اللسانيات** ؛ حيث إنه في الجانب الخاص بالمصطلح العربي يعتبر جذر الكلمة ويحذف أحرف الزيادة على غرار ما عليه معجم **أساس البلاغة** للزمخشري **والمعجم الوسيط** لابراهيم أنيس وزملائه ؛ وهي طريقة لا تقتصد في الوقت، بما أننا ينبغي أن نقوم بعمليات متعددة بدل عملية واحدة (عرض المصطلح، حذف أحرف الزيادة، ثم البحث عنها انطلاقاً من الجذر، إلخ)، لكن حتى إن كنا نجيد هذه العملية، فهناك مصطلحات قد خضعت للإعلال والإبدال مما يصعب معرفة جذرها على غير المختص من المترجمين مثل اتفاق هل هي باب الألف أم الواو، ومثل توال هل هي في باب التاء أو الواو، إلخ ؛ بينما الطريقة الجيدة في وضع هذه المعاجم المختصة هي الأخذ بأول الكلمة بأحرف زيادتها دون اعتبار الجذر، ولعل البعض يخطئ حين يظن أن هذه الطريقة هي طريقة إفرنجية وليست عربية؛ إذ نجدها معتمدة في المعاجم المختصة لدى العرب القدامى حيث اعتمدها التهانوي في **كشاف اصطلاحات الفنون**، والجرجاني في التعريفات، والمناوي في **التوقيف على مهمات التعاريف** وأحمد نكري في جامع العلوم الملقب بدستور العلماء وأبوالبقاء الكفري في **الكليات**، إلخ. ثم هناك مسألة ثالثة تتعلق ببعض المعاجم التي تضع المصطلح الأجنبي ومقابله العربي، وحين تأتي إلى القسم العربي تضع المصطلح العربي ورقم المصطلح الغربي لتبحث عنه في القسم الآخر من الكتاب وهي مسألة لا تخدم أصحاب التعجيم (النقل من العربية إلى لغة أجنبية) وإن كانت تخدم أصحاب التعريب (النقل من الأعجمية إلى العربية)، لأن فيها تبذير للوقت وإهدار للطاقة وهو الأمر الذي نجده في معجم مبارك مبارك وكذا في المعجم الموحد ؛ في حين ينبغي الاقتصاد في العمل والجهد وهو ما توفره تلك المعاجم التي تضع المصطلح الغربي ومقابله العربي، وفي الجهة الأخرى، المقابل العربي وإزاءه المصطلح الغربي.

خاتمة المطاف:

يبدو أن واقع المعجم اللساني العربي، من خلال هذه التأملات السريعة والخاطفة، لا يرقى إلى تطلعات المختصين من المترجمين والباحثين في مجال اللسانيات. ويكمن السبب في عدم تكثيف الجهود للترقي بالاصطلاح اللساني من الاجتهاد الفردي إلى البحث الجماعي المنظم والدعم المؤسسي له ؛ فالعرب ليسوا أمماً وفرقاً وشيعاً شتى في المجال السياسي والجغرافي فقط، بل حتى في مجال العلوم

والبحث المعجمي والاصطلاحي، بخلاف الأمم الغربية التي تخدم لغتها، وبخدمتها للغتها، فإنها تخدم وطنها أيضا، واللغة العربية قادرة على استيعاب المصطلح الغربي شريطة توفير الظروف الملائمة للبحث العلمي والمعجمي ؛ إذ إنها كما قال فيها حافظ ابراهيم :

أنا البحـــــر في أحشائـه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

مصادر الدراسة

1- باللغة العربية

- ابن مالك (ر):قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي) دار الحكمة، الجزائر، 2000
- أليه (و): أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.
- أوكان (ع): اللغة العربية وإشكالية المصطلح اللساني، ضمن حوليات كلية اللغة العربية، العدد 5، 1995 ، مراكش.

قاموس اللسانيات والعلوم اللغوية (فرنسي-عربي /عربي- فرنسي)، دار أفريقيا الشرق، (تحت الطبع).

- باكلا (م، ح) وآخرون: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي-إنجليزي / إنجليزي -عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، 1983.
- بركة (ب):معجم اللسـانية (فرنسي- عربي) مع مسرد ألـفبائـي بالألفـاظ العربية، منشـورات جروس- برس،طرابلس -لبنان،1985
- البعلبكي (م): المورد (قاموس إنجليزي - عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.
- البكوش (ط) والسويسي (ر) وابن حمادو (ع):معجم المصطلحات اللسانية الإعلامية ، ضمن سلسلة اللسانيات 7، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1989.
- بوهاس (ج)وغيوم(ج، ب)وكولغلي (ج):معجم اللسانيات (فرنسي-إنجليزي-عربي) ضمن مجلة التواصل اللساني، المجلد الرابع، العدد الثاني، سبتمبر 1992، الرباط.
- التونجي (م) والأسمر (ر): المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، دارالكتب العلمية، بيروت،1993.
- التهانوي (م،ع):كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، 1996.
- حماش (خ، إ) : معجم المصطلحات اللغوية والصوتية، بغداد، 1982.
- الحمزاوي (م، ر): المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ضمن حوليات الجامعة التونسية،عدد 14،1977، تونس ؛ وكذلك ضمن اللسان العربي، المجلد 18، الجزء 1، 1980، الرباط.

المعجم العربي: إشكالات ومقاربات، بيت الحكمة، قرطاج، 1991.

- حنا (س،ع) وحسام الدين (ك) وجريس (ن) : معجم اللسانيات الحديثة (إنجليزي-عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.
- خليل (خ، أ) : معجم المصطلحات اللغوية (عربي- فرنسي- إنجليزي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
- الخولي (م، ع): معجم علم اللغة النظري (إنجليزي-عربي) مع مسرد عربي- إنجليزي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

معجم علم اللغة التطبيقي (إنجليزي-عربي) مع مسرد عربي- إنجليزي، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

- دوبوف (ج،ر): معجم السيميائيات، ترجمة عمر أوكان، دار أفريقيا الشرق، البيضاء، (تحت الطبع).
- رضا (ي، م) : الشامل الكبير (فرنسي-عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.
- شاني (ع) : معجم علوم اللغة، ضمن مجلة اللسان العربي، المجلد 15 ، العدد 2،1977 ، الرباط.
- علوش (س): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.
- عمر (أ.م) : المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، ضمن عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، 1989 ، الكويت.

- عباد (ع.ع): معجم المصطلحات اللغوية والفنية (ألماني – إنجليزي- عربي) مع كشافين بالأنجليزية والعربية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994 .
- غزالة (ح) : قاموس الأسلوبية والبلاغة (إنجليزي -عربي /عربي -إنجليزي)، منشورات إلكا، فاليدا مالطا، 1996.
- فاخوري (ع) : اللسانية التوليدية والتحويلية، دار الطليعة، بيروت، 1988.
- فتحي (إ): معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، 1986.
- الفهري (ع، ف) : المصطلح اللساني ضمن مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد 23 (1984)، والعدد 26 (1986)، والعدد 27 (1986)، والعدد 28 (1987).
- القاسمي (ع) : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ضمن اللسان العربي، المجلد 18، الجزء 1، 1980، الرباط.

المعاجم العربية المتخصصة ومساهمتها في الترجمة ونقل التكنولوجيا، ضمن اللسان العربي، العدد 25، 1985، الرباط.
- كاكيا (ب):العريف (معجم في مصطلحات النحو العربي)،مكتبة لبنان بيروت / لونجمان-لندن، 1986.
- الكفوي (أ) : الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.
- الماشطة (ع): معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي- إنجليزي – عربي)، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مصطلحات في علم الصوت،ضمن مجلة المجمع، المجلد 6، 1964، القاهرة.

معجم المصطلحات اللغوية، ضمن مجلة المجمع، المجلد 9 (1967)، والمجلد 10(1968)، القاهرة.

مصطلحات في علمي الأصوات واللغة، ضمن مجلة المجمع، المجلد 4 (1962) والمجلد 3 (1962)، القاهرة.
- المسدي (ع) : قاموس اللسانيات (عربي-فرنسي /فرنسي – عربي) مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- المسعودي (ل) : ملاحظات حول معجم اللسانيات الموحد، ضمن اللسان العربي، العدد 35، 1991، الرباط.
- مكتب تنسيق التعريب : المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي -فرنسي -عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989.
- المناوي (م، ع): التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر - دمشق.
- نكري (أ) : جامع العلوم، تحقيق، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، 1997.
- الهاشمي (ت،ر) : معجم الدلائلية (فرنسي – عربي) ضمن مجلة اللسان العربي، العدد 24 و العدد 25 (1985)، الرباط.
- هليل(م، ح): المصطلح الصوتي بين التعريب والترجمة، ضمن اللسان العربي، العدد 1983 ، 21الرباط

معجم المصطلحات الصوتية لكتاب "الصوتيات" لمالمبرج،ضمن اللسان العربي،العدد1984،23، الرباط.
- وهبة (م): معجم مصطلحات الأدب (إنجليزي-فرنسي-عربي) مع مسردين للألفاظ الفرنسية والعربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.
- وهبة (م) والمهندس (ك) : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- يعقوب (إ) وبركة (ب) وشيخاني (م): قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، (عربي -إنجليزي-فرنسي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

2- باللغة الفرنسية

- Debove (J.R) : Lexique Sémiotique, P.U.F, Paris, 1979
- Dubois (J) et autres : Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage, Larousse, Paris, 1994.
- Engles (R): Lexique de la Terminologie Saussurienne, Utrecht et Anvers, Spectrum, 1969.
- Greimas (A.J) et Courtés (J) : Sémiotique : Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979.
- Marouzeau (J): Lexique de la Terminologie Linguistique, Geuthner, Paris, 1931; Paris, 1969
- Martinet (A): Le Langage, Encyclopedie de la Pléiade, Gallimard, Paris, 1968.

La linguistique : Guide alphabétique, Gauthier -Denel, Paris, 1969.
- Mazaleyrat (J) et Molinié (G): Vocabulaire de la Stylistique, P.U.F, Paris, 1989.
- Molinié (G) : Dictionnaire de la Rhétorique, Livre de Poche, Paris, 1992.
- Morier (H) : Dictionnaire de la Poétique et de la Rhétorique, P.U.F, Paris, 1975.
- Mounin (G) et autres : Dictionnaire de la Linguistique, P.U.F, Paris, 1974.

- Blaire (J.H): A Glossary of Language Learning terms, London, 1963.
- Bright (W) : International Encyclopedia of Linguistics, Oxford University Press, New York and Oxford, 1992.
- Crystal (D) : The Cambridge Encyclopedia of language Cambridge University Press, Cambridge, 1987.
An Encyclopedia Dictionary of Language, Blackwell Publishers, London, 1992

The Penguim Dictionary of Language, Penguim Books, London, 1999.
- De Joi (A) and Stanton (A) : Terms in Systemics Linguistics, Academia and educational LTP, Batford, 1980.
- Gerson (S) : A Glossary of Grammatical Terms, University of Queensland Press, St Lucia, 1969.
- Grillet (J.A) : Glossary of Transformational Grammar Mass : New Bury House, Rowley, 1978 .
- Hamp (E.P) : A Glossary of American Technical Linguistics Usage 1925-1950, Utrecht and Anvers, Spectrum, 1957.
- Hartman (R.R.K) and Stork (F.C) : Dictionary of Language and Linguistics, Applied Sciences Publishers Ltd, London, 1976.
- Macleish (A) : A Glossary of Grammar and Linguistics, The University Library, Grosset and Dulop, New York, 1974.
- Malmkjaer (K) and Andersen (J) : The Linguistics Encyclopedia, Rontledge, London and New York, 1991.
- Meetham (A.R) : Encyclopedia of Linguistics, Information and Control, Pergamon Press, Oxford. 1969.
- Phêlizon (J-F) : Vocabulaire de la Linguistique, Roudil, Paris, 1976.
- Sumpf (J) et Hugues : Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973.
- Vachek (J) et Dubsky (S): Dictionnaire de linguistique de l'Ecole de Prague, Utrecht et Anvers, Spectrum, 1966.

3- باللغة الإنجليزية :

- Asher (R.F) and Simpson (M.Y): The Encyclopedia of Language and Linguistics, Pergman Press, Oxford and New York, 1994.
- Nash (R) : Multilingual Lexicon of Linguistics and Philology, Coral Gobles, University of Miami Press, Florida, 1968 ; Klinchsieck, Paris, 1961
- Onishi (M) : A Grand Dictionary of Phonetics, The Press Phonetics Society of Japan, Tokyo, 1981.
- Palmetier (R): A Glossary of English Transformational Grammar, Appleton-Centry Croft, New York, 1972.
- Pei (M) : Glossary of Linguistics Terminology, Columbia University Press, New York and London, 1966.
- Pei (M) and Gaynor (F) : A Dictionary of Linguistics, philosophical Library, New York, 1973.
- Richards (J) and Weber (H) and Platt (J) : Longman Dictionary of Applied Linguistics, Longman, London, 1985.
- Steible (D.J) : Concise Hand Book of Linguistics - A Glossary of Terms Philosophical Library, London and New York 1967.
- Wales (K) : A Dictionary of Stylistics, Longman, London and New York, 1989.

التقييس المصطلحي (*)

بقلـــــــم: ج. ساجر
ترجمة: د.جواد حسني سماعنه (**)

1- تمهيد

إن المصـــطلحية، التي هي بشكل أو بآخر مجموعة مُبَنْيَـــنة ومتماسكة من المصطلحات، تمثيل لنظام مُبَنْيَن من المفاهـــيم، متماسكاً أو متبايناً على حد سواء. إن ولادة المفاهيم تسبق وضع المصطلحات، زمنيا ومنطقياً، وهو ما يتجســـد فعلاً في أفعال (الكلام) ذاتها التي هي ضرب من ضـــروب التوليد. فالمصطلحات الجديدة توضع عادة إما لملء فجوة طارئة لاستيعاب مفهوم جديد وإما لاستبدال مصـــطلح بآخر موجود ولكنه أقل جدوى منه. إن أفعال الكلام التي تنتج المصطلحات الجديدة هي بطبيعتها كذلك طـــرائق للتوليد. يشي هذا الوصف على وجه الخصوص بمفهـــوم الـــتعريف (Définition) الـــذي يرســـخ مـــرجع (Référence) مفهـــوم جديد، أو عكس ذلك، حيـــث يقـــوم بشرح مرجع مصطلح جديد. قبل مرحلة الـــتحديد، الـــتي تعد مثبِّتاً لعملية وضع المصطلح، ثمة في الحقيقـــة تمثلات كلامية متولدة كنماذج خاصة قد تكون مطـــلوبة. وفي حالـــة كهذه، فإن المرسل قد يقوم أولاً باستحداث مصطلح جديد من مصادر معجمية موجودة، أو بالـــلجوء إلى صياغة جديدة للمصطلح مما يتطلب منه مراعاة الدقة والملاءمة إلى جانب مفهوم الاقتصاد اللفظي في ضـــوء الأهمية التي يتعين فيها على المتقبل (recipient) تفسير المفهوم بالدقة ذاتها التي تقصّدها المرسل . وفي بعض الحالات، تكون الدقة والملاءمة أهم من خاصية الاقتصاد اللفظي، عندما يتعلق الأمر بمتقبل لا يستند إلى أية مصادر معجميـــة ولا إلى نظـــام مفهومي يمكنانه من استيعاب الرسالة المصطلحية.

وعلى الرغم من أن دقة المفهوم الجديد هي بصورة عامـــة قضية مبتوت فيها، فإنها من جانب آخر قد لا تعد حجـــر عثرة، خاصة إذا ما كان هذا المفهوم معروفاً لدى جماعة من المختصين، فالمختصون كثيراً ما يفضلون الشكل التعبيري المناسب للمصطلح حتى مع غياب الدقة المفرطة للمفهوم في ضوء المرحلة التي يطلقون عليها مرحلة تنظيم الاستعمال (Regularisation of Usage)، وهو ما يتجلى في أشـــكال الـــتحديد المصـــطلحي في الكتب المدرسية والمســـارد والأدلـــة وغيرها من أنماط النشر وفق المرحلة المذكورة قبل قليل.

(*) يحتل مفهوم التقييس (Standardization في الإنجليزية أو Normalisation في الفرنسية) مكانة خاصة في الدراسات المصطلحية الحديثة وفي علوم المنطق واللسانيات والمعلوماتية والحاسوبية .. الخ. وإزاء ندرة الأبحاث حول هذا الموضوع في العربية ارتأينا أن نقدم للقارئ الكريم هذه المادة ترجمة لجزء من فصل من كتاب جان ساجر: (A Practical Course In Terminology Processing) من الصفحة(114-128) الصادر عن:
JOHN BENJAMINS PUBLISHING COMPANY , AMSTERDAM / PHILADELPHIA 1990.

(**)(خبير سابق بمكتب تنسيق التعريب)

فالتقييس المصطلحي عملية مستقلة ومنفصلة عن مراحل الوضع والتوليد المصطلحي، وتتشكل من توصل المستعلمين إلى اتفاق عام لتبني مصطلح مُعطى لاستعماله في حالات خاصة. فالحاجة إلى التقييس عادة ما تكون أقوى وأكثر إلحاحاً في حالة وجود مصطلحات منافسة، مما يرجع إلى تعدد صيغ الوضع اللغوية لواضعين متعددين ، أو لعدم وجود اتفاق بين المستعملين على قبول المصطلح المقترح لمفهوم ما.

يستهدف التقييس المصطلحي الوصول إلى الغايات التالية:

1) الاقتصاد في التعبير: خاصة إذا ما لوحظ أن مصطلحا من المصطلحات المنافسة أقل شيوعاً من مصطلح آخر، لسبب يرجع إلى عنصر الاقتصاد اللغوي.

2) الدقة الدلالية: إذا ما أسفر مصطلح ما عن وضوح أكبر من نظيره في الدلالة على المرجع، أو كان أقل لبسا من سواه.

3) الملاءمة اللغوية: إذا ما تضمن مصطلح ما دلالات هامشية مصاحبة لم تعرف في المصطلحات الأخرى المنافسة.

2-مبادئ التقييس

هناك صراع أساس بين الحاجة إلى التسمية (naming) والرغبة في تقييس المسميات، فالتسمية تحدث حالما يتكون المفهوم الجديد أو الموضوع أو الطريقة.. إلخ مما يقود حتماً إلى اضطراب في التسمية وإلى تعدد الأسماء. يأتي التقييس كمرحلة لاحقة وذلك عندما تدعو الحاجة إليه، ومن ذلك مثلا: عندما ينشأ الصراع بين الأسماء . في هذه الحالة، يتعين الاختيار بين اثنين أو أكثر من التسميات المنتمية لنفس المفهوم. ولكن، عندما تترى أنماط التطور الفكري والموضوعات الجديدة في أكثر من مكان واحد، فقد لا يغدو من الممكن تحديد ما إذا كان أي منها يتعلق بنفس المفاهيم، أو الموضوعات أو أنه يتعلق بمفاهيم مختلفة، إذ لا يمكن اعتبار تطور الموضوعات الجديدة تاما إلاّ إذا كانت على جانب كبير من التأسيس، وهذا يعني في الممارسة أنها محددة تجاريا ومجرّبة ومختبرة وأحياناً مسوّقة. وفي الحالة الأخيرة، فإن المسميات عادة ما تكون قد ثبتت وتعذر تغييرها. وقد لا يفيد التقييس هنا إلاّ إذا كان شاملاً وتاماً، آخذاً بالاعتبار السمات الدالة الثابتة للأشياء، مما يقود فعلا إلى اختفاء البدائل المصطلحية الأخرى. فالتقييس بسبب ذلك، نشاط استعدادي (Retrospective) ويلي التسمية بعد فترة زمنية طويلة وغير محددة، كما أن الأمل فيه، في حل المعضلات الناشئة عن التسميات المتعاقبة للشيء الواحد لن يكون بسبب ذلك، وعلى الأرجح، متحققاً تماماً. ففي حالات عديدة، تستمر التسميات المتناوبة للمسمى الواحد في وجودها غير المحدد، وفي تأثيراتها العَرضيَّة، كهيمنة السوق على منتوج ما، أو اختفاء تقنيات متقادمة، مما يقرر بقاء المصطلحات أو موتها.

إن النمط الكتابي لما يسمى بالخطاب التربوي الرفيع هو نظام مقيَّس (منمط)، وغالباً ما يتم اكتشاف هذه الدلالة في أثناء مداولات وزارات التعليم التي تناقش بعض القضايا اللغوية كالتهجئة ، والتنقيط والقواعد والنحوية التي تساعد على إرساء استعمال الصيغ المنمطة في الاختبارات المدرسية، مثل هذه الصيغ القياسية، وجدت أيضاً في كتب التوجيه المدرسي المؤلفة لمراعاة أنظمة الكتابة من قبل مؤسسات حكومية. على الصعيد المرجعي، فإن اللغة منظمة (فهي مثلا: محكومة قواعديا) ولكنها ليست مقيسة على نحو مألوف، فمثلاً: إن النظام يسمح بالتغيير طبقا لتنوع القوانين. تقييس المرجع ليس

جزءاً من اللغة كنظام، ولكنه يحدث في تشكلات الكلام كنتيجة للإجماع، والاتفاق عليها بين الأفراد والمجموعات من مستعملي اللغة، ويمكن أن ينطبق هذا على الأسماء العلم، والكلمات، والمصطلحات، بصرف النظر عما إذا كانت تحيل على الموضوعات اليومية، والمفاهيم المجردة والمجسدة، وعلى الأفراد والأنواع.

فمن الممكن تقييس مراجع المفاهيم والموضوعات دون تقييس المفاهيم والموضوعات ذاتها، وهذا في حقيقته المبدأ الأساسي القاعدي لمكانز التوثيق. وعلى العكس من ذلك، فإنه من غير المجدي تقييس الأشياء، دون تقييس مسمياتها في الوقت نفسه، لأنه بدون تخصيص الدلالات اللسانية المناسبة للأشياء فإن حقيقة التقييس ذاتها تغدو بلا طائل، فمن غير المفيد تنميط المفاهيم دون تقييس تلقائي للمسميات.

ولفهم حافزية التقييس، نستعرض أدناه المبادئ التي أقرتها المنظمة الدولية للتقييس (Iso) لمعرفة مدى صلاحيتها وفقا للتطبيقات اللغوية:

المبدأ الأول:

تقييس المصطلحات يحدث دائما كخطوة تالية لتقييس الأشياء.

إن التقييس المصطلحي، هو بالضرورة، عمل يؤدي إلى تيسير أنماط التعبير المتمخضة عن المجهود المجتمعي الذي يقضي بإنقاص عدد الأشياء الماثلة. وفي حالة المصطلحات، والتسميات التي تفضي مباشرة إلى التقليل من التعقيد الماثل ومن تعدد التسميات، فإن التقييس يهدف كذلك إلى تجنب إشكالات الغموض. وفي حين إن إنقاص عدد الأشياء والتسميات يمكن أن يكون مرغوبا فيه، فمن الصعوبة التنبؤ بما لن يكون ضروريا مستقبلا.

المبدأ الثاني:

إن التقييس المصطلحي نشاط اجتماعي واقتصادي، مما يتعين أن يكون اكتسابه حصيلة التعاون بين سائر الجماعات ذات العلاقة. وينبغي أن يكون المصطلح المقيَّس، نتيجة لذلك، مبنياً على الاجماع العام (Consensus) الذي يكرس عادة مصطلحاً ما في لغة متخصصة واحدة أو في مجال موضوعي مختص. مثلاً: تعبير ما يوجد في اللغة الطبيعية العامة، ويوجد على نحو أكبر في لغة مختصة ما للإشارة إلى مرجع مختلف، نحو المصطلح : Nut الذي يعني المعاني المختصة التالية:

جوزة وبندقة (في النبات)، صمولة وحزقة (في الهندسة) ولكنه قد يعني معاني أخرى في اللغة المشتركة. نحو: مشكلة، ومعضلة، ومهمة بل ورأس الإنسان في العامية.

ومثل ذلك المصطلح boolt، الذي يعني مسمار ملولب، ورتاج (هندسة) إضافة إلى ما توحيه هذه اللفظة كثيرة المعاني في المعجم العام.

المبدأ الثالث:

إن نشر المصطلح المقيس ذو قيمة بسيطة في حد ذاته، ولكنه عظيم الأهمية في التطبيق. يستعمل هذا المبدأ في علم المصطلحات بنفس القوة، فاستعمال المصطلحات المتفق عليها عامة، ربما يقود إلى إلزام بعض الجماعات على تغيير عاداتها اللغوية لفائدة المصلحة العامة.

المبدأ الرابع:

يحتاج تكريس المصطلح المقيّس إلى اختيار المصطلح المناسب أولاً، وإلى تثبيت هذا المصطلح وتعريفه ثانيا. فالمصطلح الذي نختاره لمفهوم جديد يمكن أن يكون أحد المصطلحات الموجودة، أو يكون مصطلحا تم صوغه حديثاً. إن اختيار المصطلح قد يأخذ بالحسبان احتمال

تطـور موضـوعات مماثلة مما يجعله لذلك مفتوحاً على إمكانات الاشتقاق والتركيب.

المبدأ الخامس:

يـتعين إعادة اختبار المصطلحات المقيسة في فترات منـتظمة، ومراجعـتها عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. وتعـتمد هذه المراجعة بشكل طبيعي على المفاهيم الحديثة وعـلى المصطلحات الحديثة التي تظهر عادة فتشوش على الأنماط اللغوية الموجودة.

المبدأ السادس:

عند تحديد ظروف الاستعمال والخصائص الأخرى لنـتاج مـا، يصبح من الضروري تحديد طرق الاختبار للـتحقق مـن مطابقة الشيء لمواصفاته. إن التحقق من معـايير الشيء هو في حقيقة الأمر عملية مقايسة متكررة ومنتظمة، أما التحقق من المقاييس المصطلحية فهي عملية منفصلة وفريدة في تطبيق المصطلحيين لها على مجموعات المصطلحات.

المبدأ السابع:

إن ضرورة فرض المصطلح المقيس قانونيا ينبغي أن تدرس في علاقتها بطبيعة المصطلح نفسه،وطبقا للقوانين والظـروف السـائدة مجتمعيا، والتي من أجلها أنتجت المصـطلحات إن فرض المصطلحات قانونيا هو موضوع يتعلق بالملاءمة اللغوية والاقتصاد اللفظي مما يتطلب يقظة اجتماعية ومجموعات لغوية فاعلة.

3- مناهج التقييس:

عـند تحديد مفهوم علمي، والبحث عن تسمية له، غالبا ما يتم اللجوء إلى مناهج التقييس التالية:

(3-1) إعادة تحديد الكلمات

تتضمن إعادة التحديد عادة، حصر دائرة الكلمات المصـاحبة للمصـطلح (الألفاظ المتعددة المتقاربة للمعنى الواحـد)، كمـا في expectation (توقع) و variance (تغـير) في الإحصاء، و real (حقيقي) و imaginary (تخيـلي) في نظرية الأعداد، أو filter (جهاز ترشيح) في الإلكترونيات. وقد يكون، اختيار علامة لغوية ما احياناً اخـتياراً اعتـباطيا محضا أو حتى وهميا، وذلك في مثل: charm ،Strangeness في فيزياء الجسيمات.

هذا المنهج عموماً ذو هدف اقتصادي، شريطة أن تكـون الكـلمة الأصلية اقتصادية ، بيد أنه قد يفتقر إلى الدقة نظراً لوجود (مرجع) نظير ممكن في اللغة العامة، وقد يفتقر كذلك إلى الملاءمة (اللغوية) نظراً لوجود الكلمات المصاحبة الهامشية التي قد تعود إلى استعمال اللغة العامة. فقـد يستحسـن كـل من الدقة والملاءمة عند تقييس المصطلح بعد ذلك، مثلا: مرجعٌ مُعطى ثابت داخل إطار مفاهيمي ثابت نسبياً.

(3-2): إعادة تحديد المصطلحات الموجودة.

في مرحـلة التأسيس النظري، فإن المفاهيم غالباً ما يكون قد تم تحديدها، نحو: التعريفات المتعددة لـِ (كلمة) أو (جملة) في اللسانيات. يستخدم هذا المنهج نفسه كثيراً في الدراسـات المتجانسة كالعلوم الإنسانية، حيث يكون النظام المفاهيمي نفسه زاخرا ويكون الفعل الاصطلاحي (termonologising) قد مورس كليا كدليل ظاهري على الدقة العلمية.

ونظـراً لاقتصادية هذا المنهج فإن الدقة قد تكون ضـعيفة لعدم استقرار البنية المفاهيمية السفلى،على الأقل حـتى يصل النظام المفهومي إلى وضع مستقر. فالتقييس، تـبعا لذلـك، قد يعجل من هذه العملية، حتى لو تعذر الإجماع بين المستعملين.

(3-3): الاشتقاق

إن توظيـف الاشـتقاق في الـلغات الفـرعية

(المتخصصة) وفي اللغة العامة يمكّن من إنتاج صيغ مصطلحية جيدة، نحو: (de-hydr- ate) التي شكلت من اللواصق (de و ate) لوضع مصطلح جديد. يتوفر هذا المنهج على جانب كبير من الاقتصاد والدقة والملاءمة اللغوية خاصة عند استخدام هذه الأدوات الاشتقاقية في الموضوعات الخاصة، التي تسهم في تكوين منظومات مصطلحية مفاهيمية مشتقة (كما في الكيمياء والبيولوجيا) اعتماداً على اللواصق من سوابق ولواحق التي تعد في النظرية المصطلحية كما في اللسانيات معرِّفات أو محدِّدات جزئية (Pertial determiner).

(3-4): التركيب

يمكن اللجوء إلى منهج التركيب في صوغ المصطلحات بإضافة كلمة إلى كلمة أخرى من الكلمات الموجودة، وذلك في مثل (heavy water الماء الثقيل) و (Floppy disc قرص مرن). وإذا ما استقرت هذه التراكيب المصطلحية، فثمة بعد ذلك احتمال بأن يصبح العنصر المكوّن (Constituent) مصطلحا ((الذي هو في الأصل مجرد علامة لغوية عادية (اللفظة heavy ثقيل)) ليصف العناصر الثابتة التي يعبّر عنها في اللسانيات بـ (النواة) في التركيب.

(3-5): الاقتراض

إن اقتراض مصطلح أو كلمة من لغة أجنبية هو في الحقيقة حالة خاصة من إعادة التحديد (redefinition)، فالمصطلح يواكب تماماً المفهوم المستعار من جماعة لغوية أخرى، في مثل: Input(مُدْخَل) و (output) (مُخرَجات) و(printer) (طابعة) في الإيطالية والفرنسية، و (Gestalt) الجشطلت في الإنجليزية. وتعد اللغتان اليونانية واللاتينية مصدراً خصباً في الوضع المصطلحي، سواء على مستوى المفاهيم نحو (atom ذرة) أو على مستوى إمدادنا بالمخزون الجاهز من المعاني الموازية على امتداد مفردات اللغة المشتركة دون التأثير في البنية المعجمية العامة. من جهة أخرى، فإن بعض اللغات كالإنجليزية والفرنسية أكثر استعداداً لتقبل الكلمات المفترضة من لغات أخرى، ودون مضاعفات لاحقة على مستوى التقييس الدولي.

يمدنا منهج الاقتراض اللفظي بمصطلحات ليست أكثر ولا أقل اقتصاداً من الأنماط اللفظية في اللغة المصدر، فاستعماله على العموم يشي بالدقة الفائقة عندما يُقترض المصطلح جنبا إلى جنب مع مفهوم وحيد؛ كما أنه قد لا يكون دائما ملائما إذا ما كان شكله اللغوي لا ينم عن أية مؤشرات مظهرية لموقعه من منظومة المفاهيم، خاصة عندما يكون المفهوم مستعاراً كذلك.

(3-6): التكثيف

وهو ضرب من ضروب الاختصار اللفظي يتحول فيه مصطلح مركب إلى صيغة لفظية مختزلة بواسطة النحت أو بالاختصار الأوائلي للحروف (initial letters) لمجموعة من الكلمات، في مثل (radar) المأخوذة من :

Radio detection and Ranging

هذا المنهج ذو نزعة اقتصادية عالية، كما إنه ينمّ عن ملاءمة لغوية عالية إذا ما كان استخدامه محصوراً في اللغات الفرعية الخاصة.

4- فعالية التقييس المصطلحي

تعكس المصطلحات المقيسة نزعة اقتصادية ملموسة نظراً إلى وضعها المتفق عليه بين المختصين قبل الموافقة على (مرجع) كل منها، مما يساعد فعلاً على تحقيق عملية التواصل الفعال بين المختصين والتسريع فيها. إن المصطلحات المقيسة دقيقة لكونها تعمل على إقصاء سوء الفهم لدى المستعملين بتحقيقها معادلة مصطلح - مفهوم .

واضحة بين المصطلحات والمجال الذي تحيل إليه منظومة المفاهيم. فالاتفاق على المصطلحات المقيسة يفترض أن المشاركين في عملية التواصل قد قرروا مسبقاً أن يضعوا جانباً كل التأويلات الفردية للمصطلحات ولبنية المعرفة.

أخيراً وليس آخرا فإن المصطلحات المقيسة (المقاييس المصطلحية) ملائمة بالنسبة للصيغ المنجزة من أفعال الكلام، لأنها تمكّن منشئ الرسالة اللغوية من أن يقيم أساساً واضحاً لمعرفة مفترضة تكون ذات مقصد متخصص. وفي الوقت نفسه، فإن المرسل إليه يكون أكثر استعداداً لمعرفة المقصد، بل وتكييف افتراضاته الخاصة وفقاً لقصد المرسل.

إن درجة الاتفاق على بنية المعرفة وعلى تمثلها اللساني الواضح مشروطة أبدا بالاستعمال الملائم للمصطلحات المقيسة كما ترتكز على مقدرة التواصل بين المشاركين الاختصاصيين. وفي الجانب السلبي، فإن التقييس الذي يعمل على تثبيت المرجع المصطلحي، يؤدي إلى تقويض القدرة التناسلية لطبيعة للغة.

إن معظم الناس ليسوا على استعداد للموافقة على التوليد المعياري في سلوكهم اللغوي، ومع ذلك فإن المصطلحات المقيسة توضع وتستعمل باطراد. والحل بالنسبة إلى هذه المفارقة يمكن أن يوجد في مظهرين من المصطلحات المقيسة: المصطلحات المقيسة و المصطلحات الموحدة. المصطلحات المقيسة ذات فائدة خاصة، فوضع المصطلح يقتضي ضمنا أن هناك إجماعا سابقا عليه بين مستعملين محتملين ، فالمستعملون يجمعون على أهمية تقييس المصطلحات لأن الطبيعة المرجعية الخاصة لكل منها تؤكد أهمية هذه المصطلحات بالنسبة إليهم لاكتساب المقصد والمعرفة واللغة لتعزيز عملهم.

والتقييس كذلك يساعد المستعملين على التوجه الاقتصادي في التعبير عن المعرفة وعلى تمثيلها تمثيلا دقيقا وملائما. وعلى عكس مستعملي اللغة العامة، فإن مستعملي المصطلحات المتخصصة المقيسة يعملون فعلا على تحرير الخطاب المعرفي من كل ما هو جمالي وانفعالي وعاطفي وتقييده فقط بما يحيل عليه في عالم الواقع من موضوعية مخصوصة، من أجل تواصل خاص. فالتقييس ليس هدفاً في حد ذاته ولكنه وسيلة لتسهيل إيصال المعلومات، وينبغي النظر إليه كجزء من عملية التطور اللغوي.

(5): حدود التقييس المصطلحي.

ثمة سؤال وجيه، وهو: إلى أي مدى، ووفق أية ظروف يمكن أن تكون المصطلحات مقيسة وموحدة؟

إن التقييس اللغوي ظاهرة معروفة في اللغة عامة، فطبيعة اللغة النظامية تستدعي أن تكون مظاهرها الدلالية والتداولية مقننة الاستعمال، في السلوك الاجتماعي اللغوي.

التقييس ينبغي أن يمثل التقييد الأقصى للقواعد اللغوية الممكن تطبيقها في الإسناد المرجعي للأشياء (إلى عالم الأشياء) وفي تسمية التقنيات وفي الاستعمال. وثمة ملاحظة ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وهي التفريق بين مظهرين قياسيين:

- التقييس كتحديد صارم يقيد الاستعمال وفق قياس متفاوت بين الشيوع والتوحيد والتقييس اللغوي.
- والتقييس كحصيلة عمل لتقييس المواد في علاقتها باللغة.

فقد طبق التقييس والتوحيد على اللغة بنجاح ملحوظ على مستوى التهجئة والتنقيط والصرف وعلى بعض القواعد النحوية. وفي المستوى الدلالي، فإن اللغة العامة على جانب واضح من نظامية التقييس كما تتبدى

في المعاجم، بيد إن النظام اللغوي غالبا ما يسمح بالتغيير في دلالــة اللفظة الواحدة في المعجم العام. إلا أن اللغة في الإسناد المرجعي في الموضوعات الخاصة تختلف عما هي عــليه في وضعها العام، ففي نظام التسمية المصطلحية في المجــال الموضوعي الخاص يتطلب تثبيت التسمية لمسميات الواقــع حدّاً من التقييس وتوحيد المرجع؛ أكثر من ذلك فــإن التقييس مطالب بتنظيم مقولات المعرفة ومسميات الأشــياء في الواقــع المادي. وفي المجالات التي تخضع فيها المعرفة للتغيير المؤقت فإن تثبيت المعاني قد يتطلب شوطا تقييســياً آخــر عن طريق تعريف المصطلح المقيَّس لربط المصطلح بالمفهوم القابل للتعديل.

الــتقييس في الواقع لا يتعلق باللغة وحدها، ولكنه جزء من تفكيرنا ونشاطنا اليومي في مجال التصنيع والإنتاج المادي للمحافظة على قيمتها وجودتها ووقايتها. آية ذلك أن الــتقييس، قــبل أن يكــون مفهوماً لغوياً في العصر الحديــث، هــو جــزء مــن اهتمام المؤسسات الدولية المصــطلحية (الأيــزو: مــثلا) فيما يتعلق بمواد الإنتاج: خاصــياتها، مقاييسها، كفاءتها، مواصفاتها وطرق التقييم ومــا إلى ذلك، التي يُفكر فيها وينظّر لها باللغة، بل ومن خلال وسطاء لغويين هم الذين يصنعون مواصفات المواد والتســميات المصــطلحية المطلوبة للتعبير عن مسميات المواد.

يهــدف الــتقييس كما يتجلى في وثيقة المقاييس البريطانية (1981–ج 1: BS O)، إلى ما يلي:

1) تزويد مختلف الجهات المختصة بأدوات التواصل اللغوي والمصطلحي.

2) تــرقية النظام الاقتصادي وكذلك الجهود المادية والطاقة الإنتاجية وتصدير السلع.

3) حمايــة مصــالح المستهلكين من خلال النوعية المتماسكة للسلع والخدمات.

4- الرقي بمستوى الحياة الإنسانية: أنظمة الأمان، والصحة، وحماية البيئة.

لذلك، جاء في أدبيات التقييس البريطانية في الوثيقة (1981) ج 3: BS O)أن المصطلحات ينبغي أن تكون معرَّفة بوضوح تام. فالمصطلحات من خلال التقييس ينبغي أن تكون متماسكة مما يفترض أن يكون الشيء المحال عليه بالتسمية، وكذلك المفهوم، موصوفاً ومعبّراً عنه بمصطلح وحيد وليس بمترادفات.

والواقــع أن المصــطلحات قد يتعذر تقييسها بين مختــلف الــلغات، لكن ذلك قد يكون ممكنا في اللغات الوطــنية أي في الــلغة الواحدة الخاصة بكل أمة. بل إن المعاجم المعتمدة على مصطلحات مبرهن على دقتها يمكن أن تعــد مقيَّسة وموحدة فقط في علاقتها بالاستعمال الضيق وفي القطر الذي أنتجها فحسب، وهذا لا يعني أن شرعيتها قد تمتد بالضرورة إلى خارج هذه الدائرة.

ولكي تكون المصطلحات مقيّسة وموحدة ، يجب أن تكــون معــرّفة في مجالاتهــا، لأن عــدم تعــريف المصــطلحات يحــررها من تقيدها بمجالاتها المتخصصة ويتركها حرة في مجالات مرجعية واسعة قد لا تنتمي تماماً إلى مجال المعجم الذي يفترض أن تندرج فيه.

معجم مصطلحات علم النفس اللغوي

واضطرابات النطق والكلام

(إنجليزي – عربي)[*]

(الجزء الثالث)[**]

د. عامر جبار صالح[***]

R	
Reaction	ارتكاس، رد الفعل، الرجع
Reaction/associative	رد الفعل الترابطي
Reaction/normal	رد فعل سوي
Reaction/psychology of	سيكولوجية ردود الأفعال
Reactivation	إعادة التنشيط
Reading	قراءة، مطالعة
Reading disability	اضطراب القراءة، تأخر القراءة
Reading error	خطأ القراءة
Reading habit	عادة القراءة
Reading ladder	سلم القراءة، مدرج القراءة
Reading level	مستوى القراءة
Reading lip	قراءة الشفاه
Reading /remedial	التعديل العلاجي للقراءة
Reading span	سعة القراءة (عدد الكلمات التي يدركها الشخص في تثبيت البصر مرة واحدة)
Recall	استدعاء، استرجاع
Recall delayed	استرجاع مُرجأ
Receiver	مستقبِل
Recency	حداثة
Reception	استقبال
Reception aphasia	حبسة (أفازيا) الاستقبال
Reception strategies	استراتيجيات الاستقبال
Recreational reading	القراءة الترفيهية

(*) وضع شرطة مائلة كهذه(/)بين الكلمات الإنجليزية يعني أن ما بعدها من الكلمات يسبق الأولى أصلا وتقرأ قبل الكلمة الواردة قبل هذه العلامة مثالmotor/Alalia تقرأ Alalia motor

(**) ورد الجزء الأول في العدد (49) والجزء الثاني في العدد (50)

(***) أستاذ علم النفس اللغوي المساعد – جامعة ناصر/ليبيا

Reduction	اختزال (أصوات)
Reduplication	تضعيف (أصوات)
Referential function	الوظيفة الدالة أو المرجعية (إحدى وظائف اللغة)
Reflex	انعكاس، منعكس
Reflex/ association	انعكاس الترابط
Reflex/ auditory	انعكاس سمعي
Reflex/ delayed	انعكاس متأخر
Reflex/ laryngeal	انعكاس حنجري
Reflex /visual	انعكاس بصري
Regeneration	تجديد، إعادة توليد
Regulatory function	الوظيفة التنظيمية (إحدى وظائف اللغة)
Rehabilitation	تأهيل، تزويد
Rehabilitation speech	تعليم الكلام من جديد
Reinforcement	تعزيز، تقوية
Reinforcement/ conditioned	تعزيز شرطي
Reinforcement/ delayed	تعزيز مُرجأ
Reinforcement/negative	تعزيز سالب
Reinforcement/periodic	تعزيز دوري
Reinforcement/positive	تعزيز إيجابي
Relation	علاقة، صلة
Relations communication	اتصال العلاقات
Relations/verbal	العلاقات اللفظية
Relaxation	استرخاء

Relaxation therapy	علاج الاسترخاء
Remedial	علاجي
Remedial instruction	التعليم العلاجي
Remedial program	برنامج علاجي
Remedial reading	التعديل العلاجي للقراءة
Remedial speech	الكلام العلاجي
Remedial teaching	التدريس العلاجي
Remedial training	تدريب علاجي
Representation	تمثيل، عرض، إظهار
Representational mediation hypothesis	فرض التوسط التمثيلي
Representational mediation process	عملية متوسطة تمثيلية
Representational mediation response	استجابة متوسطة تمثيلية
Representationalism	المذهب التمثيلي (وجهة النظر القائلة بأن العمليات النفسية وخاصة الإدراك هو بمثابة تمثيل للعالم الخارجي)
Resonance	رنين
Resonant	رنان
Resonator	مِرنان
Response	استجابة
Response/acquired	استجابة مكتسبة (متعلمة)
Response/ adaptive	استجابة تكيفية
Response/ conditioned	استجابة شرطية
Response generalization	تعميم الاستجابة
Response unconditioned	استجابة غير شرطية

Response unlearned	استجابة غير متعلمة (فطرية)
Retention	حفظ
Retardation	تأخر، تخلف
Retardation/educational	التأخر الدراسي
Retardation/mental	التأخر العقلي
Retarded	متأخر، متخلف
Retarded child	طفل متأخر
Retarded/mentally	متأخر عقلياً
Reticular	شبكي
Reticular activating system	الجهاز الشبكي المنشط
Revalidation	العلاج الطبيعي
Reversal	عكس، قلب (قلب الكلمة)
Reverse	معكوس، مقلوب
Reward	ثواب، مكافأة
Reward and punishment	الثواب والعقاب
rhinal	أنفي
Rhinolalia	الخنخنة
Rhinolalia/opned	إعطاء الصفة الأنفية للأصوات الفمية (الخنخنة المفتوحة)
Rhinolalia/closed	فقدان الصفة الأنفية للأصوات الأنفية (الخنخنة المغلقة)
Rinolalia/ mixed	اجتماع كلا الصفتين المذكورتين أعلاه في آن واحد (الخنخنة المختلطة)

Rhinophony	عسر النطق المتزامن مع الخنخنة
Rhotacism	عيب نطق الراء
Rhythm	إيقاع
Rhythmic speech	كلام إيقاعي
Rhythmic structure	البناء الإيقاعي
Right handedness	استخدام اليد اليمنى
Right hemisphere	النصف المخي الأيمن
Round vowels	الصوائت المدورة
S	
Scanning	فحص، تفرس، تلكؤ الكلام
Scanning speech	كلام السكير (كلام بطيء)
Scatter	تشتت، تبعثر
Scatter brain	مشتت الفكر
Scattering speech	عدم اتصال المحادثة، عثرة الحديث
Schizo-	سابقة تعني فُصام، فصامي، انفصال
Schizophasia	تقطع الكلام، فصام الكلام، كلام ذوي الأمراض العقلية (الفصامية)
Schizophrenia	الفصام، الفصام العقلي
Second	ثانية، الثاني
Second language	لغة ثانية
Second signaling system	المنظومة الإشارية الثانية
Sedomdary cortical	المناطق المخية الثنائية

Segment	مقطع
Segmental surface disorders	اضطرابات المستوى المقطعي
Selective	انتقائي
Selective attention models	نماذج الانتباه الانتقائي
Selective learning	التعلم الانتقائي
Selective perception	إدراك انتقائي
Semantic	دلالي، متعلق بمعاني الكلمات والمفاهيم
Semantic analysis	تحليل معاني الكلمات والمفاهيم
Semantic aphasia	حبسة (أفازيا) المعنى (عدم القدرة على فهم الكلمات والعبارات)
Semantic burden	الثقل الدلالي
Semantic component	عنصر المعنى (المكون الدلالي)
Semantic differential	التمايز الدلالي
Semantic feature acquisition hypothesis	فرضية اكتساب السمات الدلالية
Semantic memory	ذاكرة المعنى
Semantic sentence	جملة دالة
Semantic signals	الإشارات الدلالية
Semantic space	المجال المعنوي، مجال معاني المفاهيم
Semantic system	نظام دلالة الألفاظ
Semantic theories	نظريات المعنى (الدلالة)

Semantic therapy	علاج، تصحيح معاني المفاهيم
Semantics	علم المعاني، علم دلالة الألفاظ وتطورها
Semiology	علم الأدلة، علم العلاقات، علم الرموز
Semiotic system	نظام رمزي
Sender	مرسل
Sensori-motor stage	مرحلة الحس الحركية
Sensory	حسي، متعلق بالإحساس
Sensory aphasia	الحبسة (الأفازيا) الكلية الحسية
Sensory dyslalia	عسر النطق الحسي
Sensory dysphasia	الحبسة (الأفازيا) الجزئية الحسية
Sensory apraxia	أبراكسيا حسية
Sensory alalia	الحبسة الطفولية الحسية
Sentence	جملة
Sentence /word	الكلمة الجملة (كلمة تدل على جملة عند الأطفال)
Sentence stage	مرحلة الجملة (إحدى مراحل النمو اللغوي عند الأطفال)
Sequence	تتابع، تسلسل، نتيجة
Sequence / developmental	تسلسل النمو
Serial	متسلسل، متتابع
Serial learning	التعلم المتسلسل

Sensory receptor	المستقبل الحسي
Sensory feedback	التغذية الراجعة الحسية
Shape	شكل، هيئة، تشكل
Shadow	ظل، خيال
Shadowing therapy	العلاج السلوكي الظلي
Shaky voice	الصوت المرتعش
Short	قصير
Short term memory	ذاكرة قصيرة المدى
Short vowels	الصوائت القصيرة
Sight	بصر
Sight vocabulary	مفردات بصرية (تدرك بمجرد النظر إليها)
Sigmatism	عيب نطق السين
Sign	إشارة، علامة
Sign language	لغة الإشارة
Sign / code	علامة رمزية
Signal	إشارة، علامة، إشاري
Signalized text	موضوع مومأ به
Situation	حالة، موقف
Situational	موقفي، ظرفي
Situational semantic signal	إشارة دلالية موقفية (حالية)
Sitting up	مرحلة الجلوس
Simultaneous	متزامن، متواقت
Simultaneous bilingualism	ثنائية اللغة التزامنية
Simultaneous scanning	التفحص الدقيق المتزامن

slurring	المجمجة في النطق
Social	اجتماعي
Social ego	الأنا الاجتماعية
Social rehabilitation	التأهيل الاجتماعي
Social therapy	العلاج الاجتماعي
Socialization	التنشئة الاجتماعية
Sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعي
Sound	صوت
Sound communication	الاتصال الصوتي
Sound epenthesis	الإقحام الصوتي
Sound intensity	شدة الصوت، حدة الصوت
Sound /phantom	صوت وهمي
Sound wave	موجة صوتية
Sounds/speech	أصوات الكلام
Span	مدى، سعة
Span/memory	مدى التذكر
Span of attention	مدى الانتباه
Span/reading	سعة القراءة (عدد الكلمات التي يدركها الشخص في تثبيت البصر مرة واحدة)
Span/visual	سعة الإبصار (بالأبعاد الثلاثة)
Span of recognition	مدى الإدراك
Spastic	تشنجي، رعشي
Spastic aphonia	انعدام الصوت التشنجي

Speech / infantile	كلام طفلي
Speech / internal	كلام داخلي
Speech / monotonous	كلام مُمِل، كلام على وتيرة واحدة
Speech / mumbled	تمتمة، غمغمة، كلام متمتم
Speech pathology	علم أمراض الكلام
Speech processing	معالجة الكلام
Speech production	إنتاج الكلام
Speech reception	استقبال الكلام
Speech rehabilitation	تعليم الكلام من جديد
Speech / remedial	الكلام العلاجي
Speech / retarded	كلام متأخر
Speech /scanning	كلام بطيء، كلام السكير
Speech / spastic	كلام تشنجي، كلام اهتزازي
Speech / staccato	كلام متقطع
Speech / subvocal	كلام شبه منطوق، كلام تحت صوتي
Speech test	اختبار الكلام
Speech therapist	معالج اضطرابات الكلام
Speech therapy	علاج الكلام
Speech theory	نظرية الكلام
Speech training	تدريب كلامي .
Spinal	شوكي، فقري
Spinal cord	الحبل الشوكي

Spastic paralysis	شلل تشنجي
Special	خاص
Special factor	العامل الخاص
Special language forms	أشكال لغوية خاصة
Special dyslalia	عسر النطق الخاص
Special education	التربية الخاصة
Specialist	أخصائي، متخصص
Speech	كلام
Speech act	فعل الكلام
Speech /ataxic	كلام تخلجي
Speech /automatic	كلام تلقائي، كلام آلي
Speech block	سكتة الكلام، امتناع الكلام
Speech centers	مراكز الكلام (في الدماغ)
Speech correction	إصلاح عيوب الكلام
Speech / defective	كلام مضطرب، كلام معيب
Speech defects	عيوب الكلام
Speech / delayed	تأخر في الكلام
Speech / delusional	كلام توهمي
Speech disorder	اضطراب الكلام
Speech / egocentric	كلام متمركز حول الذات
Speech / explosive	كلام انفجاري
Speech functional disorder	اضطراب وظيفي للكلام
Speech organic disorder	اضطراب عضوي للكلام
Speech impediment	إعاقة الكلام
Speech / incoherent	كلام مشتت

Stereotype	نمط، نمط رتيب، قالب جامد، أسلوب جامد
Stereotyped attitude	اتجاه نمطي
Stereotyped behaviour	سلوك نمطي
Stereotyped dynamics	ديناميات نمطية
Stimulus	مثير، منبه
Stimulus / auditory	مثير سمعي
Stimulus generalization	تعميم المثير
Stimulus /visual	مثير بصري
Stimulus word	كلمة الإثارة
Stope	حبس، وقف
Stream	مجرى، تيار
Stream of talk	مجرى الحديث
Structural	بنائي، تركيبي
Structural aids	المعينات البنائية التركيبية
Structural psychology	علم النفس التركيبي
Structure	بنية، هيكل
Structure /biological	البناء البيولوجي
Structure / cognitive	التركيب العقلي المعرفي
Structure /mental	التكوين العقلي
Structure / perceptual	التكوين الإدراكي
Stuttering	تهتهة
Stuttering /advanced	تهتهة متقدمة
Stuttering / clonic	التهتهة الاهتزازية
Stuttering /confirming	التهتهة الثابتة

Spinal nerves	الأعصاب الشوكية (وعددها 31 مزدوج)
Spontaneous	تلقائي، ذاتي
Spontaneous behaviour	سلوك تلقائي
Spontaneous speech	كلام تلقائي
Spontaneous recovery	شفاء تلقائي، استرجاع تلقائي
Stage	مرحلة
Stage / babble	مرحلة المناغاة
Stage / melody	مرحلة النغم
Stage of language development	مراحل نمو اللغة
Stage /preparatory	المرحلة التحضيرية
Stage / sentence	مرحلة الجملة
Stage / special language forms	مرحلة الأشكال اللغوية الخاصة
Stage / word	مرحلة الكلمة
Stage /zero	مرحلة الصفر
Stage /sentence word	مرحلة الكلمة الجملة
Stable	ثابت
Staccato	التقطع في النطق
Stammering	لجلجة، لثغة (اعتقال اللسان)
Steer	يُسير، يوجه
Steering information circuit	دائرة توجيه المعلومات
Steering system	منظومة التوجيه

Stuttering /developmental	التهتهة النمائية
Stuttering /inhibition	التهتهة الكفية
Stuttering /physiological	التهتهة الفسيولوجية
Stuttering /tonic	التهتهة التشنجية
Stuttering /transional	التهتهة التحولية
Style	أسلوب
Subcortex	تحت القشرية
Submissive	خاضع، تابع
Submissive hemisphere	نصف الكرة المخي التابع
Substance	مادة، جوهر
Substance disorders	اضطرابات المادة الناقلة
Substance producer	المنتج للمادة الناقلة
Substitution	إبدال (أصوات)
Substitution disorders	اضطرابات إبدالية
Successive	متعاقب، متوال
Successive scanning	التفحص الدقيق المتتابع
Successive bilingualism	ثنائية اللغة التتابعية
Suggestion	إيحاء، استهواء
Suggestion therapy	العلاج الإيحائي
Suggestion / verbal	إيحاء لفظي
Suprasegmental feature	صفة تطويحية (فوقطعية)
Suprasegmental surface	اضطرابات المستوى التطويحي
Supervision	مراقبة، إشراف
Supervision circuit	دائرة مراقبة
Supervision code	شفرة مراقبة

Supervision information circuit	دائرة مراقبة المعلومات
Suppression	قمع، منع، إبطال
Super ego	الانا الأعلى
Sulcus	شق، أخدود
Surdologopedy	علم اضطرابات الكلام الصممي
Surface structure	البنية السطحية
Syllabic	مقطعي
Syllabication	تحليل مقطعي، تقطيع
Syllable	مقطع
Symbol	رمز
Symbolia	استرماز، المعرفة بالرمز
Symbolic	رمزي
Symbolic construct	تكوين رمزي
Symbolic form	صيغة رمزية
Symbolic function	وظيفة رمزية
Symbolic notation	تعبير رمزي
Symbolic pattern	نمط رمزي
Symbolic process	عملية رمزية
Symbolic thinking	التفكير الرمزي
Symbolic sign	دليل رمزي
Symbolic system	نظام رمزي
Symbolism	الرمزية، المذهب الرمزي
Symbolization	ترميز، الإشارة بالرمز
Symbolize	رمز، مثل يرمز

System /phonetic	نظام صوتي
System /memory	نظام التذكر
T	
Tachy-	سابقة تعني سريع، مسرع
Tachylalia	السرعة الزائدة في الكلام
Tachylogia = tachyphrasia=tachphemia	سرعة الكلام
Talk	كلام، تكلم
Talking	كلام، متكلم
Talking books	الكتب الناطقة
Talking time	مرحلة الكلام
Teaching	تدريس، تعليم
Teaching aids	مساعدات تعليمية
Teaching / remedial	التعليم العلاجي
Teaching / team	التعليم الفريقي
Telecommunication	حقل الاتصالات البعيدة
Telegraphic speech	كلام برقي
Temporal	زمني، صدغي
Telegraphic contiguity	الاقتران الزماني
Temporal lobe	الفص الصدغي (في الدماغ)
Tertiary cortical	المناطق المخية الثلاثية
Test	اختبار
Test / linguistic	اختبار اللغة
Test / literacy	اختبار القراءة والكتابة
Test / memory span	اختبار مدى التذكر
Test / mental	اختبار عقلي

Symbology	علم الرموز
Symbolophobia	خواف الرموز
Symmetry	ماثل، تناظر، تناسب
Symptom	عَرَض (عرض مرضي)
Symptomatic	عَرضي
Symptomatology	علم الأعراض المرضية
Symptomatic classification	التصنيف الذي يستند إلى الأعراض (تصنيف اضطرابات الكلام)
Synapse	المشتبك العصبي، وصلة (بين الخلايا العصبية)
Syntactic	نحوي، تركيبي، خاص بنظم الكلام
Syntactic aphasia	الحبسة (الأفازيا) النحوية
Syntactic power	قوة نحوية
Syntactic structure	البنية النحوية
Syntactics	علم النحو
Syntagmatic	اضطرابات تركيبية
Synthesis	تركيب (عكس تحليل)
Synthetic	شفرة تركيبية
System	نظام، جهاز
System /auditory	الجهاز السمعي
System /basic	نظام أساسي
System /communication	نظام الاتصال
System /linguistic	نظام لغوي

Test / proficiency	اختبار الكفاءة
Test / recall	اختبار الاسترجاع
Test / psychological	اختبار نفسي
Test / watch	اختبار الساعة لقياس حدة السمع
Test / whisper	اختبار الهمس لقياس ضعف السمع
Test / word span	اختبار مدى التذكر اللفظي
Test / word building	اختبار بناء الكلمات
Theory	نظرية، مذهب علمي
Theory /antilocalization	نظرية اللاتمركز للعمليات النفسية في الدماغ
Theory / behaviour	النظرية السلوكيّة
Theory / communication	نظرية الاتصال
Theory / diachronic	النظرية التطورية (التاريخية)
Theory / dynamic localization	نظرية التمركز الدينامي المرن
Theory / functionalism	النظرية الوظيفية
Theory / functional and structural	النظرية الوظيفية البنيوية
Theory / information	نظرية المعلومات
Theory of intelligence	نظرية الذكاء
Theory / interjectional	نظرية التعجب في أصل اللغات
Theory of knowledge = epistemolog	نظرية المعرفة
Theory of language acquisition	نظرية اكتساب اللغة
Theory / linguistic	نظرية لغوية
Theory / learning	نظرية التعلم
Theory / localization	نظرية تمركز العمليات النفسية في الدماغ
Theory of meaning	نظرية المعنى
Theory / migration	نظرية النزوح أو الانتشار
Theory / mentalistic	النظرية الذهنية
Theory / monogenesis	نظرية الأصل الواحد
Theory / Nativistic	النظرية الفطرية
Theory / Onomatopoeic	نظرية محاكاة الأصوات
Theory /polygenesis	نظرية تعدد أصول اللغات
Theory /pedgree	نظرية التشعب اللغوي
Theory /psychological	نظرية نفسية
Theory /psychomechanic	النظرية النفسية الآلية (جوستاف غليوم)
Theory /pooh-pooh	نظرية الأصول الانفعالية
Theory /scale and category	نظرية المستويات والأجناس (مدرسة هاليداي النحوية)
Theory /semantic field	نظرية الحقول الدلالية
Theory of transformational generative grammer	نظرية النحو التحويلي التوليدي
Therapist	معالج
Therapy	علاج
Therapy / analytical	علاج تحليلي
Therapy / aversion	العلاج بالتنفير
Therapy / behaviour	العلاج السلوكي

Therapy / corrective	العلاج التعديلي (الاصلاحي)
Therapy / electroshock	العلاج بالصدمة الكهربائية
Therapy / expressive	العلاج التعبيري
Therapy / drama	علاج الدراما (العلاج بالتمثيل)
Therapy / persuation	العلاج بالإقناع
Therapy / play	العلاج باللعب
Therapy / relaxation	العلاج بالاسترخاء
Therapy / shadowing	العلاج الظلي
Therapy / speech	العلاج الكلامي
Therapy / suggestion	العلاج بالإيحاء
Thought	فكر، فكرة
Thought chase	تطاير الفكر
Thought impermanence	مؤقتة التفكير
Thought stickness	لزوجة التفكير
Thought units	وحدات فكرية
Tongue	لسان
Total	كلي، مجموع
Total aphasia	الحبسة (الأفازيا) الكلية
Total physical response	الاستجابة الجسدية الكاملة
Tract	مسلك، مجرى
Tract /afferent	المجرى الوارد
Tract efferent	المجرى الصادر
Tradition	تقليد
Traditional	تقليدي

Traditional grammar	النحو التقليدي
Traditional methods	الطرق التقليدية
Training	تدريب، تمرين
Transformation	تحويل
Transformation bands	الحزم التحويلية
Transformation principles	مبادئ التحويل
Transformation rules	قواعد التحويل
Transformation signals	إشارات التحويل
Transformational grammar	القواعد التحويلية
Transmission	الإرسال، النقل
Trial and error	المحاولة والخطأ
Trigeminal nerve	العصب التوأمي الثلاثي
Turbans	تلافيف دماغية
Two class system	نظام ذو درجتين (لغة)
Two class signal	إشارة ذات الدرجتين (لغة)
U	
Unconditioned inhibition	كف غير شرطي
Unconditioned response	استجابة غير شرطية
Unconditioned stimulus	مثير غير شرطي
Unconscious	لاشعوري
Unintentional babblement	المناغاة العشوائية
Universal properties	خصائص عامة
Universals of language	عموميات اللغة (الظواهر المشتركة بين اللغات المختلفة)

Unlearning	محو التعلم
Unlearned behaviour	السلوك غير المتعلم (فطري)
Unspecialized functional mass	كتلة وظيفية غير متخصصة (إحدى وجهات النظر التي تفسر عمل الدماغ)
Unspecialized mass	كتلة غير متنوعة (غير متخصصة)
Uvula	اللهاة
Unsystematic distortion	انحراف غير منظم (انحراف يصيب المفردات المتشابهة نطقياً والمختلفة من حيث المعنى)
V	
Vagus nerve	العصب الحائر أو التائه (العصب الدماغي العاشر)
Variable	متغير
Variable / dependent	متغير تابع
Variable / independent	متغير مستقل
Velarized	مطبق
Velum	القسم الخلفي من سقف الفم الرخو
Verbal	لفظي
Verbal ability	القدرة اللفظية
Verbal amnesia	نسيان لفظي
Verbal aphasia	حبسة لفظية
Verbal behaviour	سلوك لفظي

Verbal communication	الاتصال اللفظي
Verbal conditioning	الإشراط اللفظي
Verbal generalization	التعميم اللفظي
Verbal intelligence	الذكاء اللفظي
Verbal learning	التعلم اللفظي
Verbal reasoning	الاستدلال اللفظي
Verbal relations	العلاقات اللفظية
Verbal stimulus	مثير لفظي
Verbal suggestion	إيحاء لفظي
Verbal test	اختبار لفظي
Verbalism	اللفظية، الاعتماد على الكلمات
Verbalization	تلفظ، التعبير في كلمات
Verbigeration	الحشو الكلامي
Verbosity	إسهاب، إطناب
Vibration	اهتزاز
Visual	بصري
Visual =aphasia =	حبسة بصرية (عدم القدرة على فهم الكلمات المكتوبة)
Visual asymbolia	العجز عن إدراك الرموز البصرية
Visual hearing	السمع البصري (ا ستقبال اللغة بصريا كما في طريقة كلام الشفاه لدى الصم)
Visual perception	الاستقبال البصري

Vowel	صائت
Vowel contrasts	التباينات الصائتية
W	
Walking	المشي، السير
Walking alone	مرحلة السير بدون مساعدة
Walking outside	مرحلة السير خارج المترل
Walking with help	مرحلة السير بمساعدة
Wave	موجة
Wave /acoustic	موجة صوتية
Waves/brain	الموجات المخية
Wave/sound	موجة صوتية
Wheezing	صوت كالصفير، أزيز لدى مريض الربو
Whispering	همس (صوتي)
Whole	كل، كامل، تام
Whole learning	التعلم بالوحدات الكلية
Whole meaning	المعنى الكلي
Whole method	طريقة الكل
Wholistic aphasia	حبسة (أفازيا) كلية
Will	إرادة
Wish	رغبة
Word	كلمة، لفظة
Word association test	اختبار تداعي الكلمات
Word blindness	العمى اللفظي (الكلامي)
Word deafness	الصمم الكلامي

Vocabulary	مفردات لغة، مجموعة كلمات
Vocabulary/active	المفردات النشطة (المفردات اللغوية المكتوبة أو المنطوقة)
Vocabulary /passive	المفردات السلبية (المفردات اللغوية المقروءة أو المسموعة)
Vocabulary/recognition	مفردات التعرف
Vocabulary/speaking	مفردات التكلم
Vocabulary test	اختبار الحصيلة اللغوية
Vocabulary control	تحكم في المفردات
Vocal	صوتي
Vocal cords	الحبال الصوتية
Vocal games	الألعاب الصوتية
Vocal organs	أعضاء الجهاز الصوتي
Vocalising time	مرحلة الصياح
Vocalization	تصويت، إخراج الصوت
Voice	صوت
Voice disorders	اضطرابات الصوت
Voice /hoarse	صوت أجش، صوت مبحوح
Voice /nasal	صوت أنفي
Voiced	مجهور
Voiceless	مهموس
Voiceless vowel	مصوت مهموس
Volubility	الثرثرة

Word fluency	الطلاقة اللغوية
Word recognition = skills	مهارات التعرف على الكلمات
Word salad	السلاطة الكلامية
Word sentence	الكلمة-الجملة
Words slips	قصاصات الكلمات
Word stage	مرحلة الكلمة
Words Study skills	مهارات معالجة الكلمات
Word wheels	عجلات الكلمات
Wernicks area	منطقة فيرينكا (وتقع في التلفيفة العلوية الخلفية للفص الصدغي وهي متخصصة بفهم الكلام)

X	
Xeno–	سابقة تعني غريب، أجنبي، دخيل
Xenoglossia	فهم وقراءة وكتابة والتحدث بلغة لم يسبق تعلمها
Xenoglossophilia	التشدق بالألفاظ الغربية (اضطراب يؤدي إلى استخدام كلمات غربية أو ذات أصل أجنبي)
Xenoglossophobia	خواف اللغات الأجنبية

III - اللقاء الثاني حول "المصطلح الطبي لعلم التشريح"

من 7 إلى 9 أكتوبر 1999 باريس

1- أبحاث اللقاء

أ- بالعربية :

1. منهجيَّةُ بناءِ المُصْطلَحات

د. أحمد شفيق الخطيب

2. عناصر التعريب ... وقضيتنا الحضارية

د. محمد توفيق الرخاوي

3. المصطلح الطبي لعلم التشريح

د.سوسن عبد الرحمن

4. إسهام في التسمية التشريحية العربية

د. يوسف مخلوف

2- التقريـــر النهائي والتوصيات

مِنهجيَّةُ بناءِ المُصْطلَحات

د. أحمد شفيق الخطيب (*)

تمهيد

أيها السيدات والسادة الأكارم

تُرى لو عُقدت هذه الندوة في نهاية الألف الأول الميلادي- ماذا كان يكون موضوعُها؟ ومن كان يكون حُضورها؟

لعلَّ الجوابَ سهلٌ استنتاجُه من استقراء ما كتبه أسقُفُ قُرطُبة، أكبر مدن أوروبا في القَرن العاشر، حيث يقول: "إنَّ اللغةَ العربيةَ قد فتَنتنا بعُذوبة ألفاظها وبلغة إنشائها حتى لا نكاد نجدُ فينا من يقرأ الكتبَ المُقدسَّة باللاتينية. وشبابُنا الأذكياءُ جميعاً لا يعرفون غيرَ لغة العرب وآدابهم؛ وكلّما قرأوا كتُبَها ودَرسوا آدابَها ازدادوا إعجاباً بها. فإذا حَدَّثْتَهُم عن كتابٍ من الكتُب اللاتينية سَخروا منه، وقالوا إنَّ الفائدةَ منه لا تُساوي التّعبَ في قِراءَته. وهكذا نَسِيَ المسيحيون لُغتَهم وجهلوا كتابتَها وبَلاغتَها وحذَقوا اللسانَ العربيَّ- حتى ليكتبونه نثرا ونَظماً بأسلوب أنيقٍ يفوقون به العربَ أحياناً".

وفي إشارةٍ إلى هذه الفترة من ازدهار الحضارة العربيَّة واللغة العربية: تَقولُ الكاتبة زيغْريد هونكه في كتابها "شمس العَرب تسْطَعُ على الغَرب":

"لقد أضحت العربيةُ لُغةَ العُلماء بل لُغة الشعوب التي دخلَها الإسلامُ، وكانت لُغةَ العِلم وَحدَها لا تُنازِعُها تلك المكانةَ أيُّ لُغة أخرى. لقد استطاعت العربيةُ استيعابَ جميعِ العلومِ التي بلغَتْها الحضارات التي سبقَتْها- مُضيفةً إليها عُلوماً جديدةً بمُصطلحات ومَفاهيمَ جديدة. وفيها كانت تؤلَّفُ الكتب، وبها يتحدثُ العُلماءُ ويُديرون الحِوارات في ما بينَهم مهما اختلفتْ أُصولُهم ".

فقد كانت العربية آنذاك اللغةَ العالميَّةَ- لغةَ العلوم والآداب، لغةَ الطّب والهندسة، لُغة علم الفلك والفلسفة واللاهوت.

كانت الجامعاتُ العربيَّةُ آنذاك جامعات عالميَّةً- بل الجامعاتُ العالمية الوحيدةُ في العالم ومَحطَّ رحالِ كُلِّ عالِمٍ يُفتِّشُ عن ازدياد المَعرفة في حقل اختصاصه.

والأدلةُ على المكانة العلميَّة للُغة العربية حينئذ لا تُعْوِزُنا- فهناك مئات الألفاظِ في الفلكِ والكيمياء والطّب والفيزياء والجُغرافيا والرياضيات التي أخذَتْها اللغات العلميةُ الغربيَّة عنها [1]، وكذلك المؤلَّفاتُ العربيةُ المُتْقَنَةُ في الفلك والطبِّ والعلوم التي ظلَّت تُدرَّسُ في جامعات أورُبّا العريقة في مونبلييه ولُوفان وتوبنْجن طوالَ عدّة قرون!

هذه اللغةُ دمَسَ عليها في مواطنها مع أواخر القرن الرابع عشرَ الميلاديّ عَهدٌ من الظُّلْمةِ والوَهَنِ القوميّ والاجتماعي والسّياسي عَطَّلَ قُوى الإبداعِ والمَسارَ العلميَّ والأنشطةَ الرائعةَ التي كانت العربيةُ أداتَها كُلَّها.

وزادَ الطّينَ بلّةً، مَجيءُ العُثمانيين لِيَبْسُطوا سُلطانَهم وسياساتِهم التَّتريكيةَ والتجهيليَّةَ على الوطنِ العربي ويجعلوا التركيةَ لُغةَ الدواوينِ ودوائرِ الدولة والمدارس- على :ادرَجها وأساليبها في تدريس كلّ المواد، حتى مادة اللغة العربيّة، بالتركيَّة في كُتبٍ وُضعَت بالتركيّة، وعلى يدِ مُعلمينَ أتراكٍ غالباً. ولا تَسَلْ عن

(*) دائرة المعاجم -مكتبة لبنان-

مُناخ الجَهْلِ الدامِس الذي راحَ يتزايَدُ وَيعُمّ حتى شَمَلَ البلادَ والعِبادَ باستثناء بعض الأديرةِ والجَوامِع.

وتشيرُ، إحصاءات اليونسكو أنّه بِسَبب هذا الرُّكود- حتى أوائلِ القَرنِ العشرين- لم يدخُلِ اللغةَ العربيةَ سِوى خَمسين مصطلحاً.

العربيَّةُ في بدايات عَصر النهضة الحَديثة

مع بداياتِ عَصرِ النهضة الحديثة أوائلَ القرن الماضي بخاصةٍ ، انطلقتِ العربيَّةُ تأخذُ طريقَها مُجَدَّداً إلى دُنيا العُلومِ الحضاريةِ نتيجةً للتحوُّلات السِّياسية والاجتماعية والثقافيَّةِ والاقتصادية التي أحدثَتْها الاحتكاكات بالغَرْب في مختلف المجالات. وقد بدأتْ تباشيرُ هذه النَّهضةِ في مَوقعَين كانا دَوماً أرضاً خِصْبَةً للانبعاث والتطور- عَنَيْتُ منطقةَ شمالي سوريا ولبنان، ومصر، كما في بعض المَغرب أيضاً [2]

فإثر الحملة النابليونية الفرنسيةِ التي فتحت الأعينَ، بخاصة أعينَ الحُكّام، على الحضارةِ الأوروبيّة، وما أن تسلَّمَ محمّد علي مقاليدَ السُّلطةِ في مصر، حتى عكَفَ على نَقْل مدنيَّةِ الغرب عن طريق البَعَثات والمعاهد والترجمات. وكان طبيعيّاً أن تتَّخذَ معاهدُ محمد علي القاهريةُ، منذُ تأسيسهـــا عام 1825، في الطب والهندسة والزِّراعة والعسكريّات، اللغةَ العربيةَ وسيلةً لها في تعليم المناهج على كُلِّ المُستويات.

لقد جعلَ محمد علي الترجمةَ إحدى وسائله العملية لنَقْل علوم الغَرب وحضارته، فأسَّس مدرسةَ الألسُنِ وقلمَ التَرجمة عامَ 1841. وكان يَفرضُ على المدرسينَ وتلاميذَ البعثات أن يُترجموا الكتبَ التي تُعيَّنُ لــهُم وأن تكونَ ترجماتهم مُتْقَنة وسَليمةً من الخطأ.

ويعتبر الاهتمامُ بالعلوم الطِّبِّيَّةِ أقدمَ جُهد في العالَمِ العربي الحديث لِوضعِ المصطلحات. وجديرٌ بالذِّكر أن كليةَ الطب في "أبو زعبل " ثُمَّ في قَصر العَيني استمرّتْ تُدرسُ الطِّبَّ أكثر من ستين عاماً. وفي رحابها نَشأ أعظم أساتذة عُلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء وسِواها، وأعظم نقَلَتها. وفي مُختبراتها نجَحَ الطبيبُ الألمانيّ تيودور بلْهارتز وتلاميذُه في اكتشاف جُرثومة البلهارسيا عام 1851.

ومن المعالم المصطلحيَّة المَشهودة في هذه الفترة ما تمَّ بجُهودِ كلية الطِّب في القاهرة التي بدأت تدريسَ الطبِّ بالعربية عام 1826. فقد شعَرَ ناظرُها الدكتور بيرُون ومُساعدوه، بِمَسيس الحاجةِ إلى ترجمةِ مُعجَم شاملٍ في العلوم الطِبِّيَّة- فاستَحضَرَ من باريس "قاموسَ القواميس الطبية"، لفابْر، في ثمانية مُجَلّدات، تشمَل جميعَ الاصطلاحاتِ العلميةِ والفنِّيةِ في الطِّبِّ والنبات والحَيَوانِ والعلوم الأخرى.

وقد تعاوَنَتْ مدرسة الطِّبِّ بكُلّ هَيئاتها على ترجمةِ هذا القاموس إلى العربية، فوَزَّعَه الدكتور بيرُون على مَهَرةِ المدرّسينَ (بإشراف أستاذه في العربية محمد عُمر التونسي) لِيُنجزَ كلّ منهُم قِسْماً منهُ.ولم يكتَفِ الدكتور بيرون بذلك، بَلْ أرادَ أن يكونَ القاموسُ الجديدُ جامعاً أيضاً للألفاظ والمُصطلَحاتِ الطِّبية القديمة.فأتى بالقاموس المُحيط للفيروزأبادي،ووزَّعَهُ على أفراد الهَيئة، وأمرَ كُلاًّ منهم أن يُراجعَ الجُزءَ الذي بِيَدِه،وَينتقيَ منه كُلَّ لفظ دَلَّ على مَرَضٍ أو عَرَض،وكُلَّ اسمِ نَباتٍ أو مَعدن أو حيَوان[3].

ولم تكن جهودُ الرُّوّادِ في الكلّية السورية الإنجيلية (الجامعةِ الأميركية في بيروت لاحقاً)، أواسطَ القرنِ الماضي، أقلَّ شأناً.فقد كانت مؤلفاتُ المُستَشْرقين الأمريكان، من أمثال كَرنيليُوس فانْدَيْك ويُوحَنّا وُرتْبات وجورج بوسْت، بمعاوَنةِ أساتذتهم العَربِ من أمثال بطرس البُستاني واليازجيَّين ناصيف وإبراهيم، ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق، تُغَطّي بَرامجَ الدِّراسةِ في عُلوم

الطبِّ والفيزياء (الفلسفة الطبيعيَّة حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرِّياضيات والفلك وسواها بلُغة عربيَّة سليمة ومُستوَى علميٍّ راقٍ قُرابةَ رُبع قَرن(من1867 إلى 1890). فلم يكُنْ يخطرُ ببالِ رُوّاد النهضة، عَرباً أو أجانبَ مِن المُخلصين، التدريس بغير العربيَّة- تطبيقاً لمَنْطِقٍ عِلمي عَملي نَفْسانيٍّ تربوي صحيح.

وقد كان يُرجَى للّغة العربية في هذا العَهد أن تبلُغَ أعلى درجات الرُّقي لو أُتيحَ لها أن تكونَ، وتَستمِر، لِسانَ حالِ النَّهضة العلميَّة العَصْرِيَّة. لكنَّ سياسات الغَربِ التي تعرفونها جيِّداً، حاليّاً وسالفاً، ما كانت تُخطِّط لمِثْل هذا الانتعاش في مَسيرة اللغة العربية- وقد أخذَتْ تَستوعِبُ أسبابَ الحضارة ومُتطلَّباتها العلميةَ بنجاح في القاهرة وبيروت. فما أن ثبَّتَ الاجتياحُ البريطانيُّ أقدامَهُ في مِصْرَ حتى عرقَلَ هذه المَسيرةَ- أوّلاً بتحويل التدريس في مدرسة الطبِّ إلى اللغة الإنكليزية عام 1887(بعدَ قُرابة ثُلثي قَرن من الإنجازات). ثُمَّ أكملَ البريطانيونَ إجهاضَ المَسيرة تلكَ ثانياً، بقرارِ عامّ عامَ 1889، بأن تكونَ لُغةُ التعليم في مختلف المعاهدِ المصرية اللغةَ الإنكليزية. فأغلقتْ مدرسةُ الألسُنِ، ونُفيَ رِفاعة الطهطاوي ومُؤيِّدوه إلى السُّودان، وَوُجِّهتِ البعَثاتُ إلى إنكلترا (بَدلَ فرنسا وإيطاليا).

وما هو إلاّ عام أو بِضعةٌ، حتى حذا الأمريكيونَ في الكلية السورية الإنجيلية، ولاحقاً الفرنسيون في جامعة القديس يوسُف، حَذْوَ البريطانيين، فتَحول التدريس فيهما، أيضاً، من العربية إلى الإنكليزية والفرنسية. وهكذا حُرِمَتِ اللغةُ العربيَّة من فرصَتها الذهبية، وغُرِسَتْ بذورُ الشك والرِّيبةِ في نُفوس أبناءِ العربية بِلُغتهم- بأهَمِّ مُقوِّمات أصالتهم وحضارتهم.

لكِن جُهدَ المُخلصين لا يَني- فما إن حطَّت الحَربُ العالميَةُ الأولى أوزارَها وزالَ نيرُ العثمانيين، حتى عادَتْ حَركَةُ الاستِعراب تَثور في نفوس المُخلصين. فقامَ معهدُ الطبِّ في دِمَشق عام 1919 على أنقاض كلية الطِّب التركية- وبقرارٍ شُجاعٍ تم العَزْمُ على جعل العربية لُغةَ التدريس فيه. وراحَ الرُّوّادُ، من أساتذة المعهد من أمثال مُرشِد خاطر وحَمدي الخياط وجميل الخاني وصلاح الدين الكواكبي، يُرسِّخون مَعْلماً آخرَ مُصْطَلحيّاً في مَسار ابتِعاث العربية العلمية. فبَرْهنوا مجددا أنّ العربيةَ لا تَعْجزُ عن استيعاب العِلمِ بمُخْتلِف فُروعه حين تتضافرُ النيةُ الطّيِّبةُ مع الجُهْد الرَّصين. وعَزَّزَ مَسيرتَهم مَجمعُ اللغة العربية في دِمشق (المجمع العلميّ العربيّ حينئذ) الذي تأسَّس في العام نَفسه وضَمَّ بعضاً من رُواد المعهد الطبي آنذاك. وفي يَقين الكثيرين، وَيقيني، أنه لو استمرَّتْ جهودُ معاهدِ العلوم الطبية والهندسيةِ والزراعيةِ وسواها في القاهرة، لِتَتضافرَ مع جُهود العاملينَ في الكليةِ السورية الإنجيلية بمُختلف فُروعها، مُعَزَزةً بجُهودِ المَيامين من رجال المعهد الطِّبِّي في دمشق- أقول، لو تَمَّ لِهذه الجهودِ أن تتضافرَ، لَكَانَ حالُ العربيةِ اليومَ غَيْرَ ما هو عليه، ولكانت العربية اليومَ لُغةَ العلم ولُغة تعليمِ مُختلف العلوم في كُلِّ المعاهد والجامعات كما هي الحال في مُختلف أقطار المَعمورة.

المُصطَلح ونحن

المُصطَلحُ لَفْظ، كلمة أو كلمات، تحملُ مفهوما مُعَيَّناً ماديّاً أو معنوناً غيرَ مَلْموسٍ، أو هو كلمةٌ أو كلماتٌ ذات دلالة عِلميَّة أو حضاريَّة يَتواضعُ عليها المُشتغلون بتلك العلوم والفنون والمباحث.

ولا تَستَغربوا أن لفظةَ "مُصطلح" إيّاها هي من جُملة مُصطلحاتنا الحديثة. فاللفظةُ لا تردُ في المعاجم العربية القديمة والحديثة- اللّهم إلا حديثاً جدّاً في المُعجم "الوجيز" لمجمع اللغة العربية الذي يتجاوز مُوَسَّعه "الوسيط" فيُورد اللفظةَ مَشروحة بأنها " اتِّفاق" في العلوم

و الفنون على لفظٍ مُعيَّن لأداءِ مَدلولٍ خاص". وهذا المَفهومُ تُضَمِّنُهُ المعاجمُ العربيةُ لفظة "اصطلاح (ج. اصطلاحات) ".

"المُصطلحاتُ" مَفهومٌ يَربطُه البعضُ بالعلوم والعُلماء ونَربطُه نحنُ بألفاظِ الحضارة.قضيَّتنا مع المُصطلحات ليسَتْ مقصورةً على حقولِ التَقانياتِ في الهندسةِ والطب والصيدلة والفيزياء والجيولوجية والأحياء والفضائيات، بل هي تتجاوزُ ذلكَ إلى مَجالاتِ الاجتماعيات والإنسانياتِ والحياةِ العامَّة في المَنْزل والشارع والحَقْل والهواءِ من حَولنا- في مَلْبَسنا ومأكَلنا ومَشْرَبنا وتَسْلياتنا- شِيباً وشُباناً. وفي ألعاب أطفالنا وسائرِ مُحتويات بُيوتنا، كما في مَتاجرنا ومَصارفِنا ومَدارسنا وشتّى مَناحي حياتنا.

منذُ حوالي قَرنٍ من الزمان شكا إبراهيم اليازجي اللغويُّ الشهير في مَقالٍ له بعُنوان "اللغة والعصر" من أنَّ الكاتبَ لو رامَ أنْ يصف حُجرة مَنامه لم يكَدْ يَجدُ في اللغةِ ما يَكفيه لِذلك- فَضْلاً عَمّا ثَمَّةَ من آنيةٍ وأثاثٍ ومَلبوسٍ وفِراشٍ ، وغيرِ ذلكَ من أصنافِ الماعونِ وأدواتِ الزِّينة ممّا لا يجدُ لِشيءٍ منه اسماً في لُغتنا.

وكرَّر الشكوى نفْسَها الأديبُ المعروف أحمد حسن الزيّات- قال فيها يُخاطب رئيس مجمع اللغة العربية:

"ماذا يا سيّدي لو حضرَتْ بيننا سيدةٌ رافلةٌ بأحدث الأزياء وسُئلتُ أن أُسَمّيَ ما عليها من لباس، أو لو نزلْتُ في دارٍ حديثةٍ وطُلِبَ إليَّ أن أصف ما فيها من رياشٍ وأثاث ".

ماذا تُراني، يا رئيسَ المجمع، قائلاً- وأنا ممَّن أفنَوا أعمارَهم في تحصيل مادة اللغة واكتساب مَلَكة الكتابة!

ماذا أُسمي هذا المائلَ على الفود الأيمن، أو هذا المائلَ على الجبين الزاهر؟

وماذا أقولُ في هذا المُزَرَّرِاعلى الصَّدرِ المُشرق، وهذا المُدارِ تحت الثدي الناتىء،

وهذا المُرسَل على الكَشحِ الهضيم، وهذا المفصَّل على القَدمِ اللطيفة؟-

وأنا لا أعرف من غِطاءِ الرأس إلا القِناعَ والخِمار، ولا من كِساءِ الجسم إلا المُلاءَةَ والإزار، ولا من وِقاء الرِّجل إلا النعلَ والحِذاء.

فهل تنطَبق هذه الأسماءُ على هذه الأشياء؟

أم هل تكون دَلالتُها عليها كَدِلالةِ الرِّياش والأثاث على كُلِّ موبيليات البيت، والوردِ والرياحينِ على جميعِ أزهار الحديقة، والجَهلِ والعُجمَةِ على كُل أدوات السيارة؟ لا جَرَمَ أنّي سأعجزُ على كل حال- ألا إنّي قد بَلّغت!

إنَّ الغَمْرَ الحضاري الذي اجتاحَ الوطنَ العربي خلال بِضعة العقودِ الماضية، والذي سيكتسحه أكثر فأكثر في بِضْعة عقود الألفيّةِ الثالثة وظاهرةِ العَولَمة (ولو سطحيّاً أفقيا للأسف في مُعظمه)، أغرقنا وسَيُغرقنا في مُستورداتِ الحضارة الحديثة- حاجيّات وتقْنيّاتٍ وأفكاراً ومخترعات وأساليبَ عَيش في مُختلف المَجالات الحياتية والصحيَّة والاجتماعية- بحَيْث إنّ بعضَ هذه التِّقانات والمُخترعاتِ تَجدُ لها سُوقاً وانتشاراً في بعض أوساطِنا وبَعْض أقطارِنا المَليئة اقتصاديّاً، أكثر مما تجدُ في بلَدِ المَنْشأ.

كُلُّ هذا يعني أن المصطلحَ اليومَ غدا ضرورةً علميَّةً وضرورةً حَضاريَّة لا يُمكِنُ تَجاهُلُها. ومُواكَبةُ هذا الرَّكْب الحضاري تَفرضُ أن تنضمَّ لُغتُنا إلى هذا الرَّكْب وتَنفتِحَ عليه بمُصطلحات تستوعِبُ هذه المُستَجدّات. المصطلحُ بحَدِّ ذاته ليس غايةً- الغاية هي امتلاكُ المعارف العلميّةِ والتقانيةِ والحَضارية، والمُعاصَرةُ الفعلية اللاسطحيَّةُ

للرَّكبِ الحضاريّ المنطلق حوالَينا بِزَخمٍ مُتزايد- والمصطلحُ هو بعضُ وسائِلنا لامتِلاك تلكَ المعارف والتقانات.

هنالك نقصٌ كَمِّي ونوعيٌّ في الإنتاج العربي من المطبوعات الحضاريَّة التثقيفيَّة. وهذا القصورُ يبدو بخاصةٍ في المطبوعات المؤلَّفة أو المُترجمة حولَ المَفاهيمِ الجديدة في العلْمِ والتقانيّات [4]. فالمُصطلحاتُ لها دور فاعلٌ في إعداد الكُتبِ المَعرفيَّة العِلمية والثقافية والتقانية والمَراجعِ العامّة؛ ولا يُمكِنُ إحداث توعيَةٍ حضاريَّةٍ عامَّةٍ حقيقيةٍ مع استِمرار القُصور في هذا المجال.

المُصطلحاتُ اليومَ جُزْءٌ مُهمٌّ من اللُّغة- أيِّ لُغة- باعتِبارها مفاتيحَ للمعرفة الإنسانية في شتّى فروعها، ووسيلةَ التفاهُم والتواصُل بين الناس في مُختلف المجالات العلميَّة والعمليّة. تُقَدِّرُ بعضُ الدراسات أن ما يتجاوز 50%من مُفردات لُغاتِ البُلدان المُتقدِّمة عِلمياً هو مصطلحات علميَّة أو حضاريَّة مُستجدّة- والكثيرُ من هذه الألفاظ يُستَخْدَمُ على نطاق عالمي. ولا يخفى أن هذه المُستجدّات تتحابَكُ اليومَ مع مَشاكلنا الاقتصاديّة والسياسيةِ والأخلاقيَّة واحتياجاتِنا المادية بشَكلٍ لا يُمكنُ فَصْمُه. فلا غرابةَ أن يَنبري المُترجمون واللُّغويون والأدباء والصحافيون والمعجميون، ثمّ المجامعُ والمؤسساتُ العلميَّة والمهنيَّةُ لوَضع مُقابلاتٍ تُعرفُ بها هذه المُستجِدّاتُ وتُتداولُ كمُصطلحات.

من المعالِم البارزةِ في مَسار المُصطلح العربي وَعودةِ انبعاث العربيةِ العِلْميةِ بيان رافقَ إنشاءَ نادي دار العلوم القاهري قبلَ حوالي تِسعين عاماً ألقاه محمد حَفني ناصِف؛ وكان مُقدِّمةً لإنشاءِ مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1934. يقول البيان:

إن غرضَ النادي هو البحثُ في اللغة العربيَّة عن أسماء للمسمَّيات الحديثة بأي طريقٍ من الطُّرق الجائزة لُغَويّاً- ترجَمةً (كتناضُح واستحلاب) أو اشتقاقاً (كمِحرار ومِكشاف) أو مَجَازاً (كطيَّارة ودبّابة) أو تَضْميناً (كمِنفاق ومطياف) أو تركيباً (كَبرمائي ولاسلكي). فإذا لم يتيَسَّرْ ذلك بعدَ البَحْث يُستعارُ اللفظُ الأعجمي بعد صَقلِهِ ووَضعه على مَناهجِ العربيَّة، ويُستعملُ في الفُصْحى بعدَ أن يَعتمِدَه المَجْمعُ اللُّغويُّ الذي سيُؤلَّفُ لهذا الغرض [5].

ثم كان المجمع، بَل المجامعُ [6] وفي صُلْبِ أهدافها، لا وَضعُ آلافِ المصطلحات التي كانت (وتَظَلُّ) تُلحُّ إليها الحاجَةُ فقطْ، بلْ لمنهجة وتنظيم وَضعِ هذه المُصطلحات أيضاً- باعتبار أنّ العملَ المُصطلحي لا يُمكنُ أن يَقتصِرَ العملُ فيه على المَجامع وَحْدَها، فهو حاجَة يومية ضروريَّةٌ لمواكبة رَكْبِ الحضارةِ وتقْنيَّاتها وإنجازاتها.

وقد تحقَّقتْ هذه المَنهَجيَّةُ بشَكلٍ شبْهِ مُتكاملٍ في توالي الرُّبع الأول من هذا القرن، وتوضَّحَتْ معالمُها في أعمالِ ومَحاضِرِ مجامعِ اللغة- وبخاصة إنجازاتِ شَيْخِها مجمعِ اللغة العربية في القاهرة [7]، كما في أعمال أفرادٍ من الرُّواد أذكرُ منهم:محمد شرَف في "معجم العلوم الطبيعية والطبية"- القاهرة 1926، وأمين المعلوف في "معجم الحيوان "، القاهرة 1930، وأحمد عيسى في "معجم أسماء النبات"- القاهرة 1932، والأمير مصطفى الشهابي في "معجم الألفاظ الزراعية"ط 1- دمشق 1943، و ط 2- القاهرة 1957، وحسن حسين فهمي في " المرجع في تعريب المصطلحات العلميَّة والفنيَّة والهندسيَّة " القاهرة 1958،وغيرَهُم من المعجَميِّين المعاصرين.

وكانت هذه المَنهَجيَّة موضوعاً شاغلاً عالَجه وتدارسَه العديدُ من المؤتَمرات والندوات. أذكرُ منهـــا ما كان لي شرفُ حُضوره بدءاً بِـ "ندوة توحيد مِنهجيَّات

وَضع المصطلحات العلميَّة" التي عُقدت في الرباط 1981[8] ثم نَدوة التعاون العربي في مجال المُصطلحات علماً وتطبيقاً- تونس 1986، وندوة التقييس والتوحيد المُصطلحي في النظرية والتطبيق" — تونس 1989، و "ندوة تطوير منهجيَّة وَضع المُصطلح العربي وبَحثُ سبُلِ نَشر المصطلح المُوحد وإشاعَته- عمّان 1993. ثم "ندوة العربية وتحدّيات القرن الحادي والعشرين "-المنامة، أيلول 1995. ومُؤخَّراً "مؤتمرا التعريب الثامن والتاسع " في مراكش 1998 [9] و ندوة دراسة مشروعات معاجم مؤتمر التعريب العاشر في القاهرة 1998.

وكان صدرَ عن مُقَرِّري اللجان العلميَّة بمجمع اللغة العربية في القاهرة "نشرة التوصيات الخاصة بمنهج وضع المُصطلحات العلمية العربية المتخصصة"- وقد أقرّ المجمع ومؤتمره هذه التوصيات في الدورتين الستين 1994 والحادية والسِّتين 1995، [10]

الواقع أنّ المبادئ الأساسيَّة التي أقِرّت في ندوة الرباط عام 1981،وتمثّل فيها كافةُ مجامع اللغة العربية ومُعظمُ المؤسّسات المُختصَّة العاملةُ في حقل المُواصفات والتعريب والتربية في الوطن العربي،- تلك المبادئ كانت من الشمول بحيث ظلّتْ موضعَ التأييد من كُل النّدَوات والمؤتمرات اللاحقة- وهي مع الملاحظات والتعليقات والأمثلة التي أضيفت إليها في تلكُم الندوات والمُؤتمرات تُؤلّف منهجيَّةً شاملةً لوضع (أو بناء، حسب قراءَة نَدوتنا اليوم) مُختلف المُصطلحات العلمية. ولعَلّ من المناسب أن أستعرضَ بشيءٍ من التفصيل بنودَ هذه المَنهجيَّة مع أحدث نُصوصها- أبدؤها بالبَنْد الأول في مختلف المنهجيّات والتوصيات- أولويَّة التُّراث.

أولويَّةُ التُّراث ، كوسيلة لتوليد المصطلحات الجديدة بتحرّي لَفْظٍ منه يُؤدّي مَعنى اللفظ الأجنبي أو يُقاربُه، أمرٌ مَنطِقي وبَديهي، بخاصةٍ في لُغة كالعربية غَنيَّة بتراثها الفكريِّ والعلميّ وتَجاربها الحضاريَّة مِمّا أتاحَ لها تُراثاً وحَصيلةً لُغَويَّةً قَلّما تأتّت لغَيْرها من اللغات. وبالفعل، كما أسلَفْنا، ساعدَ هذا التُّراثُ مُنْذُ مَطلَعِ القرْن التاسعَ عشَرَ في إيجاد وصياغة الكثير من المُصطلحات المُقابلة لذاك السَّيْلِ العارم من الألفاظ التي جُوبِهْنا وما نَزالُ نُجابَه بها. وهذا وَضعٌ لم يتَسَن للكثير من الناطقين بلغات أخرى.

أذكُر لِلمقارنة تَجْربةَ معَلمٍ تَنزاني مع مُصطلحِ "الكثافة" في الفيزياء، ترِدُ في كتاب "التربية العلمية والتكنولوجية في التنمية الوطنية" وكنتُ ترجمتُهُ أوائلَ الثمانينيات للمَكتب الإقليمي لمُنظَّمة اليونسكو. يقول الأستاذ: (كان عليّ أن أشرحَ مَفْهوم " الكثافة density، وليسَ في لُغتنا السَّواحليَّة لَفظٌ لهذا المفهوم. فطلَبْتُ من التلاميذ إحضارَ قِطَعٍ مُتَساويةِ الحَجْم من الخشَب والطّين والفلّين والحديد، توَضَّحَ بالميزان أن ثِقلَها مُختلف. فقرَّرنا، الطلابُ وأنا، أنّ: الثّقْلَ "أوزيتو- بالسَّواحلية" مُختلف. وفي مُعالَجتنا سبَبَ هذا الاختلاف، عللهُ الطلابُ بأن "الثّقْلَ" في الحديد "مَرْصوص"، وهذا الثقْلُ ليسَ عارضا ولا مُضافاً ولا طارئاً، بَلْ أصيل في المادة. فخرَجْنا بمُصطلَح "أوزيتو واصيلي"،- بالعربية " الثقْلُ الأصيل".وهكذا أدخلْنا إلى اللُّغة السَّواحلية مصطلحاً جديداً".

الحمد لله أنّا لم نُجابه سَيلَ المُصطلحات المُتدفّقَ في ظُروف وواقعِ المُعلّم السَّواحلي. لكنَّ الإفادةَ المُصطلحيَّةَ من التُّراث ظلّتْ مَحدودةً. فلم يَفِدْ منها عمَليًا إلاّ قلّة من الروّاد الذين تسنّى لهُم، إضافةً إلى سَعَة الاطلاع اللّغوي، سَعةُ اطّلاع في مادَّة التُّراث التي لها تعَلّق باختصاصاتهم- لأنّ سَعةَ الاطّلاع اللغويِّ في أقصاها لا

تتجاوزُ عادةً مادّةَ المُعجَم العربي؛ والمعاجمُ العربيةُ، للأسَف، لَمْ تُعِرْ هذه الناحيةَ الاهْتمامَ الذي نرى نحنُ اليومَ أنها تستحقُّه. فالمُعجميون العربُ في مُحاولاتهم جَمْعَ اللغة، حتّى في أوسَعِها، أهمَلوا جُلَّ ما اعتَبروه مُنافياً لِمَفْهومِ الفَصاحة الذي انْطَلقوا منه. فهمْ حصَروا الفصْحَى زماناً بعُصورٍ معَينة (ليس منها عصورُ الازدهار العِلمي العربي)، ومكاناً بجماعاتٍ مُعيَّنة (ليسَ منها جماعاتُ العِلم)، فحَرموا اللغةَ من الكثيرِ الكثيرِ من المُصطلحات التي ازدَهرت بِها عُلوم العربيَّةِ- بِحُجَّةِ أنَّها مُوَلَّدة أو أعجمية أو دَخيلةٌ أو معرَّبة.

ألا يُفاجِئُكُم مثلا أن لَفظة "الجَبْر" بمعناها الرّياضيّ، والتي أخذ الغربُ اسمَ ذلك العِلم منها، غيرُ واردةٍ بهذا المعنى- لا في "لِسان العرب " ولا في "القاموس " ولا حتّى في "تاج العروس "- مع أن كتابَ "الجبر والمقابلة" لمحَمَّد بن موسى الخوارِزمي (المُتوفّى عام 849 م) كان معروفاً ومُنتشراً أواسِطَ القَرْن التاسعِ الميلادي؟

وهكذا، كان على القائمين بتحرِّي المصطلحات التراثية في مجالات اختصاصاتهم الغَوصُ في كُتب التعريفات وفِقْهِ اللغة العلمية، من مثل:

1- رسالة في حدود الأشياء- للكندي .

2- إحصاء العلوم- للفارابي.

3- مفاتيح العلوم- للخوارزمي

4- المخصَّص- لابْن سِيده

5- كشاف اصطلاحات الفنون- للتهانوي.

6- نهاية الأرب في فنون الأدب- للنويري.

7- كتاب التعريفات- للجرجاني

8 - السلوك لمعرفة دول الملوك- للمقريزي

9- عجائب الآثار في التراجم والأخبار- للجَبَرْتي.

10- أبجد العلوم- لِصدِّيق حسن خان.

11- مُفيد العلوم- للخَشاء (وُينسب لأبي بكر الخوارزمي).

12- مقاليد العلوم- للمَنّاوي.

13- بحر الجواهر- للطيب الهروي، وغيرها.

وليس من السهل على الكثرة الكاثرة من هؤلاء، لأسباب متعددة، الوصولُ إلى مُبتغاهم في هذه المراجع. أنا مثلاً لستُ من مُستقرئي التراث- إلاّ في حدود حاجاتي المعجميَّة غالباً. وأذكر أني أقع أحياناً على ألفاظٍ لمفاهيمَ أستَغرِب كيفَ أن عُلماءَنا تجاهلوها أو رفضوها .

- مثلاً يرفضون " صمَد" بمعنى الجَلَد وقوةِ الاحتِمال- وهي فعلاً لا تُفسَّر في المعاجم التراثية،كفِعلٍ ، بهذا المعنى. لكنْ عندما تَقرأ "ناقة مِصماد" تكتشف أن معنى "الصمود" ليس غريباً عن اللفظة.

كذلك أذكر وقوعي على كلماتٍ يُمكنُ أن تؤدّي مَعانيَ ومَفاهيمَ لم يُتَّفَق عليها بَعدُ، مثل:

إثار مقابلbrassiere الإثار: شبه كيس يُشَد على الثدي حتى لا يتدلّى. (الوسيط) وتذريب مقابل toilet training (apprentissage de la propreté) .ذرّب — ذرَّبت المرأة طِفلها:حملته(على رجليها الممدودتين) حتى يقضي حاجته. (محيط المحيط).

ما من شَك أنّ إمكانيات التُّراث تظلُّ مَحدودةً على سَعَتِها وأهَميتها، لأسباب منها أيضاً أنّ عُلومَ العَصْرِ التي تُجابِهُنا بالآلاف المُؤلَّفة، بل بالملايين من المَفاهيم والمُصطلحاتِ اللازمة لها، هي مَفاهيمُ عِلْميَّةٌ جديدةٌ يكادُ عُمْرُ مُعظمِها لا يعود لأكثر من مئة عام كما إنّ الكثير من المُصطلحاتِ التي يَعْمُرُ بها التُراث،في العلوم التقليدية، بخاصة، قد وُضِعَ لها اصطلاحات ترسَّخت على مَدَى عِدَّةِ أجيالٍ من الاستعمال، وقد لا يكونُ من السَّهْل استيعابُها لِتُنافِسَ المُصطلحات التي استَقَرَّت. لكنْ نقولُ إن

مَصطلحات هذا التُراث يجبُ أن تَرى النُور؛ وسيكونُ فيها حَتْماً الكثيرُ مِمّا يُمكنُ الإفادةُ منه قياساً أو مَجازاً أو استعارةً أو تحوير مَعْنى- وكلُّها من وسَائل توليد المُصطلح المُتعارَفة. كما إن المُصطلحَ المُتميِّز لن يَعجزَ عن مُنافسةِ المُصطلح الأسبَق إن توافَرتْ فيه خصائصُ الدلالة والدِّقة والرِّقة، والعَيُوشيَّة . مثلاً، مُتَرجمو كلُوتْ بك والدكتور بيرون عربوا(peritoine) peritoneum"بَريطون" ، ثم جاء المُنقّبون في التُراث بمُصطلح صِفاق Siphac وهو لفظ لاتيني عربي الأصل ظلَّ يُطلَق على البريتونيوم في 25 طبعةً من معجم دورلند الطبي الشهير.

كذلك عرَّب المُترجمون لَفْظَ "الأُورطي"(aorte) aorta، وهو من المُعَرَّبات القديمة. ثم جاءَ المُنقّبون بعِدّةِ ألفاظ منها "الوتين"و "الأَبْهَر"؛ فشاعَ مُصطلحا الوَتين والأبهر، وانتقى المُعجمُ الطبيُّ الموحَّد مُصطلحَ "الأَبْهَر" كمُصطلح توحيد.

ولا أُريد تجاوزَ مَرجعيَّةِ التُراث كمَصدرٍ مُصطلحي دون أن أُشير إلى ضَرورَة ترقيَة الألفاظ العاميَّة، المُعبِّرة سَليقةً وذَوقاً، واعتبارها قِسماً مُهمّاً من التُراث اللُّغوي في هذا المَجال. فهي بالفعل كان لها دَورٌ في سَدِّ كثير من الثُّغرات في مُجابَهَة الفَيْض المُصطلحيِّ في هذا المجال — في مثل: بائكة وبَريمة وجُملون وحَوش وخَابور ودَبْش ورَصيد وزرَديَّة وشُنْبُك وسَوّاق وشَتْلة وصاج وصُوبة وعَوّامة وكَسْم ومَحْصَلة ومَكُوك ووَرْشَة — من الأسماء؛ ومن الأفعال: حَوَّش،ودَلَف،وقَرف،وحَوَّش، ومَلَخَ، وسَيَّب وشَوَّر، وغيرها كثير.وما أحْرانا،بكلمات الأستاذ مَحمود تيمور"أن نَعْرفَ لهذه الألفاظ حقَّها في العربيَّة تُثري الفُصْحَى وتكسِبُها مَزيداً من الدِّقَة و التَّعبير" (11).

2: من الوسائل التي مارسها العربُ في توليد ألفاظ تستجيبُ لمتطلّبات الحياة المتجدِّدة "المَجاز".

العربُ عَرَّفوا المجازَ بأنه ما تجاوزَ مَعناه الأصلي إلى غيره بقَرينة مُباشرة أو غير مُباشرة تدُل على ذلك. والواقعُ أنّ العربَ أبدعوا في هذا المَجال منذُ بداوتِهم الجاهلية- فهم مثلاً: نقلوا مَفهومَ الفَصاحة كَميزةٍ للّبن، الذي أُزيلَ رَغْوُهُ وبَقِيَ خالِصُه، إلى مَفهوم حُسْنِ الكلام وجُودَتِه؛ ونَقلوا مَفهومَ الشَّكّ من الوَخْزِ بشيءٍ دقيقٍ كالشوكة يُؤلِم الجسمَ إلى مَفهومِ التردُّد والحَيرة وعَدمِ اليقين مِمّا يؤلِم النفْسَ والعقلَ؛ ونَقلوا مَفهومَ الإبهام من الظلام الكثيف، لا يمكن فيه تَمييزُ الأشياء، إلى مَفهومِ الغموضِ واشتباه المقصود وعَدَم المفهومية؛ ونَقلوا مَفهوم البَلاغة من بلوغ غايةِ المَسير إلى مَفهومِ الإيجاز المُعجز الرَّصين والمَنطق الجيِّد؛ ونقلوا مَفهومَ المَجْد من امتلاء بَطْنِ الدابَّة بالعَلَف إلى معنى امتلاءِ حياةِ الشخص أو الجماعةِ بالمعاني النبيلة والفعلِ المكرُمي.

وليسَ أبلغَ من أثرِ القرآن الكريم على العربية في هذا المجال، كما في سِواه.فألفاظ مِثل:الإسلام،والقرآن، والإيمان، والجهاد، والحقّ، والباطل، والصَّوم، والرُّكوع، والصراط، والطهارة، والقُنوت، والعَرْش، وغيرُها كثير، كانت مَعروفة قبلَ الإسلام بمعناها اللُّغويِّ فقط قبلَ أنْ يتوسَّع القُرآنُ في دَلالاتها على مَعانيها الأُخرى.

ولم يَقِفِ المجاز كعامِلٍ في هذا السبيل طَوالَ تاريخ العربية، بل واكبَها باستمرار حتى إن بعضَ المَجازات- الشرعيّة والحضاريةِ والعلمية- غَدا حقائقَ لا يَرجعُ الذِّهنُ إلى أصلِها إلاّ بعدَ البَحث والتأثيل. فنحن اليومَ لا نفهم البريد (La poste) post مسافة بينَ مَنـزلَين من منازل الطريق، ولا الهاتفَ téléphone صوتاً يُسمَع دونَ أن يُرى صاحبه، ولا العدسةَ (lentille) lens حبَّة عَدَسٍ.

فالذهن يحملُها اليومَ على المعنى الجديد الذي اكتسبته ولازمَتْه. ومِثلُها طيف (spectrum (spectre، وذرَّة atom (atome)، وعُنصر element (élément) ودرَّاجة bicycle (bicyclette)، ومَصنَع Factory (usine ou fabrique)، وسيَّارة (voiture) car ، وطيَّارة (airplane (aeroplane، وبُندقيَّة(rifle (fusil، ومَصْرِف (bank (banque، ودبَّابة tank (char de combat ou tank)، وجريدة newspaper (journal)، ومجلة magazine (revue ou magazine) ، وانتفاضة (intifada)؛ أو كَبْرَق (telegraph) (للتلغراف)، ومُرسِل ومُستقبِل trasmitter & receiver(le metteur et récepteur) ، (في اللاسلكي)،وخَطّ line line (في مجالات متعددة).

وسِنّ (dent) cog or thread (في التُّرس المُسَنَّن)، ومكثف condenser (condensateur) (في الحرارة والكهرباء)،وتشخيص(diagnosis (diagnostic (في الطب والفنّ)، وسَلْبيَّة(négatif) negative (في التصوير والجَبْر والسياسة) ولسان tongue(languette) في النِّجارة والجغرافية)، وتصميم design (في الهندسة) ، ومئاتٍ غيرِها- نوَلِّدُها بترجمة المفهوم بلفظة ننقلُها من معنى قديم إلى معنى جديد، أو نصوغها في إحدى الصِّيَغ المُتعدِّدة التي تُناسب المَقام مَجازاً أو تشبيهاً أو استعارةً.

والمَجازُ، رُغمَ كونه مَرغوباً فيه أحياناً، فهو في مَجال التوليد المصطلحي مَحدودٌ من حيث إمكانية التوسُّع في استخدامه، ومن حيث إمكانية توافق أذواق المصطلحين في ارتجاله من تُراث غنيٍّ بالمترادفات أو شبه المترادفات–ولعل بعضنا لا يزال يذكرُ المِسَرَّة والإرزيز والسَّفير والنَّدي ثم الهاتف،للتلفون– ومن حيث طولُ فترة عملية الغربلة والاستقرارُ على واحدٍ من هذه المجازات، إذ استغرقَ الاستقرارُ على لفظة"هاتف" لتنافِسَ، لا لتطمِسَ، لفظة "تلفون" مثلاً قُرابة نِصْفِ قَرْن !- بل إن المعرَّبَةَ ما فتئت تأخذ مَوقعاً لها على ألسِنَتنا. فلا أذكر مثلاً أني سمعتُ أحداً يقول: "ذاهبٌ إلى مركز (أو دائرة) التلفون لأهتف، بل الكُلُّ يقولون "ذاهب إلى مركز الهاتف لأُتَلْفِن"!

3: التوليد بالاشتقاق– اللغة العربية متميزة في عَراقَتِها وقُدُراتِها الفريدة كلغة اشتقاقية من الطراز الأول، ففيها من وسائل الاشتقاق والقياس مرونة ومُطاوعة وسيطرةٌ على المعاني ما يجعلُها من أدَقِّ اللغات وأصلحِها للتعابير و المَفاهيم المختلفة.

في دراسة حول إمكانات الاشتقاق في اللغة العربية، يَذكُر الأستاذ حَسن حسين فهمي(12) خمسَ عشرةَ صيغةً للفعل- نَعْرِف منها **فعَل وأفعَل وفعَّل وفاعَل واستَفعَل وافْعَلَّ وافعالَّ وافْعَوْعَل وافعَوَّلَ وانْفعل وافتَعل وتفعَّل وتفاعَلَ وفَعْلَل وتفَعْلَل**– وكل منها له معنىً مختلف. فَمِن "كتب أو حَضَرَ"– لفِعْلٍ حَدث، نَقول: أكْتَبَ وكَتَّبَ، أو أحضر وحَضَّر للتعدية، وكاتَب وتكاتَبَ للمُشاركة، وحاضَر وتَحضَّر فيما يتعلق بالمحاضرة والحضارة، واستَكْتَب واستحضر للطَّلب،وأحياناً للصيرورة كما في استَحْجَر، واكْتَتَبَ للمُساهمة وانكَتَب للمُطاوعة وتكَتَّب للمُبالغة؛هذا عدا عن صِيَغِها لِلْمجهول، مِثلِ كُتِبَ وأُحضِر واكْتُتِبَ واحتُضِر.. إلخ، ممّا لو أرَدْتَ ترجَمَتَه إلى لُغَة أجنبية لا تقتضي أداؤه جُملةً كاملةً في عِدَّة كلمات.

ومن كُل صيغَة من صيغ الفعل هذه يُمكن اشتقاقُ مصادرَ بأوزان مُتعدِّدة- **فَعْل ومَفْعَل وفَعوليَّة ومَفعوليَّة ومفعالية ومفْعليَّة**؛ وصفات بأشكال مُتعدِّدة- **فَعيل وفَعول وفَعِل**؛ واسم آلة بأوزان مُتعدِّدة- **مِفْعَل، ومِفْعَلَة، ومِفْعال، وفاعول، وفَعّالة وفاعولة.**

بالإضافة إلى اسمِ الفاعل واسم المَفعول واسم المَرَّة واسم الهيئة [13] واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم المِهْنة عدا عَشَرات الأوزان اللامُصنَّفة في اللُّغة مثل سِجلّ: فعِلّ، وتمثال: **تِفْعال**، ومِعْوَل: **مِفْعَل**، وعُشْر: **فُعْل**، ورَقُول: **فَعُول**، وجَيْشان: **فَعْلان**، ونُتْفَة: **فُعْلَة**، ومَزلقان: **مَفْعلان**، وصُداع: **فُعال**، ورَمَد: **فَعَل**، وحُثالة: **فُعالة**، ومُصَيْطبة: **مُفَيْعلة**، ومُغَيزل: **مُفَيْعل**... وغيرها، بحيث لن يَقلّ عددُ الألفاظ التي يُمكن اشتقاقُها من كُلّ فعْلٍ عن مئتَيْن، وقد يَزيدُ على الثلاثمائة- لا نستَخدِمُ منها بشَكْل فاعِلٍ أكثرَ من ثلاثين.ويبقى المجال مُتاحاً للإفادة من المزيد من هذه الصِّيَغ المُختلفة لأداء معان مُختلفة.قديماً قيل:زيادةُ المعاني في زيادة المباني، وبالمَنْطق ذاته يُقال:واختلافُ المعاني في اختلاف المَباني.

اللُّغَة العربيَّةُ لُغة اشتقاقية من الدرجة الأولى- وهي إلى حَد إلصاقية أيضاً،فالزيادات بالهمز أو التضعيف أو ألف المشاركة أو ياء النِّسْبَة هي في الواقع اشتقاقات إلصاقيَّة بَدْئية أو وسطيَّة أو إلحاقية؛كما إنّا نَلْحظُ تَقبلا مُتزايداً لإلحاقات مُنْفَصِلة مَعقولة من نوع التركيب،مثل: فَوق بَنفسجي أو فَوق سَمْعي وتحت تُربي ولاسلكي وعَبر فَضائي وما وَرائي... إلخ.

وللدلالة على مدى فاعليَّة الاشتقاق في توليد المُصطلحات أشير إلى دِراسة إحصائية للدكتور وَجيه عبد الرّحمن على 30 ألفَ مُصطلحٍ في معاجم الطبِّ والتشريح لاحظَ فيها حضرتُه أنَّ توليدَ هذه المُصطلحات كُلّها تَمَّ بالاشتقاق من 150 جَذراً فقطْ إضافةً إلى أعضاء الجِسْم.

فاللُّغةُ العَربيَّة بجُذورها التي تُقاربُ السِّتَّةَ آلاف [14] لَنْ تَعْدَمَ مُطْلَقاً فيضاً من الألفاظ لتغْطية مُختلف المصطلحات. أضفْ إلى ذلك أنّ إمكانيةَ الاشتقاق تقعُ أيضا على غيرِ الجُذور العربيَّة؛ فقديماً قالوا: زوَّق بالزاووق (الزئبق)، وتزَنْدَق من الزَّندقة؛ فقلْنا نحن قياساً أكْسَج وهَدْرَج وكَبْرتَ وغَلْفَن وكَهْرَبَ، وغيرُها كثير.

● قديماً وحديثا، اختلفَ النَّحْويون حولَ قياسيَّة القياس، فارتأى فريقٌ منْهُم التوسُّعَ فيه لِمنحِ اللُّغة قُوةً وقُدرةً على مُجاراة المُستَحْدَثات العلمية والحضارة المتَسارعة، بينما ربطَهُ فريقٌ آخَر بالسَّماع. ونحنُ نَميل إلى الأخذ بالرأي الأوّل- رأيِ المَدْرسة الكوفيَّة.

فكما قال العرب في المُشتَركَة في الجِنْس: مُتجانسَة، والمُشتَركة في الشكل: مُتشاكلة، والمُشتَركة في السَّمت: مُتَسامتة، والمشترَكة في الشَّبَه: مُتشابهة،

نَقُول نحن قياساً- المُشتَركة في الكُتلة: مُتكاتلة، والمشتَركة في المكان: مُتماكنة، والمُشتَركة في الجُهد: مُتجاهدة، والمُشتَركة في الطاقة: مُتطاوِقة.

● صيغة "مستَفعَل" استخدَمَها العربُ بمَعنى الناتج من فِعْلٍ أو عَنْه- فنقُول في مُنْتَجٍ كيماويّ أو طِبّي product (produit) مُستَحْضَر،ونَقُول في ناتجٍ مُستدَرٍّ من اللبن emulsion مُستَحْلَب.لكنّك إن قلتَ في ناتج خَلْطِ ذرورِ مادة لا تذوبُ في الماء " مُستَعْلَق " مقابل suspension يستَهجنوها. وهذا ما أخذه أحدُهم عليّ فعلاً وهو يُناقِشُني في صَلاحيَّة هذا المصطلح، حتى إنه استخدمَ التعبير الإنكليزي obscene أي مُنافٍ للحشمة في وَصفه، مما جعلني أتردّدُ، بادئَ ذي بَدْء، في استخدامِ هذا المُصطلح، لكنّ كوفيَّتي في القياس سوَّغَته. ومعَ الزَّمن والتكرارِ صِرْتُ أستَسيغُه، وكذلك استَساغَة كثيرون واستَخْدموه في هذا السِّياق.

● " الصفَةُ المشَبَّهة "فَعُول" لم يتَّفِق جَمْهَرةُ النُّحاة على قياسيتها بمَعنى" صالحٌ لــ" أو "قابل لـــ" أو"من طَبْعه أن" أو "في وُسْعِه أن" (فيما يُقابلُ الكاسِعة able -أو أحدَ شكلَيْها الآخرين ible-ble-)وكان مجمعُ اللغة

العربية اتخذ قراراً بترجمة هذه الكلمات بالفعلِ المُضارع المَبْني للمَجهول (15)– فيُقال:

يُذاب مُقابل soluble،ويُطرَق مُقابل malleable، يُغسل مقابل(lavable) washable ويُباع مقابل (vendable) marketable ، ويُصْهَر مقابل fusible، ويُختَّر مقابل coagulable، ويُنقل مقابل transmissible، أو(mobile) movable. .... إلخ.

والمعجمُ العربيُّ مُقِلٌّ في هذه الصِّيغة بهذا المعنى فعلاً – لكنْ هنالك أمثلةٌ كافيَة، نَذكُر منها: بَيُوض، جَزوع، حَنون، خَضوع، ذَلول، رَقُوء،سكُوت، فخور، عَبُوس، غيُور، قَنوع، كَفور،لَجُوج،نزوع،نَصُوح، نفور، هَتون، هَلوع، ولَود، يَؤوس(16) –مِمّا يُمكِنُ اعتبارُه مُبرِّراً لِقياسيَّة هذه الصيـــغة– فنقول:

في soluble ذَؤوب ، وفي malleable طَروق ، وفي washable غَسُول، وفي marketable بَيُوع ، وفي fusible صَهُور، وفي coagulable خَثُور، وفي transmissible أو movable نَقُول.

كما نقول: خَلوط ومَزوج في miscible ، وَصَبُون في saponifiable ، وَرَسُوب precipitable ،وَعَجُون في kneadable ، وسَحُون في pulverizable، وقَسُوم في divisible، وسَدُود في imperméable، ولَهُوب في flammable ، وصَبُوغ في stainable،ومَرُون في flexible ، وغيرها كثير.

ولعل قياسيَّةَ "فَعول" في عَشَرات الألفاظ التي تتقبَّل هذه الصيغة (17) تُفيدُنا في اشتقاقات أُخرى تَتْبعُ هذه الصفة كما في صِياغة المصدر الصناعي. فقد كان من قَرارات مجمعِ اللغة العربية، الملحقة بقَرار ترجمة الكلمات المنتَهية بـــ able– بالفعل المضارع المَبْني لِلمَجهول، أن يُتَرْجَمَ المصدرُ الصناعي منها بصيغة "مَفعولية"، فيُقال:

في solubility مَذوبيَّة، وفي movability مَنقوليَّة، وفي fusibility مَصهوريَّة، وفي malleability مَطروقيَّة – رُغْمَ التناقضِ الظاهر في أن يكُون الاسمُ:

من يذاب soluble مذوبيَّة solubility، ومن يُنقل movable،منقوليَّة movability ومن يُطرق malleable مَطروقيَّة malleability–

ممّا دعا بعضهم إلى مَنطقَة القرار الأوّل بصياغة هذه المصادر على وزان "يُفْعَليَّة" – يعني أن يقال:

يُذابيَّة حيث قُلْنا ذؤوبيَّة من ذؤوب، ويُصْهَريَّة حيث قلنا صَهُورية من صَهور، ويُطرقيَّة حيث قُلْنا طَروقيَّة من طروق، ويُنْقَليّة حيث قُلْنا نَقُوليَّة من نَقول.

4 : ومن وسائل توليد المصطلحات أيضا، وهو نادر، النَّحت.

والنَّحتُ في اصطلاح الصَّرفيين هو أن يُختَصَرَ من كَلمَتَيْن فأكثر كلمةٌ واحدة؛ ولا يشترط فيه حفظُ الكلمة الأُولى بتَمامها بالاستقراء، ولا الأخذُ من كُلّ الكلمات، ولا مُوافقةُ الحركاتِ والسَّكَنات.

وبعضُهم يَرتئي أنّ للنَّحتِ جُذوراً بعيدةً في تاريخ تطَور اللغة، فيُعيدون "صَلْدَم"، وهي في اللغة، "الصُّلب المتين والشديد الحافر من الدواب"، إلى صَلْد وصَدْم، و"قَصْلَبَ" إلى قويَ وصَلُبَ، و "هَرْوَلَ" إلى هَربَ ووَلّى، و "بَعثَر" إلى بعَثَ وثار، و"دَحْرَج" إلى دحرَ فَجَرى– وإن كُنا نعتبر اليومَ أن هذه ألفاظ معجَميَّة سليمة لا منحوتات.

نحن ألفنا النَّحْتَ، بالتعريف المذكور أعلاه، في تعابيرَ وزانَ "فَعْلَل" شاعَتْ كثيراً أو قليلاً مثل: بَسْمَل في قال: بسْم الله الرحمن الرحيم، وحَيْعل في قال: حَيّ على الصلاة، وحَمْدَل في قال: الحمد لله، وصَلْعم في قال: صلى الله عليه وسلّم، وحَوقَل في قال: لا حولَ ولا قوّة

إلا بالله، وفَذْلك في قال: فذلك هو كذا،

وفي تعابيرَ من الوَزْن نفسِه لم تشِعْ، مثل: مَشكَن في قال: ما شاء الله كان، ودَمعَز في قال: أدام الله عزَّك، وطَلْبَق في قال: أطال الله بقاءَك، وكبْتَع في قال: كبَت الله عدوَّك.

وخلالَ القَرْن الحاليّ دخلَ اللغةَ، العِلْميَّةَ بخاصة، عشرات من هذه المنحوتات، بشكل تركيب مزجي، لاقى بعضها رواجاً ومَقبوليةً، مثلُ الصفات:

برمائي في amphibian وشِبْغَروي في colloid، وكهْرمغنيطي في electromagnet وكهرضوئي في photoelectric، وبتروكيماوي في petrochemical، وجيوفيزيائي في geophysical ، أو كالأفعال والأسماء المَصوغة منها مثل:

تَشاكَبَ وتشاكُب في تشابُه التركيب، أو تماكبَ وتماكُب في تماثُل التركيب،وتشاكَل وتشاكُل في تشابه الشكل، وحَلْمأ وحَلْمأة في التحلّل بالماء.

وهي قليلة لا يَخفى مَعناها وتركيبُها على القارئ، بخاصة في السياقَ المناسب.

وكان من الطبيعي أنّ الكثيرَ من المَنحوتات الغريبة المُبهَمة لم يَلْقَ رواجاً، فماتَ في مَهده، مثلُ الأفعال: حَرْصَم في حرّر من الصمغ، وصَلْكَل في استأصَل الكُلوة، ونَزْوَر في نزَع الورق، وحَلْكَل في حلل بالكُحول،وزَهْرَج في أزال الهِدْروجين؛ ومصادرِها مثلُ: حَرْصَمة ونَزْورة وزَهْرَجة وصَلْكَلة وحَلْكَلة. ومثلُها شِبْلَري وشِبْلَريات من شِبْه بلّوري، وشارسيَّة في شارِدَة سلبية، وغشجنيّات في غشائيات الأجنحة Hymenoptera، وسَمْبَصي في سمعي بَصري audiovisual، ومافوسَجية في ما فوق البنفسَجيَّة، وغرائب أخرى مثلُ "قصبَر سَغقَدمي " في "قصبي رسغي قدمي". وكُلُّها مِمّا يستَغلِقُ فيه المَعْنى ويَمُجُّه الذّوق.

فالعربُ المَشهورون بفصاحتهم وسلامَة سَليقتِهم لم يَستَسيغوا مثلَ هذه التراكيب. وهذا يُفسّرُ ندْرةَ استِخدام النحت قديماً وحديثاً في صياغة المُصطلحات، حتى إنّ بعضهم يُقدِّرُ أن المَنحوتات الشائعةَ الناجحةَ في العربيَّة لا تتجاوزُ المئة عَدّاً (حوالي 05 و 0.0%).

منذُ حوالي رُبْعِ قَرن كان الدكتور محمد حسين كامل، من كبار المجمعيِّين في مصر، مُتضايقاً من بَرمائيّات، وفَضّل عليها استِعمال المعَرّبة "أمفيبيا" ؛ ولا أعتقد أن الكثيرين منا الآن يتخذون هذا المَوقف.

على كُلٍّ، النحتُ بهذه الوسيلة كانَ وسيَظل في تَقديرنا نادرَ الاستِخدام في صياغة المصطلحات. ففي إحصاءِ أجراه الدكتورُ وجيه عبد الرحمن شَمل ثلاثةَ معاجمَ صَدرتْ عن مَكتبِ تنسيق التعريب-أولُها في الفيزياء(تعدادُ ألفاظه 5126)، وثانيها في النّفط (تعدادُ ألفاظه 3802)، وثالثُها في الطب تَعدادُ ألفاظه 2305)- لم يجِدْ سوى ثلاثَةَ عشرَ مُصطلحاً صيْغَت بالنَّحْت [18].

ولعلّنا نَزيدُ هذا العددَ كثيراً إذا اعتبَرنا التركيبَ المَزجي بالإلصاقات المُنفصِلة ضَرْباً من النحت في مِثل لاسلكي ولا أخلاقي ولا شعوري ولا أذريّة ولا ساميَّة وأمثالِها. أو مثل فوق سَمعي وفوق بنفسَجي وفوق صوتي وفوق إشباعي وفوق مِجْهَري وتحْت تُربي وما ورائي وأمثالها.

وقبل أن أترُك سبَيلَ النَّحتِ بشكْليه الاختصاري والمَزجي، أُشيرُ إلى ضَربٍ جديد من النحتِ الذي يَمْزِج ألفاظاً أعجميَّةً أو مُعرَّبة- مثل بارامِغنطيسي ودايامغنطيسي ومِتافيزيقي؛ وقد نجِدُ لها مبررا؛ أو يَمْزِج ألفاظا أعجميَّة مع أخرى عربية مثل: جمالوجيا في estheticsوفِكرولوجيا في ideology. ونَترُكُ الحكمَ على مِثل هذه المنحوتات الجريئة للزمَن؛ فالزمنُ والاستِعمال

كثيراً ما يَصقُلان ما لا يألَفُهُ الذَّوقُ آنيّاً- فيُصبحَ مُستَساغاً مَقبولاً تالياً.

نحنُ اليومَ نستثقل مَثلاً أن نَنْحتَ من "حراري نووي" مقابل thermonuclear مُصطلح "حَرَنوي" - مثلما نقول "كهرضوئي" و"كهرمائي " و" بتروكيماوي". ولعلَّ الوَضْعَ يتغيَّرُ مستَقْبلًا حين تشيع محطاتُ الطاقة العامِلة بالحرارةِ النووية فيروجُ مصطلح "الحَرَنويّة".

5 : أما إذا تعذَّر وضعُ لَفظ عربي سَليمٍ مُناسب يؤدي مَفهومَ المصطلح الأجنبي بأيّ من الوسائل السابقة- لا تقصياً من التُراث ولا مَجازاً أو اشتقاقاً- وهو واقع لا يستطيعُ العارفُ بآفاق العِلْم والتّقانات إنكارَه، فَيُصارُ فيه إلى التعريب.

والتعريبُ الذي أقصده ليس "التعريبَ" الذي هو مَطْلَبُنا إثر استبدالِ لُغات أجنبيَّة باللغة العربية في تدْريس الطِّبِّ والهندسة وموادِّ العلوم الأخرى في معظم أرجاء الوطن العربي- بل ما أعنيه هنا هو التعريبُ بمَفهومَي الترجمة والاقتراض خاصةً.

في الواقع، التعريب بمَفهومَي التَّرجمة والاقتراض، يُلخِّصُ قضيَّتنا مع المَعارفِ الحضاريةِ المتجددة ومُصطلحاتها، اليومَ كما عَبْرَ تاريخ العربيةِ الطويل- هكذا كان على مدَى تاريخِ اللُّغات في صِراعها مع الحضارات، وهكذا هو اليوم. والعربيَّة ما شذَّت يوماً عن هذا رُغْمَ ما يُبديه بعضُهم من التخوُّفِ على جَوهَرِ العربيةِ وجَلالِها من تَعريبِ الاقتراض. طبعا العربُ، قَبْلَ الإسلام وبعدَه، عَبْرَ احتكاكِهم بالحضارات المختلفة، اكتَسبوا من الحضارات الأخرى وأكسَبوها مَعارفَ وأفكاراً في مُختلف مَناحي الحياة بِحصيلتهم اللُّغوية الذاتيّة؛ ولكنَّهم أيضاً اكتَسبوا من الحضاراتِ الأخرى معارِفَ وأفكاراً في مُختلف مَناحي الحياة مع مُقترَضات لغَوية زادت من ثَراءِ لُغتهم ومن قوَّتها التعبيريَّة في مَجال المَعارف المكتَسبة وغيرِه من المجالات.

وهكذا اكتسبَت اللغةُ العربيَّةُ مئات الألفاظ الدَّخيلة التي هضَمَتْها في كُتُبها وآدابها حتى لَيَبْدو الكثيرُ منها مثل أُستاذ وبَخور ودَواة وقلَم وسَيف وصِراط وقِنديل وكوفيَّة ومِسْك ويَمّ، وغيرِها، عربيَّ النجارِ أكثرَ من كثيرٍ من الألفاظ العربيَّة العريقة الحسَبِ والنسب.

هذا التعريبُ،أو ما وَصَفْناهُ سالفاً بالتعريب الاقتراضي، لم يُرهِب العُلَماءَ العربَ الذين كانوا يُريدون العربيةَ لُغةً لأهلِ العلم كما هي لغة للعموم. فالذي يُراجعُ كُتبَ المُفردات، يَجدُ- كما يُخبِرُنا الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس جمعية المُعجمية العربية بتونس حاليّاً، أن نسْبةَ الألفاظ المُعَرَّبة في كتاب"الجامع لابن البيطار" تؤلِّف 46% من مُفرداته، وفي " كتاب الأدوية المُفردة لأبي جعفر الغافقي" حوالي 65%. أولئك العُلَماءُ لم يخلطوا بين ما هو من صُلْب اللغة، أو ما يتوقعون صَيرورتَه من صُلْبِ اللغة- كَونَ أهلِ اللُّغة كلِّهم يَشتَركون فيه، وبين ما هو لُغة لأهل العِلم خاصَّةً-. فعَرَّبوا ببالغِ الحِرْصِ والانتقائية في الأوَّل، حتّى لتكادُ تَغفلُ عن كَونه معَرباً، في حين عَربوا بلا تَحفُّظ في الآخَر، من مثل:

أنولُوطيقا وغُنطازْيا وإسطَقس وأرِثماطيقا وجيُومَطرى وكَتيغورياس (في الفلسفة والرياضيات)،

وبوريطُس ومَرْقَشيتا وبَطْراليون وخَلْقيدون (في الكيمياء)،

وبَريطون وقُولون وبَنْقراس ومَساريقى (في الطب)،

وإطريفِل وقَنْطَريون وطَرَخْشَقون وفَرْبيون وبوغَلْص (في النبات)،

وبَطْلينوس وقَبّيون وطَرَسْتوج (في الحيوان)، وغيرُها كثير.

وقد نَسجَ رُوّادُ النهضة الحديثة في غالبيتهم على منوال القُدَماءِ في تَوليد المُصطلحات.

فعرَّبوا ،ترجمةً، المُصطلحاتِ التي يحتاجُ فَهمُها وفَهْمُ مَدْلولِها العِلمي إلى فَهم أصلِها ومعناها اللغوي- بخاصّة تلكَ المُصطلحاتِ التي تفرِضُ نفسَها على التداول الشعبي، لا في مجالات العِلم فقط، بل في مختلفِ مَجالات الحياة- مِن قبيل:

ذرَّة مُقابل atom، وطاقَة مُقابل energy، وجزيء مقابل molecule، ومناعة مقابل immunity، وقدرة مقابل (puissance) power... الخ.

وعرَّبوا اقتراضيّاً، في جَوّ من الاعتراضات يَخْفُتُ حيناً وَيشتَدُّ حيناً، في ما سِوى ذلك من أسماءِ كيماويات جديدةٍ وأسماءِ أجـنـاسٍ وأنواعٍ ومصطلحاتٍ عاليةِ التخصّص في الهندسة والكهرباء والإلكترونيّات. وكُلُ فئة من هذه، كما لا تجهلون، تعَدُّ بالملايين.

والجديرُ بالذّكر أن هذه الملايينَ من الألفاظ لا يدخُلُ منها عادة إلى صُلْبِ أيِّ لغة إلاّ القليلُ القليل ممّا يَشيعُ استخدامُه في الحياة اليوميَّة. والشاهدُ على ذلك أنَّ مُعجَم وِبْستَر الدولي الثالث الذي يَستغرقُ اللغةَ الإنكليزية في قُرابةِ نِصْفِ مليون مَدخَل لا يُوردُ من ملايين هذه المُصطلحاتِ المتخصصة سِوى بِضعَةِ آلاف.

نحن مثلاً لا نستوعبُ معنى immunity إلا بمُصطَلح "مَناعة "- المقابلِ العربي الذي نَفْهم مَدلولَه من مَعناه، كما لا نفهمُ impedance دونَ المُقابل العربي "مُعاوَقة"، ولا نَستَوعب أسرار الـ gravity دونَ المقابلِ العربي (جاذبِيَّة).

لكنّا لا نَحتاجُ إلى مُصطلح عَربي **كالـمُصدي،** لِمَعرفة الأكسجين،أو **الطاسِل** لمعرفة الإيثان، أو **الشذام،** لِمَعرفة الصوديوم، أو **المُقرِم**، لمعرفة اليُود،أو **الخَطوط** لمعرفة الغرافيت، أو **الضوّاء،** لمعرفة المغنسيوم، أو **الجائل** لمعرفة البيُوتان، أو **المُميه** لمَعرفة الهدروجين؛ ولا حتى **المُحوِّز** لِمَعرفة الترانزِستور، أو **علم الهَلك** لمعرفة الجيولوجية، أو **المشواف والرائي** لمعرفة التلفزيون- وهي مُصطلحات خَلَقَها الصَّفاويُّون المتحمِّسون عاطفيّاً لجَلالِ اللُّغة المَوهوم في مُحاوَلاتٍ لتحميل التعريب، ترجَمةً، ما يتجاوَز إمكانيّاته. فلم يأتوا بأكثَرَ مِن ألفاظ ساذَجة ضَبابية- رُبّما عربيَّةُ الجَرْس، لكنّها خاويةُ المَعنى؛ وغالباً ما تكونُ مُضَلّلةً بعيدةً عن الدِّقة العلمية. المُهم ليسَ عربية الكلمة أو أعجميتَها- المُهمُّ هو لياقتُها ومَقبوليتها، ودقّتها.

أحدُ المُصطلحيِّين عَبَّر عن هذا الموقف بقوله: "إذا حُرِمتُ الولَد، وكان علي أن أتبنّى،فإني أفضل الطِّفلَ الأجنبي السَّليم على العربي الأكْتَع".

والذين يَطلُبون التعريبَ الشاملَ ترجمةً، ويعارضونه اقتراضيا، إنّما يطلبون ما هو غيرُ عمليّ وغير مُستطاع- لا في اللغة العربية ولا في سِواها. وهم، مِن حَيثُ لا يَدرون، يسهِمون في عَرقلة مَسيرة الفكر العَربي والعِلمِ العرَبي والإبداع العربي؛ ويُعطونَ أعداءَ العربية حجة مُستمِرةَ التجدد لإعاقة تعريب التعليم بانتِظارِ أن تتوافرَ له المُصطلحاتُ وتتكامَل.

وليسَ بالضرورة في التعريب الاقتراضي هذا إلزامُ المُصطَلَح المعَرَّب بالأوزان العربية وقَصْره على الحروفِ المَوجودَة في العربية. فتَغييرُ الكلمة الأجنبيّة قد يُفسِدُ نظامَها وَيُخِلُّ بمعناها ومَدلولها، فتَغدو غَريبةً- لا فَصيحةً تُرَدُّ إلى أصلٍ عَربي، ولا أجنبية يتجَلى لها وجه في لُغتهـا الأصلية- فَيَضيع الغَرض الذي لأجله عُربَت. ولا أستغرِب أن اتفقَ علماء العَربِ القدامى والمحدَثين على ذلك- من سيبويه وابن بَرّي وأبو حَيان وعبد القادر البَغدادي إلى إبراهيم مَدكور وعبّاس حسن وصبحي الصالِح.

فمثلاً، كثرةٌ من المسَمَّيات المُعرَّبة تبدأ بالساكِن، مثل غْرافيت وتْرايود وبْروتون وكْلور وسْبكْتروسكوب، أو من أسماءِ الأشخاص، سْميث وجْيوفاني وبْراون وفْلمنغ..

إنَّ إضافةَ الألفِ التي يزيدُها بَعضُهم، أو تحريكَ الحرفِ نَفْسِه هما تَحريف لا مُسَوِّغَ له يُبعدُ مَنطوقَ اللفظ عن مُسَمّاه. فَـ Brown مثلا هو بْراون- لا إبراون ولا بُراون ولا بِراون أو بَراون.

كذلك لا نلْزِمُ المُسَمَّى المُعرَّبَ بقاعدةِ عَدم التقاءِ الساكِنَيْن- سَواء اقتَصرَ الأمر على ساكِنَين اثنَين أو عدة سَواكِن- فَنقول رُنْتجن وباونْد وبُويْل وشارْلْ وكِنْغستون.

والذين يُعرِّبون قَصْراً على الحروف العربية، كثيراً ما يُخِلُّونَ بمعنى المُصطَلَح المُعَرَّب ومَدلوله. وهذا يَطال غالباً الأحرف ب (p)- فيُستبدَل به ب، وڤ (v) فيُستبدَل به حرف ف وَ (g) فيُستبدَل به جـ أو غ، وهذا يتنافَى أحياناً مع الدِّقة العلميَّة- و إلا كيفَ يميز عُلَماؤنا في الطِّب والفيزياء والكيمياء مثلاً بين بيتا (beta) الإغريقية مقابل ألفا وغاما وبين بيتا (peta) التي تعني 10^{15} وَمُشتَقّاتها المُتعَدِّدة؟ أو بينَ barotitis التهاب الأذن الضغطي وبَين parotitis التهاب النكَفية، أو بينَ بُورون (التي هكذا عَربها المعجمُ الطبي المُوحَّد مُقابل purone أحد مُشتَقّات حامض اليُوريك، وبين العُنصر المعروف البورون boron أو بين كريْبسKrebs عالِم الكيمياء الحيوية وكريْبس Cripps السياسي والقائد الاجتماعي وكلاهما بريطاني ويحمل لقب سِير، أو بينَ ڤانيلا Vanilla وفانيلا Flannel... أو بينَ ستيڤِنْسون مُخترع القاطِرة وستيفِنسون المُرتبطِ اسْمُه بآلات الرصْد الجَوي... إلخ. ومِثلُها ڤيتامين وأمپِــير وڤازلين ويجول وڤلط (والواقعُ أنَّ رَجلَ الشارع يلفِظها هكذا). وتصَوّروا ما يَجرُّه ذلك من مُفارَقات في أحدِ معاجمنا العربية حيث يُفَسر اللفظ غرام بما يلي: الغَرام: الوُلوع والحُبّ المُعذِّب والهلاك، ووَحدة الوزن في طريقة القياس المتري.

وألفتُ كذلك إلى ضرورة إيجاد وسيلة خَطيَّة لِرَقْنِ حَرفَي الواو والياء كَي يُلفظا بالشكلِ الصحيح في المُسَميات المُعرَّبة- فَنميِّز بذلك بين لفظ الواو رقيقةً في مثل جُول Joule وبُول Boole وكُوري curie وبين لَفظها مفخمةً في تُور Torr وهُولHall وبُور Bohr وبُول paul. كما نُميِّزُ بين لفظ الياء نَحيلةً في بيرد Beard وجين Gene وويڤر weaver و لَفظها مُضخَّمة مُمَالةً في بيرد Bird وجين Jane و ويفر Waver [19].

ولا أنسى قائمةَ المرَكَّبات العُضوية الطويلة جداً التي اضطُررنا إلى لَفظها بالألف، فَرنسيّاً، في ميثان methane وإيثان ethane وبروبان propane وبيوتان وبنتان... إلخ، لِكَي نميِّزَها عن إخوتها اللامُشبَعة في ميثين methene وإيثين ethne وبروبين وبيوتين... إلخ.

بهذه المُعطَيات في المَجالات العلمية تُصبحُ أبجَديَّتنا، وبالتالي لُغَتُنا، قادرةً على استيعاب المُسَمَّيات العلمية على اختلافِها بصورةٍ مُؤدِّية - لعَلها تَفوقُ قُدرةَ الكثيرِ من اللغاتِ العالَمية في هذا السِّياق.

والمواصفاتُ المُصطلحية السليمة تقتضي تفضيلَ اللفظة على العبارة. فمثلًا لا نَعتبرُ عبارةَ "عدّاد أو جهاز قياس عمق ماء الآبار" مقبولةً مقابل bathometer ، والمُصطلحُ المُفضَّل هو معماق؛ كما لا يَصحُّ مصطلح فُتحة بُركانية تخرجُ منها الغازاتُ الحارة والبُخار مقابل fumarole، وإن صحَّ هذا أن يكون شرحاً لمُصطلحٍ أفضلَ، مثل نافثة. كذلك لا يُقبل أن يقال مقابل sublimation تحوُّلٌ من صُلْب إلى بُخار مباشرةً بدل

التصعيد أو التسامي، ولا مُقابل interface "السطح الفاصل بين سطحَين غير قابلين للامتزاج" بدل "السطح البيني". ولا "عاملَ فقدان الرطوبة وتسبُّب الهشاشة في النبات، مقابل wilting coefficient أو wilting point بدل معامل الذُبول.

وتقتضي المُواصفات المصطلحيَّة السليمة أيضاً تَفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمَحُ به- مما يُسَهِّل النسبةَ والإضافة والتَّثْنية والجَمع، مثلاً:

قابليّه المَطل صَحيحةٌ مُقابل **مَطُوليَّة** ductility ولكن مَطُوليَّة أفضل لصَلاحيتها للاشتقاق: مَطل، يَمطلُ، مَطول، لا مَطول، إلخ. تابع صُنْعي أو قمَرصناعيّ صحيحة مُقابل satellite ، لكنْ ساتِل تَفضُلهما مِن حيث قابليتها للاشتقاق، وهكذا.

● ومهما تَكن وسيلَتنا إلى المُصطلح- عوداً إلى التراث، أو الارتجالَ مَجازاً، أو الاشتقاق قياساً أو النحتَ تركيباً، فالمواصفاتُ المصطلحيَّة السليمةُ تَقتضي الدقّةَ الفائقةَ في أن يحملَ المصطلحُ مَفهومَ مَدلوله، ويُوافقَه مَعنىً وبِنيةً؛ وهذا يتطَلبُ، بادئَ ذي بدء، أن يستوعِبَ المُصطلِحُ أو المصطَلِحون مَفهومَ المُصطلَح لغَويّاً وموضوعيّاً قبل أن ينقُلوهُ لنا من لُغتِه الأصلية إلى العربية. فلا يعطونا الاسم صفةً مثل.

مالح جداً مقابل brine بدل (ماءٌ ملح) أو ثنائي الأعراس (الأمشاج) مقابل dichogamy بدل ثُنائيّتها، ولا الصفة اسما مثل هواء جاف مُقابلair-dry بدل هوائي التجفيف؛

أو مادة منقولة مُقابل allochthonous بدل "دخيل (أو جليب) النشأة "،

أو رسوبات توضُّعية متبقية مُقابل autochthonous بدل مكاني النشأة ».

ولا يخلطون لنا الصفة بالموصوف كقولهم: وسائد اللاڤا مُقابل، pillow lava بدل لافا وسادية. أو كتل اللاڤا مُقابلblock lava بدل لابا كُتليَّة؛ ولا يترجمون لنا مُصطلحات مثل codan بـــ مِكواد ظنّاً أنه اشتقاق من code- واللفظة في الواقع تركيب من أوائليات الكلمات Carrier- Operated Device Anti-Noise: مضائلةُ تشويش تُشغلها الموجة الحاملة، تعريبُها كودان أفضل.

ولا يترجمون لنا المُصطلحَ في غير سِياقه: فَيَضيعُ المَفهوم كقولهم غسّالة مُقابل washer في سياق فَلكة "رونديلة" جلدية أو معدنيَّة؛ أو استثمار مُقابل investment في سياق الصَّب الكُسوي أو الإحداقي في investment casting(cire perdue «casting » أو شُروط مُقابل ظُروف فيgeological conditions – هذا إذا لم يَتعدوا بالمُصطلح عن مَفهومة أو حتى يَعكسوا فَحواه كأن يُقال:

تحكُّم بالطحالب Algae control لِمَفهوم مكافحة الطحالب، أو قابل للتآكل مُقابل corrosive هي بدل أكّال، أو نواتج النفايات waste products بدل نواتج أو منتوجات فَضَلانيَّة،أو مرفأ طين الحفر mud portبدل فتحة طين الحفر،

أو لَوي أو تحريف الأنبوب مُقابل pipe wrench بدل مفتاح (ربط) الأنابيب! فحَدِّث ولا حرج.

● يا سادتي، حتى الدقةُ اللُّغويةُ وحدَها لا تكفي في مجال وضع المصطلحات.

صحيح إنّ بعض المُصطلحات يوضَعُ أحياناً لِمجَرد وُجود مُناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومَدلوله الاصطلاحي، وأنه لا يُشترَطُ في المُصطلَحِ أن يَستوعِبَ كُلَّ معناهُ العلمي- كأن نقول: طَيف مُقابل

spectrum، وعدَسة مقابل lens، وهاتِف مُقابل telephone

ودرّاجة مُقابلbicycle، ودَبّابة مقابل tank،

وتُرْس مُقابل gear، وجامِعة مُقابل university

...إلخ.

ولكن ذلك غيرُ صحيح دائماً. فالدِّقة العلميَّة، أو دقّة المَعنى الفنّي بخاصّة ، قد لا تكتفي بمُجَرد وُجودِ المُناسبة أو المُشابَهة أو المُشاركة،

فلا يصحُّ مثلًا أن نضَعَ "صُلْب"مُقابل (solide) solid حيثُ الدقّة العلميَّة تَقْتَضي جامد، باعتبار أنّ الريشَ أو الحريرَ أو القُطن جَوامِدُ وليسَتْ صُلْبَةً (dur) hard،

ولا أن نقُول قُوّة مُقابل (puissance) power حيثُ الدقّة العلمية تقتضي قُدرة، ولا أن نَضعَ « رَدّ فِعْل » مُقابِل reaction في سياقٍ كيماوي، حيثُ المُقابل الصحيحُ هو تَفاعُل،

ولا أن نقولَ انصِهار مُقابل fusion في سياقٍ فيزيائيّ نَوويّ حيثُ الصوابُ اندماج،

ولا قَساوةَ الماء مُقابل hardness of water بدلا من عُسْر الماء،

ولا قُوَّة القَصّ مُقابل shear strength بدلاً من مُقاومة القص.

وأجزِمُ لكم إن هذه الأمثلة وسابقاتها كُلّها مُستقاةٌ من أعمالٍ، أو من مشاريع أعمالٍ ، معجَميّة أو مُصطلحية صادرةٍ عن مؤسَّسات نُجِلُّها، أو عن مرجعيَّات نَحترِمُها، أو عن هيئات رسمية علميَّة مرموقة في الوطن العربي.

والدِّقةُ المصطلحيَّة تفترض أن يكونَ لِكُل مَدلول دالٌ خاص، فلا يعبر عن المعنى الواحدِ بمصطلحين- كُل مُصطلحٍ منهما ذو دَلالة مختلفة في القطْر نَفسه أو في أقطارٍ مُختلفة. إنّ بعضَ العلَماء والطلاّب العرب، مثلاً، ما زالوا يستَخْدِمون المُصطلح مَعدن مُقابَل metal التي يقولُ فيها آخرون فلزّ، وَيصطلحونَ على مَعدن لِمُصطلح mineral. والذين يُمَعدِنون metal يَصطلحون على فلزّ مُقابل ore. وقسم كبير من أبنائنا الطَلَبة في سوريا لا يزال يَفهم لَفظة molecule بمَعنى ذَرَّة [20]، وليسَ فيهم مَن لم يَسمعْ بالقنبلة الذرية. وهو في مادة النَّبات يَقرأ الأُشنات مقابِل Algae- في حين أن الطالبَ في مِصر ومُعظَمِ البلاد العربية الأخرى يَقرأ مقابلَها الطحالب. ومِثلُ ذلك المُصطلحُ lichens يُقابله الحَزاز في الشام، والأشناتُ في القاهرة، والمُصطلح Mosses الذي يُقابل الطّحالب في الشام والحَزاز في القاهرة. هذا التخالُفُ مَرفوض عِلميّا ولا نَتساهَلُ فيه مُطلَقاً.

قد نتساهَلُ ،مع أفضلية التوحيد، في ما يجرُّ إليه غنى التُراث في ذلك المجال من مثل:

بَرْي وسَحْج مُقابل abrasion ، أو في لاصِبغيّ ولا لَونيّ مُقابل achromatic،أو تجلُّد وتثلُّج مُقابل glaciation، أو في رصّ ودَكّ مُقابل compaction، أو غلاف صخريّ ،وغلاف حجري مُقابل lithosphere ، أو تجفيف ونَزع الماء في dehydration، أو نَجْد وهَضَبة مُقابل plateau، أو حلزوني ولَولبي في spiral، أو سُبات شتوي وبيات شَتوي في hibernation،أو خطأ فَرْز وخطأ تصنيف مُقابل mis- sort، أو تعليق وحاشية مُقابل annotation، أو غيمة، وسَحابة، مُقابل (nuée) cloud ، أو تَحسُّس واستشعار مُقابل sensing ، أو تعجيل وتسريع مُقابل acceleration.

- إذ المصطلح العربي لا يَحْمل مفهوما مُخالِفاً. بَلْ قد نَتساهَلُ،مع قَبولِ الترادُف،كضَرورةِ واقعِ حالٍ طِبّي،في مثل:

نِقْي ونُخاع مُقابل (moelle)marrow، وبُرَداء

وأجميَّة والمُعرَّب ملاريا مُقابل malaria،ونكاف وأبو كعيب مُقابل mumps (oreillons) ومرَّة وصفراء مُقابل gall (bile) وقَيح ومِرَّة وصَديد مُقابل pus، وأمعاء و مَصارين مُقابل intestines،وخُراج ودُمَّل مُقابل abscess (abcès) - باعتبار أنَّ الطبيبَ سيتعاملُ حتْماً بهذه الألفاظ مع زبائنه وبيئته- ولا يُفترَضُ فيه أن يتَعَلمها منهُم إنْ لم يَكُن قد سبَقَ له مَعرفتُها.

ونحن لا نَتساهَلُ أيضاً في أن يكونَ للمُصطلحِ الأجنبي مُرادفات تَصْلُح في الواقعِ مُرادفات لمُصطلَحات أُخرَ ذاتِ مَفهومٍ مُختلفٍ عِلميّاً.

فلا يصح أن يُقال بروز مقابل الأجنبيّات،

projection, protrusion, eminence, prominence protuberance ;

أو استبدال مقابل

replacement , substitution, commutation ;

أو وسيط مُقابل

parameter,median, mean, intermediary;

أو تناظُر مُقابل

correspondence, symmetry, analogy ; homology, parallelism;

ولا تماثل مُقابل

Symmetry, similarity, similitude, resemblance, homology, likeness, sameness, etc.

والعكس أيضاً صحيح؛ فلا يجوز أن يتواجد في أدبنا العلميّ البيولوجي مثلاً بضْعة عشر مرادفا مقابل degeneration [21]؛ ولا في أدبنا التقني أحد عشر مرادفاً مقابل techinique [22].

الدقّةُ المصطلحية تقتضي أن يُحَدَّدَ أو يُصاغَ مصطلح عربيّ مميّز خاص لكُلِّ مصطلحٍ أجنبي بعدَ تَحرّي الدلالةِ العلميّة الدقيقة لكُلِّ واحد منها، وانتقاءِ اللفظِ العربي العلمي الذي يقابلها. وَيحسنُ عند انتقاءِ مُصطلحات من هذا القَبيل أن تُجْمَعَ كل الألفاظِ ذات المعاني القريبةِ أو المُتشابهةِ الدّلالة وتُعالَجَ كمجموعةٍ واحدة.

فمِنَ الفيزياء تُمحَّصُ مصطلحات مثل:

oscillation, vibration, vacillation, swinging, wobbling, swaying, rocking, etc.

مع مُقابلاتها العربيّات: ذبذبة وتذبذُب واهتزاز وتَرجُّح (أو ارتجاج) وتراوُح، وخَطَران ونَوَسان وسِواها،

أو المُصطلحات:

impedance, inertance, reluctance, resistance مع المُرادفات العربية: مُعاوَقة، مُقاصَرة، مُمانَعة، مُقاوَمة.

أو المُصطلحات ; hard, solid, brittle, stiff, rigid

مع المُرادفات: صَلْد، صُلْب، جامِد، قَصِف، يابِس، قاسٍ، جاسيء؛

أو المُصطلحات: flexibility, plasticity, elasticity,pliancy, pliability, etc. مع المُرادفات: مُرونيَّة، لَدانة، مُرونة، مُطواعية، مَرانة، طَواعية؛

أو المُصطلحات:

adapt,accommodate,adjust,condition, modify : مع المُرادفات: هايأ،كَيَّف، ضَبَط، هَيَّأ بالمُكيِّفات، عَدَّل ... إلخ.

ومن الهندسيّات ، المُصطلحات.

Factory, workshop, atelier, plant, mill

مُقابل المُرادفات: مَصْنَع، مَشْغَل، وَرْشَة، مُحتَرَف، مُنشأة، مَعمَل؛

والمُصطلحات:

bolt, bar, latch, lock, padlock, breech, :shutter

مع المرادفات:

مِزلاج، رِتاج، تِرْباس (دِرْباس)، قُفل، غال، مغلاق، غلَق،

ومن الكيمياء أمثال الـــمُصطلحات:

composition , structure, synthesis مع المُرادفات : تركيب، بِنْية، تخليق،

والمصطلحات:

dissociation, solution, dissolution, analysis مع المُرادفات: تفكّك، حَلّ (ومَحلول)، انحلال، تحليل،

ومن الجيولوجيا أمثال المُصطلحات:

eon,era, age, chron, period, epoch, hemera مُقابل المُرادفات: دَهر، حُقب، حِين، زَمن، عَصْر فترة (أو حُقبَة)، أوان،

ومن الزراعة أمثال المُصطلحات:

forest,wood, bush, jungle, grove, scrub, coppice, thicket, etc.

مُقابل المُرادفات: غابة، حَرَجة، حُرش، أيكة، مَشْجَر، دَغَل، أجَمة، بَيّارة، مَنْسَغة... إلخ. وهكذا يُحدَّد لكلّ مُصطلحٍ أجنبي مُقابلُه العربيُّ الأوفقُ والأنسبُ.

الواقع يا سادتي أن وَضْعَ المُصطلحات سيَظَل مدّةً طويلةً من الزَّمن مِن عَمَل الأفراد- يَعني من مسؤوليةِ المُصطلحيِّين- لا مِنْ عَمل المجامع اللُّغوية نفسِها- التي سيَبْقى لها دورُ الإشرافِ والإقرار والفَرْز والاستبعاد أو التأييد وتَهْيئة أسبابِ الانتشار في الوطن العربي.

إنّ تحديدَ المنهجيَّة جيد، ولكنّه ليسَ أكثرَ من التصميمِ المُمتاز لِلْمَبْنى الذي يَعتَمِدُ تنفيذُه وتَطبيقُه على البَنّاء.

يُنظِّر البَعضُ أنّ المؤسَّساتِ التي تَضطَلِعُ بوَضْعِ المُصطلحاتِ من مَجامعَ واتِّحادات، كما الخبراءَ المُصطلَحيِّين لا يَتّبعونَ مَنْهجيةً عِلميَّةً واحدة في وضعِ المُصطلَحات- لِذا فإنّ مُصطلحاتِهم تختَلِف في ما بَيْنَها.

والواقع هو خلافُ ذلك. فالمشكلةُ، بل الحقيقةُ المُرَّة، لعلها في ما حَدَّده الأمير مُصطفى الشهابي حيث يقول:

"الذين يتحلَّونَ بمَعرفةِ دقائق العلوم الحديثة، وأسرارِ اللُّغة التي يُترجمون عَنْها، وأسرارِ اللغة التي يَنقُلونَ إليها هم قليلون جدا في بلادِنا العربية"(23).

وللأسَف، فإن مَقولةَ الأمير لم تتَغَيّرْ كثيراً خِلالَ نصفِ القَرن الذي نُوَدِّعُه قَريباً.

مَنْهجيَّةُ الرباط المؤيِّدَةُ والمُكامِلَةُ من نَدوات عمّان والمَنامة ومُراكش ومَجامع اللغة العربية جَمعاء، مُمتازة؛ لكنَّها تحتاجُ إلى مُنَفِّذين- إلى مُصطلحيِّين يُطبِّقونها. فتحقيقُ ذلك التَّطبيق يتطلب إمكاناتٍ ودِرايةً ومِزاجاً لا يَسْهُلُ عَمليّاً إعطاءُ مُواصفات مُحَدَّدة لها.

يُقال إن أحدهم استوقَف أَلْدوس هَكْسلي في الطريق. وفاجأه بالسؤال التالي:

مِستر هَكْسلي، بماذا تَنْصَحُ مَن يُريد أن يُصْبحَ كاتباً؟ فأطرقَ هَكْسلي- وكأنّه فوجئ حَقّاً بالسؤال- ثُمّ تصَنَّعَ الجدِّية وقال: يَشتري قَلَماً ووَرَقاً وقنّينة حِبْر.

ولو اعترضَني أحَدُهم ليسألني: بماذا أنصَحُ من يُريد أن يُصبحَ مُصطلحيّاً، لأضَفْتُ إلى عناصرِ هَكسلي، مُتصنعاً الجِدّيةَ نَفسَها، وبِضْعَةَ قواميس؟

ويبدو لي مع الأسَف أن عدداً لا يستَهان به مِمَّن يُحاولون "خِدمَة" العربيةِ في مَجالِ المُصطلحات يأخذون هذه الأجوبة على مَحْمل الجدّ!

إن مهنةَ المصطلحي، كما تعلمون، لَمّا تتحدَّدْ معالمُها في العالم العربي؛ فليسَ هُنالك برامج مُتعارفة، ولا طرقُ تأهيلٍ مُحَدَّدة ومَرسومة، لإعداد المُتخصِّصين في المُصطَلح والشؤون المصطَلحية. ومعظم، أو ربما كُلُّ المتخصصين الذين أعرِفُهم، تعلّموا المِهنَةَ بجُهودِهم وإمكاناتِهم الشخصية، ولم يدرسُوها كعِلْم، إنّما توافرت

لَهُم خلفيَّاتٌ دراسيَّة تثقيفيَّة عِلمية و لغوية ساعدَتْ في هذا التأهيل.

لكنْ مهـــما يختلفُ المُنَظِّرون في تقنيات المُصطَلحيَّة ومنْهَجيّاتها ومناهجها ومَساقاتها، فهُنالك أساسياتٌ لا خلافَ فيهـــا لِما يُمكِنُ اعتبارُه بعضَ مُؤهِّلات المُصطَلحي قَبلَ الورقِ والقلم وقِنّينةِ الحِبر، حتّى وبضعَة القواميس. وهي، في جوهرها لا تختلفُ كثيراً عن المُتطلَّبات الأساسيَّة لأعمالِ الترجمةِ العِلمية والتقانيّة الناجحة. ولعَلّه يُمكنُ تلخيصُ هذه المُتطلَّبات في أساسيّات خَمْس.

أولاً– معرفة دقيقة بِلُغَتي التعامل– لُغة الأصل ولُغة الهَدف. فقديماً قالوا: صاحب الترجمة يَنبغي أن يكونَ ذا عِلْمٍ وافٍ باللغتَين.

ثانياً– إلمامٌ كافٍ بمادة المَوضوع. ويُركِّزون اليومَ على المُصطَلحي الواسعِ طَيفِ التخصص، وليسَ بالضرورة المُــتَخصِّصَ في الموضوع نَفْسه.

ثالثاً – خبرةٌ عمليَّة بالمَنْهَجية المُصطَلحيَّة– مدعَّمةٌ بالتُّراثِ المُصطَلحي القديم والحديث وتَعَرُّف المشهورِ منه– على الأقل في مجال الموضوع مَدارِ البحث، واستيعابه واكتناهِ قواعد و وسائلِ اشتقاقه، والتدرُّب على تطبيقات عملية في الصياغة المُصطَلحيّة.

رابعاً– مَوهبةٌ عِمادُها ذَكاء مدرَّبٌ يُمكِّنُ من مَلْءِ الثُّغراتِ في النصِّ الأصلي، وخيالٌ واسعٌ يُمكن من تصَوُّر العُدَّة أو الشيءِ أو العملية مَوضعِ البَحث، ومقدرة سليقيَّةٌ تُمَكِنُ المُصطلحَ من التعامُلِ مع اللفظ في سياقه بِوضوحٍ وإيجازٍ ودِقَّة.

خامساً– دِراية وبَصيرةٌ تُوَجِّهان الاختيارَ لانتقاءِ المُرادف المُصطلحي الأنسَب من التُّراثِ أو المعاجمِ ذاتِ العَلاقةِ أو الكِتاباتِ المَنشورةِ حَولَ الموضوع.

لقد أضحَى عِلمُ المُصطلَح اليومَ، كما سائرُ المَهارات ذات المسؤولية، دراسةً تَخَصُّصيَّة تتطلَّبُ، حتى فوق كُلِّ ما أَسلَفتُ، قابليَّةً شخصيَّةً ومُرونةً لُغَويَّةً وسَعَةَ أُفقٍ وصَبْراً وأناةً وحُبّاً عميقاً للُغة التي يُصْطَلحُ فيها.

لقد عرَفَتْ العربيةُ مُصطلَحيِّين أفذاذا تحقَّقَتْ فيهم هذه المُواصفاتُ والخَصائصُ الذاتيَّة والمُكتَسَبةُ– عِلْماً ومنهجية وقابليَّةً، فأثْرَوا اللغةَ بأعمالهم، من أمثالِ رفاعة الطهطاوي وعُمر التونسي وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وكرنيليوس فانْدَيْك وخليل سعادة وأحمد عيسى وثلاثي مُعجم كليرڤيل– الخيّاط وخاطِر والكواكبي– ويَعقوب صَرّوف والأمير مصطفى الشهابي وغيرهم ممَّنْ تَعرفون.

لكنّا بحاجة، لا إلى أفرادٍ من مِثل هؤلاء، يَبْرُزون على فَترات وفي بعض مَيادينَ فقط– بل إلى كتائبَ فاعلة منهُم في كُلِّ مَيدان– عُدَّةً آنيَّة ومُستَقبَليَّةً للحاق بالرَّكبِ الحَضاري المُتسارع ومُواكبته. والسبيل العملي الآني لإعداد مِثل هؤلاء لعَله ما كان، ولا يزالُ مُطبَّقاً في الكُليّاتِ العِلمية في ما كان يُدعى الاتحادَ السوفييتي حيث يَدْرسُ الطلابُ من مُختلف القوميّات مُختلفَ الاختِصاصات باللغة الروسية ويُدمَجُ تَعليمُ الموضوع العِلمي أو التقني، للمُتخرِّجِ في مِهنة ، مع تدريبه على العمل في الوَقْت ذاته كمُترجم ومُصْطَلحي في حَقلِ تَخصُّصه. ويُشتَرطُ فيه عِنْدَ التَخرُّج كتابةُ أطروحته بِلُغته القومية التي ستكونُ لُغةَ المُمارسة في بَلَده تالياً.

إن ما قامَت به بعضُ الجامعاتِ في العالَم العربي من استحداث مَساقات للترجمة التقليدية لم يَعُدْ كافياً اليوم. وأذكرُ أنَّ أحدَ الزُّملاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة[24] اقترح أكثرَ من مَرةٍ أن تقومَ المُنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاءِ جامعةٍ للمُصطلَحات يَؤمُّها حاملو

الدبلومات العَرَبِ من مُختلف أقطار العالَم العربي في مُختلف الاختصاصات. وفيها يتثقّفون بالاطّلاع والمُمَارَسةِ في مَجال المُصطلَحِ عُموماً، ثُمَّ كُلُّ فريق في مُتطلّبات وتُراث اختصاصه، ويتخرَّجُ واحدُهم خَبيراً مصطلحيّاً يظَلُّ على اتصالٍ بجامعته والزملاء الآخرين في مَجال اختصاصه، وتَتبادَلُه جامعَتُه مع زملائه في الجامعات الأخرى. فَنضمَنُ لَهُم وبِهِم الخِبْرَةَ والتواصُلَ والمُصطَلَحَ الجَيِّدَ المُوَحَّد.

خاطراتٌ في مجال الطبّ والتشريح وقضية التعريب.

المعجمُ الطّبي العربي هو أوسَعُ المعاجم العلمية العربية – ولا غَرو، إذ إنّ المعجَم الطبي نالَ عنايةً خاصة مُنْذُ أوائلِ النهضةِ الحديثة. والكثيرُ الكثيرُ ممّا أسلفته إجمالاً يَنْطبقُ على المصطلحات في مختلفِ المَجالات التقانيّة والعُلوميَّة المختلفة والطِّبيَّة طبعاً [25].

لكِن لا بأسَ من إضافة الخواطر التالية:

أ:اللُّغات الأوروبيَّة الحديثة اعتَمدتْ في صياغة مُصطَلحاتها العلميَّة والطِّبيَّة أساساً على المُكونات اليونانيَّة واللاتينيَّة. ويتَساءَل الكثيرُ من العلماءِ في الغَرْب "أين كانتْ تكون لُغاتنا العلمية لولا هذه الجُذور".

نحن في العربية عَمَدْنا إلى ترجمة هذه الجُذور في الغالب مع شيء من الاجتهاد، فقلنا مثلاً في

	Anemometer	مِقياسُ الريح، مِرياح،
وفي	Arthritis	التهاب المَفصِل(المفاصل)،
وفي	Chromosome	صِبغي،
وفي	Appendectomy	استئصال الزائدة،
وفي	Megacephaly	ضخامة الرأس،
وفي	Megalomania	هوس العظمة،
وفي	Myocardium	عضل القلب،
وفي	Neuralgia	ألم عصبي،
وفي	Pentadactyly	خُماسية الأصابع،
وفي	Xenophobia	رَهْبة الغرباء ،

مترجمين تلك المصطلحات عن جُذورها الأصلية.

لكن ينبغي التنبُّه إلى أن بعضَ المكوِّنات اليونانيّة واللاتينية قد تتشابه شكلاً وتختلفُ معنىً.

مثلاً لدينا الجذر اللاتيني os (oris) بمعنى mouth فم أو opening فوهة كما في ostium والجذر (ossis) os اليوناني بمعنى bone عظم، كما في ostein و osteal [26].

كذلك لدينا الجذران اللاتينيان ileo كما في ileocecal وileocolic وileum . بمعنى لفائفي (المِعَى اللفائفي) والجذرilio كما في iliocostal وiliofemoral وilium بمعنى حَرقفي (العظم الحرقفي). والصِّفتان من الجذرين ileal و ilial تتماثلان لفظاً و صوتاً – بفارِق i أو e بعد حرف l الأوّل– كتابةً.

أو لو نأخذ الجَذْر، أو ما قد يبدو أنّه الجذر،*di* في المداخل الثلاثة التالية[27]:

ازدواجيّة الشكل	(1) (dimorphy) (GK) di,= double, twice &.(GK)morph= form
مُباعِد	(2) divergent (GK) di, dis = apart & (Lat)vergere – to tend
بمعنى إدرار البَوْل، إبالة	(3) diuresis (GK) diourein = to urinate

وكذلك الجَذْر،أو ما يبدو أنه الجذر–mel، في المداخل التالية [27].

بمعنى ألَم الأطراف.	(1) melalgia (GK) mel, melos= limb & algia = pain
بمعنى كيسة عسلية.	(2) melicera (GK) meli-honey & (GK) cera, keros=wax
بمعنى السَّوداوية، ملنخوليا.	(3) melancholia (GK) melano = black & (GK)chole= bile

وقد تختلف هذه الجُذور ومداخلُها وتعني الشيءَ

نفسَه، مثلاً glossal(GK) وَ (L) lingual أو(L) cribriform (GK)وَ ethmoid بمعنى sieve like غربالي، مُنخُلي

أو (L) flavum وَ Luteum(L) بمعنى أصفر ، صفراوي؛ وغيرُها كثير.

يعني لا بُدّ من التدقيق في أصل الجَذْر أو الجُذور المكوِّنة أو شبهها ومعناها، وطبعاً سياقِها لصوغ المُقابل العربي الصحيح.

مع ملاحظة أنه أحياناً يحول السياق الوضعي دون إمكانية هذا التطبيق. فنحن نقول مثلاً في articulatio acromioclavicularis المفصل الأخْرَمي الترقوي أو في sphenopalatine artery الشريان الوتدي الحنكي، و في gastroduodenal artery الشريان المعدي العفجي، لكن نَقول في، أو هم قالوا عن حكمة،في internal saphenous vein الوريد الصافن الباطن،

وفي external saphenous vein الوريد الصافن الظاهر مع تعريب saphenes اليونانية افتراضياً لتفادي المفارقة – لأن الجَذْر saphene = يعني الظاهر أو البيِّن.

ب: أحياناً هناك مصطلحات أجنبيَّة تعارفنا في العربية على أكثر من معنى واحد لها- مثلاً نحن نقول في cerebrum "مُخ". ونترجم cerebral hemispheres نصفا كُرة المخ (أيمن وأيسر كما تعلمون) لكن cerebrum فِيزيولوجيّاً تحمِلُ أيضاً مَعْنى "المُخ" كجزء من الدِّماغ brain من جملة الأجزاء الأخرى كالمُخَيخ والمِهاد (أو السَّرير) والنِّخاع المُستطيل وسِواها.

فإذا قلنا في cerebrospinal fluid السائل المخي النخاعي، أو في cerebrospinal meningitis التهاب السحايا المخية النخاعية، فإنا نكون قد جاوزنا الصواب لأن الجذر cerebro في هذين المُصطلحين يعود إلى cerebrum بمعنى الدماغ وليس بمعنى الجُزء المُخّي منه. فهذا السائل يغمر الدماغَ كلَّه، وذلك الالتهاب يصيب الدماغ كلَّه.

وأحياناً يحملُ اللفظ الأجنبي نفسُه مَعنَيين مُتباعدين – فيخلط المترجم بين السِّياقين بشكل لافت. كأن يقول فيappendicular skeleton هيكل زائد أو زائدي. فاللفظ appendicular يحمل أن يكون صفةً من appendix – وهو ما توهمه القائل هنا دون تدبُّر- في حين أن السياق يقتضي ترجمة appendicular كصفة من appendage بمعنى limb بمصطلح هيكل الأطراف.

وليس بعيداً عن هذا الالتباس من تَرجم خالطاً بين الجذر annus و annualis بمعنى سنَة، والجذر anulus و annularis بمعنى حلقة – مترجماً المصطلح annular thickening تثخُّن سنوي بدل تثخُّن حلقي.

جـــ: أحياناً يكون المصطلح الأجنبي منسوباً إلى اسم، والاسمُ يحملُ أن يكون لفظاً لُغوياً، فيُترجمُ عندنا بمعناه اللغوي مثل: student's test اختبار الطالب، أو(distribution ـ) توزيع الطالب، وهو اختبار ستيودَنْت (مصطلح في التوزيع الإحصائي السُّكاني) نِسبةً إلى العالم W.S. Gosset الذي اختار اسمَ Student كاسم مُستعار له.

وأذكرُ أني كنتُ من ضحايا مثل هذا الالتباس حين كُنت أُعدُّ مَسردا لقاموس حاسوبي في سِلسِلة قواميس علميَّة مُعرفة ومُصوّرة- فاقتَبسْتُ ترجمة للمدخل shell sort حققتُها في قاموسين حديثين إنكليزي- عربي- "تَصْنيف القشرة". ثُمَّ حين حققتُها في مَرجعٍ مُوسَّع إنكليزي- إنكليزيّ اكتشفتُ أن اللفظةَ اسمٌ نسبَه إلى نفسه خبير حاسوبي اسمهُ دونالد شِل عام 1960، وليسَتْ مّما يصح ترجمته.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

القطاعات- لا الجامعيةَ والأكاديمية فقطْ بل الصِّناعيةُ والتجاريةُ والزراعيةُ والحياتيةُ عامَّةً. وإلا كيفَ يَصلُ العلمُ إلى الفلاح والنجار والبناء والحداد والصانع والسَّمكري وسائقِ السيارة وغيرِهم من أفراد المجتمع. كيفَ يصلُ العلمُ إلى هؤلاء إذا كانت كُلّيّاتُ الزراعةِ والصيدلة والصناعة والهندسَة والكيمياء تُخرِّجُ لَهُم مَن لا يستطيعونَ إيصالَ ما يتعلَّمونه إليهم؟

يا سادتي، بطريقةٍ غير مباشرة، كُلّيّاتُنا تؤهلُ خريجيها ليخدُموا بيئةً أخرى غير بيئتهم؛منذ حوالي خمس سنوات نشرت أكاديميةُ البحث العلمي في القاهرة نتائجَ إحصاءٍ أجرتْهُ حول هجرة العقول المِصرية من حَملة الماجستير والدكتوراة- التكنوقراطيين كما يُسَمُّونهم. فكانوا 200 ألف في الولايات المتحدة، 150 ألفا في أستراليا، 60 ألفا في كندا و155 ألفاً في أوروبا؟ وجُلُّهم طبعاً ممَن أُهِّلوا لاختصاصاتهم بغير اللغة القومية- يَعني مِمّن أُهِّلوا ليهاجروا!

فلو أنّ هؤلاء الـ 565 ألفاً أُهِّلوا باللغة القومية- ونالوا من الثقافة الأجنبيَّة واللغة الأجنبية ما يُبقيهم على صِلَةٍ بالتقدم العلمي والتقني في مجالات اختصاصاتهم، لما كان هاجرَ ولا حتى عُشْرُهم، ولكانوا عاملًا فاعلًا في تنمية بلدهم. ولوفَّروا، على الأقل، كُلفَةَ تعليمهم التي قدَّرَتْها الأكاديميَّةُ بحوالي 50 مليار جُنيه مصري.

التحدي الذي يُواجهُنا كأُمَّةٍ اليوم وغداً، القريبَ والبعيدَ، هو تحدّي استنبات العِلم وتوطين التكنولوجيا عَربيّاً؛ فاللغةُ- أيُ لُغة ، حَسَبَما يُؤكدُ العارِفون- هي المَهْدُ الذي يَنْبُتُ فيه العِلم، وما استَفادَ قوم عِلماً إلاّ عِلْماً زَرعوه بلُغَتِهم.

اللغة العربية لا ينقصُها خصائصُ اللغة العلمية ولا مُقوِّماتُها. والذين يتهمونَ العربيةَ بالعَجْز عن مُجاراةِ التطوُّرات الحضارية العلمية إنما يعترفون بعَجْزهم هُمْ، بل بِعَجْزنا نحنُ في دنيا العرب- نتيجةً لبيئات الجَهْلِ والتجهيل والكسَلِ العقلي والانهزامية التي نُشِّئْنا عليها مرسخة من عُهود الظلمة والقَهر، خلالَ السيطرةِ العُثمانية والاستعماريةِ الغربية، ولا تَزالُ فاعلةً فينا بقُوّى لا نَدْريها أو لعلّنا نَدريها، ولأسبابٍ مُتباينة لا نتحمَّسُ لتَغييرِها.

اللغةُ العربية نالَت اعترافَ العالَم منذُ 1973، وأصبحَتْ لُغةً رسميةً مع اللغاتِ الخَمْس الكبرى في مؤسسات هيئة الأمم المُتحدة كافة عام 1982؛ لكنَّ العالَمَ العربي مع الأسف يتَنكَّرُ للُغته. إنَّكَ لا تكادُ تَجدُ بين أُمَم العالَم، صغيرها وكبيرها، أُمَّةً تقدم العلمَ لأبنائها بغير لُغتِهمْ سوى في عالَمِنا العربيِّ المُتعثّر- فلا صُعوبةَ كتابةِ اللغة اليابانية أو الصينية، ولا صِغَرَ حَجْم بعض دُوَل أوروبا، ولا فَقْرَ بَعضِ دُوَل آسيا، ولا شُحَّ مُصطلحات اللغة التركية، ولا مَواتَ اللغةِ العِبْرية، حالَتْ دونَ أن تكونَ اللغةُ القوميةُ هي لُغةَ تدريس العُلوم في تلك البلاد.

في إحدى الندوات أخبرَنا زميل زارَ شماليَّ أورُبا في جَولَة تربوية في فنلندة، أنّه في إحدى المُدن، وسكّانُها لا يتَجاوزون الربع مِليون، 93% منهم يتكلّمون الفنْلندية و 7% يتكلمون اللغة السّويدية- وكِلتاهُما لُغةٌ رسمية في فنلندة، هناك كُلّيّتانِ للطِّب- إحداهُما تُدرِّسُ باللغة السّويدية والأُخرى باللغة الفنْلندية.

والتعريبُ كذلكَ ضَرورةٌ قومية يَقتَضيها ترابُطنا أُفقياً كأُمة، أو على الأقلّ كشعوب ، على امتداد الوطنِ العَربي، ويَقْتَضيها ترابُطنا عمودياً مع تاريخنا وجُذورنا وتُراثنا وعُروبَتنا. لقد نجحَ الاستعماريُّون، والمُنتدَبون الأوصياءُ قَهْراً، في تَقسيم الوطنِ العربي سياسياً وإدارياً واقتصادياً وحتى ثقافياً، لكنّهم رُغم مُحاولاتهم المُتعدِّدة لم

يَنْجَحوا في تمزيق اللغة العربيَّة - فظَلَّت الرابطَ القوميَّ الرُّوحيَّ؛ والتعريبُ تَمْتِينٌ لهذا الرابط.

والتعريبُ حتى يتجاوَز كُلَّ ذلك، لأنه قَضيةُ كرامَة- كرامَةُ لغة وكرامةُ أُمَّة. إنَّ الاستمرارَ في تدريسِ العُلوم والتقانيّات وسواها من المواد الرئيسيّةِ في برامجِ مُعظم جامعاتنا وبعضِ مدارسنا بلُغَة أجنبية، إضافة إلى أنه مُخالِفٌ لكلِّ المبادئ التربوية، هو إذلالٌ للغة العربية وهدرٌ للكثير من جُهود التَّنميةِ العلمية العربية، ولكُلِّ الجُهود التي تُبذَلُ في مَجال المُصطلحات العربية- بل هو إذلالٌ للشخصية العربيةِ، ومُركَّبُ نَقصٍ يَصُبُّ في هَدْمِ المَعنويات والطموح العربي.

إن الشابَّ العربي — الطالب اليوم والمُثقَّفَ والمُثقفَ غداً، الذي يرى الموادَّ الرئيسيّة في بلدِه تُدرَّس بلُغة أجنبية، وأنه يتقدم للامتحانات الحاسِمة في مصيره بها، وأنَّ المكانةَ الاجتماعيةَ والرفاهَ أيضاً مُرتَبطان وثيقا بها، يتأصَّل في قَرارةِ نفسه بالاشراط النفسي الباڤْلوفي، شئنا أم أبَيْنا، دُونيةُ اللغةِ العربية وثانَويةُ أهَميتها- مَهما نتكلَّمُ عن فضائل العربية وجَلالِها، ومَهما نُمجِّدُها بالكلام والشعارات. وهذا الموقف المؤسِف لا يَقتَصِرُ على الطالب وَحدَه، بَلْ إنَه تأصَّلَ إلى حَد كبيرٍ في لاوَعْي الأهلِ في الكثير من البيئات- وأحياناً حتّى في لا وَعْي الأساتذة والـمسؤولين، فَغَدَوا يتقبلون هذا الواقِع الشاذَّ وكأنَهُ الأمرُ الطبيعي.

خيارُ التعليم باللُّغة الأجنبيَة ما كان خياراً عَربيّاً، بل أمرٌ فُرِضَ علينا استعمارياً بالانتداب العسكري أولاً، ثُمَّ استَمرَّ بالانتداب الفكري النَّفساني تالياً.

أليسَ مؤسِفاً، ولعلّي أقولُ أليسَ مُعيباً، أنَّه بَيْنما العدو الغاصبُ يُحيي بالحِسِّ القَومي أولاً وبالعملِ الجاد ثانياً لُغةً ماتَتْ منذُ عِشرينَ قَرناً ونَيف لِتَغدو لُغةَ حَضارةِ وعِلْم- تُعْقَدُ بها الندوات في عُلوم الطبِّ والنَّوويّات والتكنولُوجيا، على اختلافها، ونَحْنُ أهلُ لُغَة القُرآن- أهلُ العَربية الفُصْحَى- رباطِ الوَحدة والكَرامة- نعملُ على تخلُفها وإبعادها عن مَيادينِ العِلْم الحديثِ والمعاصرة!

والذين يحتَجُّون لإعاقة حركة تعريب التعليمِ الشامل بانتظار أن تَتوافرَ لها ولَه المصطَلحات وتتكامَلَ، إنّما يَضعون العَربةَ أمامَ الحِصان، كما يقولون. فالتعريبُ ووَضْعُ المُصطلحات، بل والترجَمةُ (ترجَمَةُ المَراجع والمناهج وأُمَّهات الكتب) والتأليفُ، تَسيرُ معاً - هكذا كانت في مدارسِ محمَّد علي في الهندسة والزراعة والطِّبّ، وهكذا كانت الحالُ في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية فيما بعد)، وهــكذا كانت الحالُ؛ ولا تزال في المعهد الطِّبي في دِمَشق منذ العام 1919، وحديثاً في كليّات الطبّ في السُّودان وليبيا، ولدى بعضِ النشطاء في بعض كليّات الوطن العربي[29]. وليسَ يلزَمُنا إلى تحقيق ذلك إلا العَزْمُ الصادقُ والحِسُّ القوميُّ على جعلِ العربيةِ لُغةَ التعليمِ في كُلِّ المَعاهد على كُل المستويات — مدعوماً بتأهيل الجهاز البَشَريِّ المؤهل للقيام بما يتطلبه ذلك من مهمّات .

ولا يعني تعريب العلم والتعليم بحالٍ من الأحوال حَرْباً على اللغة الأجنبيَّة، بل على العكس — التعريبُ، وبخاصة تعريبُ العُلوم، يفترض استمراريَّة التواصُل باللغات الأجنبية على الطلاب كما على الأساتذة — فلا أحد يجهَلُ البَوْنَ الشاسِعَ بينَ ما وصلت إليه عُلومُ الحضارة الحديثة وتقاناتُها وما استوعَبْناه منها نحنُ حتى اليوم.

فكَما يَفترِضُ التعريبُ أن يمارس المهندسُ أو الطبيبُ أو الزراعيُّ أو حتى الجيُولوجيُّ مهنته على الناس،وللناس،باللغة القوميَّة — رابطته بهِمْ ووسيلة تفاهُمه معَهم، فإن مُستقبلَ مَسيرة التعريب ونجاحها المستمر

يتطلبان أن يكون هذا المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعي ضليعاً بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الرَّكْب العلمي في تخصُّصه ، والوقوف على آخر ما توصَّل إليه زملاؤه في العالم من حَوله — فلا تحصُل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما تَمَّ من تقدُّم بعد تخرجه كممارس، ويكون هو في الوقت نفسه مؤهلاً لأن يؤديَ ما يَجِدُّ من مسمَّيات علمية في تلكَ اللغة بمصطلحات عربية سليمة .

مَقولتُنا بالتعريب ليسَتْ ضِدَّ تعزيز تعليمِ اللغة الأجنبيَّة، فالحاجةُ إلى إتقان لُغة أجنبيَّة عالمية مُعاصِرة هي اليومَ مَطلَبٌ تَربويٌّ أساسيٌّ لِكُل مُثَقَّفٍ عَربيٍّ أو غَيْر عربي، عالِمٍ أو غيرِ عالِم- إنما الاعتراض الشديدُ هوَ على إحلالِ اللغةِ الأجنبيةِ مَحَلَّ العربيةِ كَلُغةٍ لتعليمِ العُلوم.

اللغة الإنكليزية هي اليومَ حاجة ضروريةٌ يومية للعالِم الفَرَنْسي والفِنلندي والألماني والروسي والياباني والكُوري وأيِّ عالِم مِن أيِّ قَومية كان- لكنْ لا الفَرنسيون ولا الكوريُّون ولا اليابانيُّون ولا الفنلَنديُّون طَرحوا مَسألةَ اعتِمادِ اللغةِ الإنكليزيَّة في تدريس مواد العُلومِ في بلادِهم.

المُؤسف أنّا نرى أنهُ كُلّما قارَبَتْ حركاتُ التعريب النجاحَ في بلد عربي أو كادَت، تَنْقَضُّ عليها حركاتُ التغريب فتُعَرقِلُها وتُجهِضُها- والأمثلةُ على ذلك في مَشرق العالَم العربي ومَغربه غيرُ خافية- ممّا يُذَكر بالحروبِ المُعْلَنة وغير المُعلَنَة على اللغة العربية- لُغة الدين والتراث والتاريخِ المُشترك.

الكُل مُتفقون على رَفْض الفَتوى الاستعماريَة بعَدم صَلاحيةِ العربية لتعليمِ مواد العلوم؛ والكُل مُتفقون على أنَ التعريبَ- تعريبَ العُلوم وتعريبَ البَحثِ العلمي والتأليفِ العلمي والتقاناتِ العلميةِ ضرورة حَتْمية لِخلقِ لُغة علمية عربية- هي في الواقِع المَدخَلُ الوحيد لامتلاك القُدرة العلميةِ العربية واقتِحام آفاق المُعاصَرة؛

والكُل مُتفقون على أنَ الإصرارَ على تَعليم العلوم والتقْنيات باللغاتِ الأجنبية هو حِصارٌ على العربيَّة يَمْنَعُها من التطورِ والنمو؛ وأنه بِدون رَفعِ هذا الحصارِ ستؤولُ العربيةُ لغة للحياة اليوميَّة فقط- وهو أمرٌ مُنافٍ لكافة الأهداف القوميةِ والحَضاريَة.

والكُلُّ مُتفقون على أن التعريبَ مطلب أساسيٌّ يَحفَظُ للأُمَّة تاريخَها وشَخصيَّتَها وكرامَتَها ويُؤهِّلُها للمشارَكة الفعالة في الحَضارة الإنسانيَّة لتَحْفَظَ لها مَوقعاً مُشْرِقاً في شمسِ عالَمِ الغَدِ المَرموق.

إن تحدّياتِ القرن الحادي والعشرين أمامَنا شاخصةٌ - تحدّي مُواكبةِ الرَّكْبِ الحضاري المُتسارع لَحاقاً ومُجاراةً ومُشاركة،

تحدّي أن تكونَ العربيَّةُ لُغَةَ العِلم ولُغةَ البَحثِ العلمي والتّقانات،

تحدّي أن نتجاوز أعباءَ التخلُّف على مَدى القُرون الخَوالي، وأعباءَ الجُغرافيا التي خلَّفها لنا الانتدابُ والاستعمارُ والغَزْوُ الصهيوني بمُمالأةِ القُوى الدّولية المُسَيْطرة،

تحدّي أن نَعْملَ ونُخَطِّط ونُنَفذَ بمَنْطِق العلم والتاريخ- لا بمَنْطق الاستراتيجيات القَبليَّة والإقليمية الضيقة لضمان أن تَدْخُلَ أجيالُ العَربِ الجديدةُ، علمياً وتقانياً وحضارياً، القرنَ الحادي والعشرين دونَ إبطاء،

تحديات كثيرةٌ كَبيرةٌ نأمُلُ أن نَتجاوزَها بنجاح يُعيدُ إلى نُفوسنا الثقةَ وإلى تاريخنا الأمجاد. "وقُل اعملوا فسَيَرى اللهُ عَملَكم ورَسولُه والمؤمنون ".

الهوامش

(1) لمؤرخ العلاّمة فيليب حتّي تقصّى، بتكليف من مؤسّسة وبستر، خمسة آلاف لفظةٍ في اللغة الإنكليزية من أصلٍ عربي اعتمدتها المؤسسةُ . في حين يُقدِّرُ المستشرقُ الإنكليزي Arthur Jeffry في مقدمته لكتاب The Foreign Vocabulary of the Quran هذه الألفاظ بعشرة آلاف.

(2) المؤرخون للنهضة العلميَّة الحديثة يذكُرون بالخير جهودَ محمود قابادو والمدرسةَ الصادقية ومكتبَ العلوم الحربية الذي أسّسَه البايُ عامَ 1861 قبل أن يحتلها الفَرنسيون عام 1881؛ ثم جهادَ جامعة الزيتونة في تونس وجهودَ جامّعة القرويين في المغرب.

(3) حمل هذا القاموس اسم "الشذور الذهبيَّة في الألفاظ الطبية". وقد قام بجمع مادته وتبويبها الشيخ محمد بن عمر التونسي. ولم يُنشَرْ من القاموس إلاّ جُزءٌ يَسير. وهو حاليّاً من موجودات المكتبة الأهلية في باريس. وقد أهداها إيّاد كلوت بك خليفة الدكتور بيرون في كُلّية الطب ومديرُها لا حقاً.

(4) معدل الإنتاج الفكري العربي من الكتب هو دونَ المستوى الطَموح- حوالي 1 في المئة من الإنتاج العالَمي أي رُبْع مُعدَّل الإنتاج بالنسبة إلى عدد السُكّان العالمي بمُختلف شعوبه. ومُعظَمُه في نطاق الكتب المدرسية.

(5) مجلة مجمع اللغة العربية- مجمع فؤاد الأول حينئذ - العدد الأول، ص 33. وما بين الأقواس من أمثلة هو من إضافتي.

(6) في القاهرة 1934، في بَغداد 1947 ، في عمّان 1976، في تونس 1983، في الخرطوم 1992، وفي القدس 1994.

(7) أنظر الملحق رقم 2.

(8) تُراجع بُنودُ المنهَجيَّة المعتمدة في هذه الندوة في الملحق رقم 1.

(9) أولى التوصيات التي صدرت عن مؤتمري التعريب الثامن والتاسع 1998تنصّ على "الالتزام بالمبادئ الأساسية الصادرة عن ندوة الرباط 1981 وندوة عمان 1983 حول منهجية وضع المصطلحات". وكان هذا الالتزامُ أيضاً من توصيات ندوة عمّان نفسِها.

(10) تراجع هذه التوصيات في المُلحق رقم 3.

(11) "العامية الفُصحى"-محمود تيمور- مجلة مجمع اللُغة العربيَّة العدد 13.

(12) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية- حسن حسين فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958.

(13) يقترح بعضهم صيغة فعالة لاسم بعض العلوم الحديثة مثل:

كهافة:	علم الكهوف	Speleology
نسابة:	علم الإنسان	Genealogy
ضراسة:	علم الأضراس	Odontology
ثداوة	علم الأثداء	Mastology
شياخة:	علم الشيخوخة	Gerontology
وطبابة لما له علاقةٌ بالطِّبّ عوناً أو صيدلة		Paramedics

(14) في الإحصاء الذي أجريناه في دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، على مَوادّ "محيط المحيط " لبطرس البستاني بلغَ عددُ هذه الجذور 7360 فعلاً، منها 5703 أفعال ثلاثية، وبعض الدراسات الحاسوبية تُقدِّرها بأكثر.

(15) ص 75-"مجموعة القرارات العلميَّة في ثلاثين عاماً" مجمع اللغة العربية، القاهرة 1963.

(16) الأستاذ محمَّد شوقي أمين أوردَ ما يزيدُ على المئة منها مَصوغة على وَزْن فَعُول- أوردْتُ هنا الشائعَ منها. يُراجَع "كتاب في أصول اللغة"جـ 1 مجمع اللغة العربية 1975، القاهرة.

(17) لقد أحصَيتُ منها ما يُقاربُ المئتين قَدَّمتُ في مُذكرة إلى مجمع اللغة العربية في مؤتمره الثامن والخمسين بعنوان "حول صياغة فَعول من الفِعل " نَقَل" صِفةً لما يُمكِن نقلُه أو انتقاله".

(18) مجلة اللسان العربي، العدد 19.

(19) كأن يُضاعف سِنّ الياء وعروة الواو مثلاً.

(20) مُنذ زمن غير بعيد وقعَ في يدي كتابٌ صادرٌ أواخرِ الثمانينيّات لطلّاب السنة الخامسة في كليّة الطبّ يتحدَّث عن ذَرَّة الميموسِذْرين (وهو بروتين غنيٌّ بالحديد يَحوي جُزَيئُه آلافَ الذرّات).

(21) أحصى منها الدكتور صادق الهلالي سبْعَةَ عشرَ أذكرُ منها: استحالة واضمحلال وانحلال وتحلّل وانفساد وفَساد وضُمور وتدَنّ وتَدَهْوُر وتفَسُّخ وحَرَض وتَلف.

(22) هي: تقنيات، والتقنية الفنيَّة، والأسلوب الفني في التنفيذ، وفنية التطبيق، والمعالجة الفنية، والتقنية التكنيكية، والحيل الفنّية، والصنعة الفنية، والطريقة الفنية، وأسلوب المعالجة- إضافةً إلى المعرّب تِكنيك.

(23) "الأمير مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية في اللغة العربية- دمشق-المجمع العلمي العربي 1952.

(24) الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ونائب رئيس اتحاد المجامع العلمية العربية.

(25) وألفت هنا إلى نشرة المبادئ التي اعتمدتها لجنة العلماء الأفاضل الذين أشرفوا على مراجعة الطبعة الرابعة من المعجم الطبي الموحد. وقد تكرَّم السيد المسؤول بإطلاعي عليها، وستصدر مع المعجم قريبا أن شاء الله.

(26)لاحظ مجال اللبس الشديد في ostium و osteal وostein .

(27) اقرأ من اليسار إلى اليمين.

(28) في رأيي، يَسري التعريبُ هنا، لا على "سذْرِن" فقط بل أيضاً على "نُورْذرن" و"وِسْترن" باعتبارهما اسمين مُستعارَيْن صيغا قياساً على نَسَق تسمية اختبار "تمثيل في الكشف عن البروتينيات السَّرطانية، سَبق أن اكتشفه الدكتورE.M. Southern. والتَرجمةُ هنا تحجُب هذه العَلاقة المُهمّة.

(29) الدكتور أحمد ذياب في تونس درّس علم التشريح بالعربية بين 1985 و 1988 وكانت التجربة ناجحة، لكنها أُجهضَتْ. الدكتور محمد توفيق الرَّخاوي في مصر يتحَدّى المُعترضين ويُدرِّس موادَّه الطبيّة باللغة العربية.

ملحق 1

المبادئ الأساسية في منهجية وضع واختيار المصطلحات العلمية التي أقرها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة

1- ضَرورةُ وجودِ مُناسبة أو مُشاركة أو مُشابَهة بين مَدلولِ المُصطلح اللغوي ومدلولِه الاصطلاحي، ولا يُشترَطُ في المُصطلح أن يستوعِبَ كُل مَعناه العلمي.

2- وَضْعُ مُصطلحٍ واحدٍ للمفهوم العلمي الواحد، ذي المَضمونِ الواحد، في الحَقل الواحد.

3- تَجنُّبُ تَعددِ الدلالاتِ للمصطلحِ الواحدِ في الحَقلِ الواحد، وتَفضيلُ اللفظِ المُختَص على اللفظ المُشترَك.

4-استِقراءُ وإحياءُ التراثِ العربي، وخاصة ما استُعمِلَ منه أو ما استَقرَّ منه من مُصطلحات علمية عربيةٍ صالحةٍ للاستعمال الحديث، وما وَرَد فيه من ألفاظ مُعرَّبة.

5- مُسايَرةُ المنهجِ الدولي في اختيارِ المُصطلحاتِ العلمية:

أ- مُراعاةُ التقريب بين المصطلحاتِ العربية والعالمية لِتسهيلِ المُقابلة بينهما للمُشتغلين بالعِلم ودارِسيه.

ب- اعتمادُ التصنيفِ العَشري الدولي لِتصنيفِ المُصطلحات حَسْبَ حُقولِها وفُروعِها.

جـ- تقسيمُ المفاهيم واستكمالُها وتحديدُها وتَعريفها وترتيبُها حَسْبَ كُل حقل.

د- اشتراكُ المختصين المُنتجين والمُستهلكين في وَضع المصطلحات.

هـ- مواصَلةُ البُحوثِ والدراساتِ لِيتَيسَّر الاتصالُ على الدوام بين واضِعي المُصطلحاتِ ومُستعمِليها.

6- استخدامُ الوسائلِ اللغوية في تَوليدِ المُصطلحاتِ العلمية الجَديدة بالأفضَلية طِبقاً لِلترْتيب التالي: التُراث فالتوليد (بما فيه من مجازٍ واشتقاق وتَعريب ونَحْت).

7- تفضيلُ الكلماتِ العربية الفصيحة المتواترةِ على الكلماتِ المُعَرَّبة.

8- تَجنُّب الكَلماتِ العامية إلا عندَ الاقتضاء- بشرطِ أنْ تكونَ مشتركةً بين لهجاتٍ عربيةٍ عديدة، وأن يُشارَ إلى عاميتها بأن تُوضَع بين قوسَين مثلا.

9- تفضيلُ الصيغةِ الجَزلة الواضحة وتجنُّبُ النافِرِ والمَحظور من الألفاظ.

10- تَفضيلُ الكلمةِ التي تَسمحُ بالاشتِقاقِ على الكلمةِ التي لا تسمحُ به.

11- تفضيلُ الكلمةِ المُفردة لأنها تُساعدُ على تَسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجَمع.

12- تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامّة أو المُبْهَمة، ومراعاة اتفاق المُصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دونَ تقيُّد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

13- في حالة المُترادفات، أو القريبة من الترادُف،تُفضَّلُ اللفظةُ التي يُوحي جَذرُها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح.

14- تُفضَّلُ الكلمةُ الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبسَ معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المُتداوَلِ لتلك الكلمة.

(*) الرباط 18-20 شباط (فبراير) 1981.

15- عندَ وجودِ ألفاظ مُترادفة في مَدلولها، ينبغي تَحديدُ الدلالة العلميةِ الدقيقة لِكُلِ واحدٍ منها، وانتقاءُ اللفظ العلمي الذي يُقابلها. ويَحْسُن عند انتقاء مُصطلحات من هذا النوع أن تُجمَع كُل الألفاظ ذاتِ المعاني القريبة أو المُتشابهةِ الدلالة وتُعالَج كُلُّها كمجموعة واحدة.

16- مراعاةُ ما اتفقَ المختصون على استعماله من مُصطلحات ودَلالات علمية خاصَّة بهم، مُعَرَّبةً كانت أو مُتَرجَمة.

17- التعريبُ عند الحاجة وخاصة المُصطلحات ذات الصيغة العالمية- كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المُستعملة مُصطلحات، أو العناصر والمركبات الكيماوية.

18- عندَ تعريب الألفاظ الأجنبية يُراعَى ما يأتي:

أ- ترجيحُ ما سَهُلَ نُطقُه في رَسْم الألفاظ المُعَرَّبة عند اختلافِ نُطقها في اللغات الأجنبية.

ب- التغيير في شكله، حتى يُصبحَ مُوافقاً للصيغة العربية ومُستَساغاً.

جـ- اعتبارُ المُصطلح المعرَّب عربياً، يَخضعُ لقواعد اللغة العربية ويجوزُ فيه الاشتقاقُ والنحتُ وتُستخدمُ فيه أدواتُ البَدْء والإلحاق، مع موافقته للصِّيغة العربية.

د- تَصويبُ الكلماتِ العربية التي حَرَّفَتْها اللغاتُ الأجنبية واستعمالُها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ- ضَبْطُ المُصطلحات عامة والمُعَرَّب منها خاصةً بالشكلِ حرصاً على صحَّة نُطقه ودقة أدائه.

ملحق : 2

مُوجز بأهم القرارات

التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة

تسهيلاً لعمل المترجمين وواضعي المصطلحات العلمية والفنية والهندسية

مع أمثلة وتعليقات

1- يؤخَذُ بمبدإ "القياس" في اللغة.

2- يجوز " النحت" عندما تُلجئُ إليه الضرورةُ العلمية: فنقولُ في كهربائي مغنطيسي كَهرَمغنطيسي أو كهرمغنيطي، وفي كهربائي ضوئي كهرضَوئي، وفي شبه غرَوي شِبْغرَوي.

3- المصدر الصناعي: إذا أُريدَ صنع مصدرٍ من كلمة يُزادُ عليها "ياء النسبة والتاء". من الأمثلة الحديثة على هذه المصادر قِلْوية، حَمضية، قاعدية، مَفهومية وحسَّاسيَّة.

4- يُصاغُ للدلالة على الحِرْفة أو شِبهها من أي بابٍ من أبواب الثلاثي مَصدرٌ على وزن "فِعالة"، مثل نِجارة، حِدادة، سِباكة، خِراطة، زِهارة، طِبابة، مساحة ونِـحالة.

5- يقاسُ المَصدرُ على وزن "فَعَلان" لِفَعَلَ اللازم مفتوح العَين إذا دَلَّ على تقلُّب واضطراب: حَيَشان، غَلَيان، نَوَسان، نَبَضان، ثَوَران.

6- يُقاسُ من "فَعَلَ" اللازم المَفتوح العَين مَصْدر على وزن "فُعال" للدّلالة على المَرَض: صُداع، كُساح، سُعال، نُكاف.

7- يجازُ اشتقاقُ "فُعال" و " فَعَل" للدلالة على الداء سَواء أوَرَدَ له فِعل أم لم يَرِد: مُعاد ودُوار وخُناق وعصاب، وسَدَر ورَمَد وخَصَر وشَلَل.

8- إن لم يَرِدْ في اللغة مَصدرٌ لـ "فَعَلَ" اللازم مفتوح العين الدالّ على صوت، يَجُوزُ أن يُصاغ له قياساً مصدرٌ على وَزن "فُعال" أو "فَعيل" مثل: ثُغاء وصُراخ وشُواش، وخَفيف وهَدير وصَفير.

9- يصِحُّ أخذُ المصدرِ الذي على وَزن "تِفعال" من الفعل للدلالة على الكَثرة والمُبالَغة: كما في تَهْطال وتَبْيان؛ وكذلك تصِحُ صِياغةُ هذا الوزن مِما لم يَرِدْ فيه فعل.

10- تُتَخذُ صيغةُ "التفاعُل" للدلالة على الاشتراك مع المُساواة أو التماثُل: كالترابُط والتقارُن والتوافق.

11- يُصاغُ قياساً من الفِعل الثلاثي "مِفعَل"و " مِفعَلَة" و "مِفعال" للدلالة على الآلة التي يُعالَجُ بها الشيء:مِبْرَد ومِثْقَب، مِخْرَطة ومِلزَمة، مِثقاب ومِطياف،ويُضاف إلى صِيَغ اسم الآلة أيضاً الأوزان "فاعلة": رافعة وسانيَة،و"فاعُول": حاسُوب وساطور، و"فِعال":إبَار وبِزال. كذلك فإنَّ استعمال صيغة "فَعّالة " اسماً للآلة هو استعمالُ عربي صحيح: ثقّابة، بَرّادة، فتّاحة.

12- يُصاغُ "فَعّال" قياساً للدلالة على الاحتراف أو مُلازمة الشيء: زَجّاج، حَدّاد، سَبّاك، دَهّان.

13- يُصاغُ "فَعّال" للمُبالغة من مَصدر الفعل الثّلاثي اللازم والمُتعدي: ذَوّاب، أكّال، دَوّار.

14- يُصاغُ وزان "فُعالة، للدلالة على فُضالة الشيء أو ما تَحاتَّ منه أو ما بَقيَ منه بعدَ الفعْل، مثل:نُشارة وبُرادة ورُشاحة وقُطارة وعُصارة وكُثافة.

15- يُصاغ وزان "مَفْعَلة" قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأُصول للمكان الذي تكثرُ فيه هذه الأعيان سَواءٌ أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد، معَ إجازة التصحيح أو الإعلال في ما وسَطُه حرف علة، فيقال مثلًا: مَلْبنة ومَطْينة ومَقْطنة ومَصْبنة ومَزْرَعة ومَقْصبة ومَفْرسَة.

16- الاشتقاقُ من الجامد أُجيزَ للضرورة في لُغة العلوم، كما في: مُهدْرَج، مُكَرْبَن، مُيَوَّد، مُبَسْتَر- كَصفات للموادِّ المُعالَجة بالهدروجين والكربون واليُود أو بالبَسْترة.

17- "فَعَّلَ" المُضعَّف مَقيسٌ للتكثير والمُبالغة: كسَّرَ، خَضَّرَ، لَمَّعَ.

18- كُل فعل ثلاثي مُتعَدّ دالٌّ على مُعالجة حِسّيّة فمُطاوِعُه القياسيّ "انفعل": انكسَر، انحنى، انفصَل. أما إذا كانت فاءُ الفعلِ واواً أو لاماً أو نُوناً أو ميماً أو راءً، فالقياسُ فيه "افتَعَلَ": امتدَّ، التفَّ، ارتَدّ.

19- قياسُ المُطاوَعة "لِفَعَّلَ" مُضعَّف العين هو "تَفَعَّلَ":تكسَّر، تعدَّل، تصعَّد.

20- قياسُ المُطاوَعَة "لِفاعَلَ" الذي أُريدَ به وَصفُ مَفعوله بأصلِ مَصدره يكونُ "تَفاعَلَ": تباعَدَ، توازَنَ.

21- قياسُ المُطاوعة من "فَعْلَلَ" وما أُلحِقَ به "تفعْلَلَ": تَفَلْطَحَ، تَدَحْرَجَ.

22- صيغةُ "استَفْعَلَ" قياسيّة لإفادة الطَّلَب أو الصَّيرورة: استَمْهَلَ، واستَنْجد؛ استَحْجَر واستَطال.

23- يُنسَب إلى لَفظِ الجَمْعِ عندَ الحاجة، كإرادةِ التمييز أو نحوَ ذلك: صُوَرِيّ، حُرُوِيّ، وَثائقيّ، عُمّالي، جماهيريّ. كما يجوز النسبةُ إلى المُثنى في المُصطلحات العلمية، كما في: إثناني وبُطَيناني وأُذَيناني.

24- إظهارُ الكَون "الوُجود" العامّ، كما في قولك: (هذا حَمْضٌ يُوجَد (أو مَوجودٌ) في غَسَل الشَمع، جائزٌ وصَحيح.

25- يجوزُ جَمعُ المَصدر عندما تختلفُ أنواعُه،كما في: توصيلات، إرسابات، تمديدات، إشعاعات.

26- تَعديةُ الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسيّة: أبدأ، ألانَ، أدارَ.

27- يجوزُ صَوغُ المركّب المَزجي في المصطلحات العلمية عندَ الضرورة، كأن تقول:تحت تُربة(تَحْتُربة)، فَوق بَنفسجيّ، لا شُعوريّ وما ورائيّ- على أن لا يُقبَل منه (في اللغة) إلا ما يُقرُّه المجمع.

28- في ترجمةِ الصَّدْر a أو an الذي يدلُّ على معنى النفي تقرَّرَ وَضعُ لا النافية مركّبة مع الكلمة المطلوبة فيُقالُ مثلاً: لا تَماثُلي، لا نُقطي، لاسِلكي- شَرْطَ أن يوافقَ هذا الاستعمالُ الذوقَ ولا يَنْفِرُ منه السَّمعُ.

29- يجوز دُخول "أل" على حرف النَّفي المُتَّصِل بالاسم واستعمالهُ في لُغة العلم:اللاسلكيّ، اللاهوائيّ، اللاتماثُليّ.

30- تُفضَلُ الكَلِمةُ الواحِدة على كَلِمتين فاكثر عندَ وَضعِ اصطِلاح جديد إذا أمكن ذلك، فتقول: زَوْم بدلاً من غَيْر البُعدَ البؤري، وبَريشَة لا كُسارة صَخرية مُلتحِمة، وترمومتر بدلاً من مِقياس درجة الحرارة.

31- في تَرجمة صِيَغ الكَشفِ والقياس والرَّسْم تُوضَعُ صيغةُ "مِفعال" لما يُرادُ به الكشْف (وينتهي بـ scope-) مثل مِطياف spectroscope ، وصيغة "مِفعَل" لما يُرادُ به القياس (وينتهي بـ meter -) مثل مِطْيَف spertrometer، وصيغة" مِفعَلة" لما يُرادُ به الرسْمُ (وينتهي ب graph -) مثل مِطيفة spectrograph . وإذا حالت صُعوبات دونَ اشتقاق اسم الآلة من المعنى، يُوضَعُ لها اسمُ "مِكشاف" أو "مِقياس" أو "مِرْسَمة" مُضافاً إلى عملِها- فتقولُ في الآلاتِ الواردة أعلاه، على التوالي، "مِكشاف الطيف"، "مقياس الطيف "، و "مِرْسَمة الطيف".كما تقول مِكشاف كهربائي في electroscope ومقياس مِغنَطيسي في magnetometer ومرسَمة الزلازل في seismograph.

32- تقرَّر ترجمةُ الكاسِعة " gen -" بكلمة مُوَلِّد(ة)، فيُقال في antigen مثلاً: مُوَلِّد الضِّد أو مُولِّدة المُضادّ.

33- تقرر أن يُترجَم الصَّدرُ -hyper بكلمة "فَرْط"، والصَّدر - hypo بكلمة "هَبْط".

34- تُترْجَمُ الكلماتُ المُنتهية بـable - "بالفعل المُضارع المبني للمجهول" كما في: يُذاب soluble (ولا يُذاب insoluble) يُباع salable، يُبَلّ أو يَبتل wettable،يُنقَل أو يُحمَل portable، يُطرَق malleable .

ويُترجَمُ الاسم منها بالمَصدرِ الصناعي فيقال: مَذوبيّة، مَنْقُولية، مَطروقية ومَبيعيّة *.

35- تُترجَمُ الكاسِعةُ oid - بكلمة "شِبه"، فيقال: شِبْهُ فلز في metalloid وَشِبْهُ غَرَوي فيcolloid؛ وقد يَصِحُ ترجمةُ هذه الكاسعة في الاصطلاحات العلمية بالنَّسَب مع الألف والنون- فتقولُ فلزاني فيmetalloid وغَرَواني فيcolloid ؛ كذلك تُستعملُ صيغةُ النسبة مع الألف والنون في ترجمة المصطلحات الإفرنجيّة التي تنتهي بـ form أو like - ما لم يَتنافَ ذلك مع الذوق العربي.

(*) استخدمنا صيغة "فَعُول" لترجمة الكلمات المُنتهية بهذه الكاسعة أو أحد شكليها الآخرين ble وَ ible ، فقلنا في الواردة أعلاه على التوالي: ذَؤوب (ولا ذَؤوب) وبَيوع وبَلول ونَقول وطَروق. وتُصاغ منها الأسماء بصيغة "فَعُوليّة" : ذؤوبيّة، بَيوعيّة ... إلخ. انظر ص 19- و20 من هذه المُداخلة.

36 - عند تعريب أسماء العناصرِ الكيماوية التي تنتهي بالمقطع -ium يُعَرَّبُ هذا المَقطعُ بِ "يُوم" (ما لم يكُنْ لاسم العُنصر تعريب أو ترجمة شائعة) كما في: ألومنيوم، بوتاسيُوم، كالسيوم.

37- تُتَّخَذُ الحُروفُ العربية أساساً لترجمة رُموزِ العناصر الكيميائية على أن يُترَكَ للمختصين اختيارُ الحُروف التي تَرمُزُ لِكُلِ عُنصر. (عُدِّلَ هذا القرار لاحقاً- انظر التوصية 5 في الملحق رقم 3).

38- يُجيزُ المَجمعُ أن يُستعملَ بعضُ الألفاظ الأعجميَّة- عند الضرورة- على طريقة العرب في تعريبهم، وبخاصة حين ينصَبُّ المُصطلحُ على اسم عَلَم، أو كان من أصلٍ يونانيٍّ أو لاتينيّ شاعَ استعمالُه دولياً. وفي هذه الحال يَحتفظ المُصطلحُ بصورته الأجنبيةِ مع المُلاءمة بينها وبين الصِّيغ العربية، فنقولُ فلْط وأُوم وجيولوجية وديناميكا وإنزيم ومِيكا ونيُوترون وليْزر... الخ.

39- يُعتبرُ المصطلح المُعَرَّبُ عربياً ويَخضعُ بالتالي لِقواعد العربية، مع جَواز الاشتقاق والنَّحت منه واستخدام أدوات البدء والإلحاق قياساً على اللسان العربيّ. مثالُ ذلك المُصطلح أيون- مُثناه أيونان وجمعُه أيونات،نشتقُّ منه الفعل (أيَّنَ أو تأيَّن) والمَصْدر (تأيِيْن أو تأيُّن) والصِّفة (مُؤيِّن أو مُؤيَّن)؛ ومثله أكسَدَه وبَستَرَه وكَرْبَنَة وسواها.

40- يُفضَّلُ اللفظُ العربيّ على المُعرَّب القديم إلا إذا اشتهر المُعَرَّب. وهكذا قُلنا: الهَندسَة لا جيومَطرِىَ، وعِلم الفلَك لا أسترونُوميا، والأبْهَر (أو الوَتين) لا الأورْطي، والصُّفاق لا بَريطون-بينما احتفظْنا بأمثال كَيْلُوس وقُولون وباذنجان وهَيُولى وغيرها.

41- تُفضَّلُ الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت.

42- يُرَجَّحُ أسهَلُ نُطقٍ في رَسْم الألفاظ المُعَرَّبة عندَ اختلاف نُطقها في اللغات الأجنبية- فنقول فِبْرين لا فَيْبرين وأسبِسْت لا أسبَسْتُوس.

43- يُرسَمُ حرف G في الكلمات المعربة جيماً(قاهريَّة)أو غيناً: أنغستروم أو أنجستروم. ولضَبط لَفظ حرف الجيم (في هذه الحال) يفضَّلُ رَسْمُه بنقاط ثلاث،ويجوزُ كتابتُه بالرمز الفارسي،أي بكاف عَربية لها خطَّان مُتوازيان"گـ".

44- يُكتبُ الحرفُ J كما يَنْطقُ به أهلُ كُل لُغة: "ج » في الإنكليزية والفرنسية ويُلفَظ جيماً مُعطَّشة (قرشية)، و"ي" في الألمانية (كما في ينا Jena)و"خ" في الإسبانية.

45- يُراعى مُسايرةُ النَّهج العلمي العالَمي في اختيار المُصطلحات العلمية ومُراعاةُ التقريب بين المُصطلحات العربية والعالمية لتسهيلِ المُقابلة للمُشتغلين بالعلم وللدَّارسين.

46- عند وَضع مُصطلح عربي لمُقابلة المُصطلح الأجنبي يُسترشَدُ بالأصل اللاتيني أو الإغريقي إنْ وُجد، ويُراعى أن يتفقَ المُصطلحُ العربي مع المَدلول العلمي للمُصطلح الأجنبي دونَ تقيُّد بالدلالة اللفظيَّة، مثالُ ذلك أنْ نقول: غُرفة كاتمة لا غُرفة مَيْتة مُقابل dead room،وجَزْر لا مَد خفيض مُقابل low tide .

47- تُفضَّلُ الألفاظ غير الشائعة لأداء مُصطلحات علمية ذات دلالة دقيقة مُحدَّدة، مثالُ ذلك أن نقول: كَمّ لا كمِّيَّة مُقابل quantum،واستطارة لاتبَعثُر مُقابل scattering وتَجْوِية لا تأثُّر بالعوامل الجوية مُقابلweathering . *

48- عندَ وجودِ ألفاظ مُترادفة أو مُتقاربة في مَدلولها ينبغي تحديدُ الدلالة العلمية الدقيقة لكُل منها، وانتقاءُ اللفظ العلمي الذي يُقابله، مثال ذلك:مُقاوَمة مُقابلresistance ومُعاوَقة مُقابل impedance، ومُمانَعة مُقابلreluctance ، ومُقاصَرة مُقابل inertance .

ويَحسُنُ عندَ انتقاء مُصطلحاتٍ من هذا النوع أن تُجمعَ كُل الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المُتشابهة الدلالة وتُعالَجَ كلُّها كمجموعة واحدة.

49- الكلماتُ العربية التي نُقلت إلى اللغات الأجنبية وحُرِّفَتْ تَعودُ إلى أصلها العربي إذا ما نُقلَت إلى العربية مَرَّةً أخرى، فيُقال في Alhambra "الحمراء" لا "ألْهَمبرا"، وفي Arsenal "دارُ الصناعة" لا "تَرْسانة" **.

50- تُرَجَّح كِتابةُ الكلمات الأجنبية المعرَّبة المنتهية بـlogy - الدالة على العلم بـ "تاء" (مَربوطة)في آخرها.فيُقال: جيُولوجية، بيُولوجية، سوسيولوجية.

51- الكلماتُ التي شاعت بصيغة خاصَّة تَبقَى كما اشتُهرَت نُطقاً وكتابة.

52- قَبِلَ المَجمعُ إدخالَ حَرف "پ" ليُقابلَ الحرف P، كما قبِلَ أن يُكتبَ الحرف V فاءً بثلاث نُقَط (ڤ).

53- وافق المجمعُ على كتابة الرقم "٢"مستقيم الرأس أفقياً(٢)للاشتباه بينه و بين الرقم(٣).

54- يجوز حَذفُ تاء التأنيث من المؤنث المجازي في المُصطلح العلمي إذا أدَّت هذه التاء إلى الالتباس ***

(*)ومن هذا المُنطلَق فَضَّلنا مُصطلح "مِقْلاد" على "مِفتاح" مُقابل switch شائعة لعدَّة مَفاهيمَ أخرى.

(**) تَرسانة تعريبٌ عن التركيَّة، والتُّركيَّة عن الفرنسيَّة D'arsenal. واللفظة في الفرنسيَّة (وسواها من اللغات اللاتينيَّة) مأخوذة عن العربيَّة الأندلسيَّة.

(***) فنقول مثلاً أُذَين مقابل atrium لا أُذَيْنَة، ، ونترك أذينة مقابل auricle.

ملحق 3: توصيات خاصة بمنهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة أقرها مجلس المجمع ومؤتمره في دورتيه الستين (1994) والواحدة والستين (1995)

تعريف: - المصطلح العلمي لفظ يصطلح عليه أهل العلم المتخصصون للتفاهم والتواصل فيما بينهم.

المصطلح العلمي العربي المتخصص هو دعامة اللغة العلمية.

المبادئ الأساسية لوضع المصطلح وتعريفه:

1- الإفادة بما استقر في التراث العربي من مصطلحات علمية عربية أو معربة صالحة للاستعمال الحديث.

2- الوفاء بأغراض التعليم ومطالب التأليف والترجمة والثقافة العلمية العالية باللغة العربية.

3- مسايرة النهج العلمي العالمي في وضع المصطلحات العلمية ومراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية تيسيراً للمقابلة بينها للمشتغلين بالعلم وللدارسين.

4- حفز المشتغلين بالعلم على وضع مصطلحات "ذات أصل عربي" لما يستحدثونه في العلوم.

5- إلحاق المصطلح بتعريف موجز يوضح دلالته العلمية.

التوصيات:

1- الأخذ ما أمكن بوضع مصطلح من أصل عربي لمقابله الإنجليزي أو الفرنسي بالترجمة المباشرة أو بالاشتقاق أو بالنحت أو بالمجاز من لفظ عربي، مع الاسترشاد بالأصل اللاتيني أو الإغريقي إن وجد، ومراعاة أن يتفق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقيد بالدلالة اللفظية فيقال مثلاً: "غرفة كاتمة" وليس "غرفة ميتة" في مقابل dead room، "مكونات فحمية" وليس "مقاييس فحمية" في مقابل coal measures، "نيم الريح" وليست "علامات الريح" في مقابل wind marks "مهبط النهر" وليس "التيار التحتي" في مقابل down stream، "المد" في مقابل high tide، "الجزر" في مقابل low tide، "صخور مغتربة" في مقابل nappes .

"منكشف الصخر" في مقابل outcrop "طبقة متكئة" في مقابل overfold "مهوى الصدع" في مقابل hade of fault

2- إيثار الألفاظ غير الشائعة لأداء مصطلحات علمية ذات دلالة محددة دقيقة مثال ذلك:

"كم" بدلا من "كمية" في مقابل quantum "امتزاز" بدلا من "امتصاص سطحي" في مقابل adsorption، "استطارة" بدلا من "تبعثر، في مقابل scattering، "أيْض" بدلاً من "تحول غذائي" في مقابل metabolism، "مبْدى" بدلا من "عتبة" في مقابل threshold، "بوغ" بدلا من "جرثومة" في مقابل spore، "الصخر السرئي"، بدلا من "بيض السمك" في مقابل oolitic rock،

"التجوية" بدلا من "التأثر بالعوامل الجوية" في مقابل weathering

- على أن تتجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة والثقيلة على النطق أو السمع والتي لا يسهل الاشتقاق منها فيقال مثلا: "الرياضيات" بدلا من "ماثيماتيقا، في مقابل mathematics، "والكحول" بدلا من "الغول" في مقابل alcohol .

3- الأخذ بالتعريب عند الحاجة، وبخاصة عندما ينصب المصطلح الأجنبي على اسم علم، أو كان من أصل يوناني أو لاتيني شاع استعماله دوليا، ويحتفظ بصورة قريبة لصورته الأجنبية مع الملاءمة بينها وبين الصيغ العربية، مثال ذلك:

فيزيقا	physics	جيولوجية	geology
بيولوجيا	biology	فسيولوجية	physiology
ديناميكا	dynamics	إستاتيكا	statics
سيكلوترون	cyclotron	نيوترون	neutron
إنزيم	enzyme	پيْسين	pepsin
مايكا	mica	كاميرا	camera

4- اعتبار المصطلح المعرب لفظاً عربياً وإخضاعه لقواعد اللغة وإجازة الاشتقاق والنحت منه، واستخدام أدوات البدء والإلحاق، على أن يقاس كل ذلك على اللسان العربي. مثال ذلك لفظ "أيون" مقابل «ion». الذي اشتق منه الفعل «أين»، فيقال: "أينت الغاز فتأين"، وينسب إليه، فيقال: "جهد أيوني"، "وكثافة أيونية"، ويثنى ويجمع على "أيونين" و "أيونات" ومصدره تأين وتأيين، ومنه أشعة مؤيِّنة، و"غاز مؤيَّن"، وينحت منه "كاتيون"، أي "أيون كاثودي" و "آنيون" أي "أيون أنودي" و"محلول لا أيوني".

وكذلك لفظ "أكسيد" oxide الذي اشتق منه أكسدة ومؤكسِد ومؤكسَد. ولفظ "بسترة" pasteurization واشتق منه "لبن مُبَستر" «ولبن لا مبستر».

5- استخدام الرموز الكيميائية والوحدات والرموز الفيزيقية والرياضية الحديثة بصورها العالمية لتسهيل المقابلة بين صيغها الأجنبية والعربية للباحثين والدارسين.

6- الأخذ بما درج المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم، أو مقصورة عليهم، معربة كانت أو مترجمة، مثال ذلك: متفسفر phosphorescent تلجنن lignification متفلور fluorescent تسلكت silicification، هدرته hydration، تصخُّر petrification، ترانزستور transistor، ديلزه dialysis، إلا إذا تبين خطأ الاستعمال الشائع، فيستبدل به استعمال صحيح مثال ذلك: "حاسب إلكتروني" بدلاً من "عقل إلكتروني" : computer

7- إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن لتسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع- مثال ذلك "ترمومتر" بدلا من "مقياس درجة الحرارة" فيقال "قراءات ترمومترية" بدلاً من "قراءات مقياس درجة الحرارة"، و "ترمومترات بلاتينية" بدلاً من "مقاييس درجات الحرارة البلاتينية"، هذا بالإضافة إلى ما في هذا التعبير الأخير من اللبس.

وكذلك "زوم" للعدسة ذات البعد البؤري المتغير " zoom "و "بريشة" بدلًا من " كسارة صخرية ملتحمة "breccia "

كما يلزم ضبط المصطلحات دائماً بالشكل حرصاً على دقة نطقها، ولا بأس من استخدام الحرف (ب،ف)، عند الضرورة.

8- توحيد المصطلحات المشتركة (مترجمة كانت أو معربة) ذات المعنى والدلالة الواحدة بين فروع العلم المختلفة، فإن كان المصطلح المشترك أصيلاً في أحد فروع العلم الأساسية، التزمت به الفروع الأخرى مثل "فوتون"و "الكترون"، وهما مصطلحان نشآ أصلاً في الفيزيقا واستخدمتهما بقية العلوم. أما إذا كان المصطلح مشتركاً بين علوم مختـلفة، فينبغي أن يتم عليه اتفاق وإجماع من المتخصصين في هذه العلوم مثال ذلك أسماء العناصر.

9- عند وجود ألفاظ متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها مثال ذلك: مقاومة resistance، معاوقة impedance ؛ ممانعة reluctance ،مقاومة التشوه resilience ، مقاصرة inertance .

ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات الدلالات القريبة وتعالج كلها كمجموعة واحدة.

10- تعريف المصطلح فرض واجب في المعجم لا يستقيم بدونه- وهذا يعني ضرورة التعريف بدلالة المصطلح بلغة علمية مبسطة يخاطَبُ بها العاملون في مجال استخدامه وبأسلوب موجز يتمشى مع العلم الذي ورد به وليس بالضرورة متطابقاً في العلوم المختلفة إلا إذا كان من المصطلحات الأساسية العلمية.

وحين يرد المصطلح في سياق تعريف مصطلح آخر فلا محل لتعريفه بل يرجع إليه في موضعه من المعجم ويجوز الإشارة إلى مصطلح آخر قريب منه للإيضاح. ويحسن استخدام الصور والرسوم والمخططات زيادة في التوضيح أو الشرح.

11- يُكتب اسم العالم الأجنبي بالحروف العربية بالصورة التي ينطق بها في لغته مع الإشارة إلى جنسيته وتخصصه وتاريخ وفاته إن وجد، ويضاف إليه الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية.

عناصر التعريب ... وقضيتنا الحضارية

الأستاذ الدكتور/ محمد توفيق الرخاوي (٠)

لعلي أبدأ فأقدم نفسي فأقرر بأني كنت – في بدء حياتي– من أشد المعارضين للتعريب، كما كنت أحاربه بالحق والباطل وفي إمكاني أن أشير الآن – بعد أن هداني الله إلى الحق –إلى بعض النقاط التي قد تُثري نظرتنا الموضوعية إلى التعريب[تدريس العلوم باللغة العربية] علماً بأن" تعريب التدريس يجب أن يعتبر جزءاً لا ينفصل عن تعريب المجتمع ككل "

أ– التدريس بغير العربية ظاهرة نشأت في ظروف لم تكن البلدان العربية تملك فيها إرادتها بالكامل ... فالوضع الصحيح الذي يقبله "المنطق السوي السليم هو أن تُدَرس العلوم على مختلف تفرعاتها بلغة قومها" . وكان التدريس بغير العربية جزءا من سياسة طويلة المدى تسعى إلى "تغريب"(بالغين) الأمة العربية، كما ترمي إلى تجريدها من أصالتها، واقتلاعها من منابعها، وهدم مقومات ذاتيتها.

ب– "دواعي التعريب"، في عمومها، تعني أن التعريب [التدريس بالعربية] محاولة عودة الأمور إلى وضعها الطبيعي [حيث لا يصح– في النهاية – إلا الصحيح]، كما أنه استرجاع لدور حضاري رائد تسلم العرب زمامه لقرون طوال...

ج– أما "عناصر التعريب " فيمكن إيجازها – في غير ما خلل – إلى أربعة هي:

(1) عنصر "لغوي تربوي" ...(2) عنصر "لغوي أجنبي" ... (3) عنصر "مصطلحي" [وهو ما أسميه العنصر "المشكلة"] ... و(4) عنصر حضاري".

[1] العنصر"اللغوي التربوي" : يتمثل في أن استيعاب المعرفة باللغة الأم هو – بكل تأكيد – أقرب منالا من استيعابها عن طريق أي لغة أجنبية كانت ... فإذا كانت العملية التعليمية التربوية في أساسها هي محاولة توصيل"معلومة ما" من المحاضر (بكسر الضاد) إلى المحاضَر. فالمحاضِر العربي– بطبيعته – "يفكر" بالعربية، ثم "يترجم" ما سوف يحاضره إلى اللغة الإنجليزية، ثم يحاول – جاهداً –أن يتكلم "(وهو في الحقيقة "يَتَلَعْثَم") باللغة الإنجليزية [.. فمعظمنا الآن لا يجيد هذه اللغة لا قراءة، ولا كتابة، ولا نطقاً! ! !]... ثم يَتَلقى المحاضَر إليه، الكلام باللغة الإنجليزية [المُتَلَعْثَمَة]، ويضطر إلى عمل "ترجمة فورية" إلى اللغة العربية.. فاللغة (الأم) وعاء الفكر.. حتى يفهم (وهو في الغالب لا يفهم) المعلومة التي أراد المحاضر توصيلها إليه، وهكذا يضيع جهد جهيد بين التفكير.. فالترجمة الفورية.. فالتَّلَعْثُم (الإنجليزية) .. ثم التَّلقي.. فالترجمة الفورية.. فمحاولة الفهم (وهو في الغالب "لا" فَهْم)..

أما الطامة الكبرى فتتمثل في محاولة التفاهم في الاتجاه المضاد، حين يحاول الطالب أن يستفسر من أستاذه عن شيء [من الكثير الذي غمض عليه و لم

---

(٠) أستاذ التشريح – طب القاهرة.

يفهمه! ! !]. والملاحظ لطرق تدريسنا الآن يُمْكنه أن يلاحظ – دون عناء – أننا [لا] ندرس بالعربية (طبعاً)، كما أننا – في الحقيقة [لا] ندرس بالإنجليزية ، كما هي "الإنجليزية" (أبداً ! !)، ولكننا ندرس خليطاً مستنكراً شاذاً من " الانجليزية [المتَلَعْثِمَة] والعربية [المكسرة]، "واللاتينية" [التي لا نعلم منها الآن حتى ولو الشيء اليسير].

أما كيف تسير العملية التربوية في حالة التدريس باللغة الأم، فإن الأستاذ "يفكر ويتكلم" بالعربية.. والطالب "يسمع ويفهم " بالعربية في يسر وبساطة وسهولة و هو الشيء الطبيعي ولأنه، لا يصح إلا الصحيح، والحق أحق أن يُتَّبَع... و" ما انتفع قوم بعلم لم يزرعوه في لغتهم".

(2) العنصر "اللغوي الأجنبي":هو، في رأيي، عنصر شابه كثير من اللغو واجب الإيضاح، وإلقاء مزيد من الضوء عليه، حيث إن معارضي التعريب يسارعون في اتهام "التعريبيين" [بدون أي حق] بأنهم يحاربون اللغة "اللغات" الأجنبية، مما سيؤدي بنا (وبهم) إلى فقد الاتصال بالعالم من حولنا، وانغلاقنا على أنفسنا.. الخ، وأود أن أؤكد أنني لم أتناقش مع "تعريبي" واحد إلا ووجدت منه حماساً زائداً لأن نتعلم جميعاً (تعريبيين ومعارضين لغة أجنبية واحدة على الأقل (الانجليزية في حالتنا) تعلماً حقيقياً، بحيث يمكن أن نقرأ بها، ونفهم منها، ونتعامل مع الأجانب عن طريقها بلسان إنجليزي مبين، فالتعريبيون – على عمومهم – يعلمون ويقررون ويكادون يُقْسِمُون (غير حانثين) أن التعريب وتعلم لغة أجنبية (تعلماً حقيقياً) يجب أن يسيرا جنبا إلى جنب كَفَرَسَيْ رِهَان، – وأن التعريبيين أشد حماساً – من كثير من غيرهم– لتدريس "اللغة الأجنبية" [كلغة أجنبية] وليس للتدريس " باللغة الأجنبية" لطلاب العربية.. فالموقف مختلف تماماً بين تدريس "لغة أجنبية".. وتدريس العلوم المختلفة "باللغة الأجنبية".

(3) العنصر "المصطلحي": هذا العنصر كذلك شابه "ضباب" كثيف، وتضاربت حوله الآراء... فهناك من يحلو له أن يتهم اللغة العربية بأنها "قاصرة" عن أداء رسالتها التعليمية، لعجزها عن مسايرة الجديد من المصطلحات الحديثة، والتي تستحدث كل يوم [وإن نكن صادقين فكل ساعة]، حتى نفى إلينا الأمر شاعرنا العربي العظيم حافظ إبراهيم حين قال يصف اللغة العربية:

" فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

أما الحقيقة، فهي أن اللغة العربية مثقلة بمترادفاتها، لدرجة تجعل المشكلة تتمثل في كثرة احتمالات استعمال مصطلحات عربية "متماثلة" لمصطلح إنجليزي / لاتيني واحد.. وتكون هذه "الزحمة" المصطلحية مرة أخرى سلاحاً في يد من يحاول عرقلة مسيرة التعريب ...

الغريب في الأمر أن هناك "عِلْمِيّا" ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هي أم اللغات الهندية والأوربية وأصل الكلام (د. تحية عبد العزيز)، فقد أتمت الدكتورة "تحية" مقارنة بين ثلاث لغات قديمة هي: العربية الفصحى، واللاتينية، والسكسونية (وهي اللغة الجرمانية التي بنيت عليها اللغة الإنجليزية الحديثة) حيث إن هذه اللغات الثلاث فيها نسب كبيرة جداً من الكلمات المشتركة، ولا يُقْبل ذلك إلا لو كانت هذه اللغات الثلاث من أصل واحد، وقد أثبتت هذه الدراسة المقارنة أن اللغتين اللاتينية والسكسونية تمثلان شطراً فقط من العربية الفصحى. فاللغة العربية كانت الأصل والمنبع بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها...[فمثلا حوالي 80 % من

أفعال اللغة السكسونية، و75 % من أفعال اللغة اللاتينية تأتي من أصل عربي]. ويؤيد هذا أن عدد الجذور في اللغة العربية يزيد على الستة عشر ألف(16000) جذر، بينما اللغة السكسونية بها ما يزيد قليلاً على ألفي (2000) جذر، في حين لا تحتوي اللغة اللاتينية إلا على ثمانمائة (800) جذر، مع ملاحظة هامة أخرى وهي أن اللغة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد [خذ مثلا اللفظ الإنجليزي " tall " بمعنى "طويل" [وبعد ملاحظة التشابه اللفظي بين الكلمتين] حاول أن تحسب كم من المشتقات والتراكيب العربية يمكن أن تخرج من "طويل" ومثال ذلك (طال – يطول – طائل – طويل – مستطيل ... الخ].

أين نحن إذن من هذا الزحام والغنى اللغوي في العربية إذا قورن بالضيق والفقر النسبي في اللغة الإنجليزية .. الحقيقة أن هذا الزخم اللغوي يترك أثره واضحاً في صعوبة اتخاذ مصطلح واحد، بادئ ذي بدء، يتفق عليه الجميع، وعليه فإني أدلي بدولي في ما يمكن عمله إزاء هذا "الثراء المصطلحي" وأثره في "عرقلة " مسيرة التعريب .. وخصوصاً أن من طبعنا أن "نتفق كثيراً على ألا نتفق !!".

لعل من العملي أن نحاول – الآن وجميعاً – كل في مجاله – الموافقة على اتباع ما أود أن أطلق عليه الخطة "الخمسية الثلاثية ": (1) خمس سنوات ندرس باللغة العربية مع البقاء على استعمال المصطلح "الإنجليزي/ اللاتيني" كما هو ... (2) ثم خمس سنوات تالية نستعمل فيها ما يمكن أن أطلق عليه المصطلح العربي "الحر"...(3) ثم نجلس معا – كل في اختصاصه – بعد خمس سنوات أخرى لنتفق على مصطلح "واحد" يقبله ويرتضيه الجميع. أي أنه لا ضرورة للتشبث "بالإجماع" الآن، ولكن هناك ضرورة ماسة وملحة إلى الدعوة "الاجتماع" فيما بعد، ربما مرة كل خمس سنوات. وكما أن "اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية" فإن "اختلاف المصطلح يجب ألا يعرقل للتعريب مسيرة ". علما بأن الاختلاف – في هذه المرحلة – هو في حقيقته علامة صحة.. فلابد – في هذه المرحلة – أن نقبل فيما بيننا أن "رأيي (مصطلحي) صواب يحتمل الخطأ ، بينما رأيك (مصطلحك) خطأ يحتمل الصواب" والأفضل أن يكون شعارنا:[اختياري (مصطلحي واختيارك (مصطلحك) صوابان يحتملان "الأفضل].

....

والسبع .. والهزبر..والضَّيْغَم.. والضِّرْغام ... والقسورة... والرئبال.. والورد [كل اسم منها يعكس صفة "مختلفة" في الأسد لها ظلها ورنينها وإيقاعها].

(4) العنصر "الحضاري": مما لا شك فيه، أن الكثير منا يتحرك اليوم من موقف "المتخاذل " التابع تبعية مَرَضيَّة للغرب.. فهناك لدى الكثير منا – ولنكن صرحاء مع أنفسنا – رغبة دفينة [بوعينا الكامل أو بدونه] "تَستَدْعي الاستعمار". مما قد أسماه الفيلسوف والمفكر الجزائري مالك بن بني "القابلية للاستعمار ".. تنشأ هذه "القابلية للاستعمار" من ثقافة بائسة يملؤها إحساس تعيس بالدُّونية إذا تعلق الأمر بشُخُوصِنا وإمكانياتنا، كما يشيع فيها إحساس غريب بالاستعلاء إذا تعلق الأمر بالغرب، وكل ما هو غربي.. هذا الإحساس الذي يمكن أن نترجمه إلى ما معناه " نحن لا نصلح لشيء، بينما الغرب يصلح لكل شيء". أدى هذا الإحساس المَرَضي إلى تصور أن أي مشكلة إذا استعصى حلها علينا كعرب، فحلها موجود وجاهز عند الغرب. وأصاب ذلك [ضمن ما أصاب) نظرة الكثير منا إلى اللغة العربية على أنها لغة (أصولية) لا تنفع لهذا العصر. وانظر كيف أصابتنا حُمَّى "كُو" فأصبحت لدينا شركات مثل "عصامكو" (شركة عصام)

و"نادركو"(شركة نادر) و"صادقكو" (شركة صادق غبور)و"أرانبكو" (شركة للأرانب) و "إسلامكو" (شركة للسياحة الإسلامية") و "تنظيفكو" "شركة للتنظيف"... إلى آخر هذا السَّيْل من الـ "كُو"... إلى غير ذلك من شركات مثل "مُودرْن هَاوس"(البيت الحديث)و "هَابي هُوم" (البيت السعيد) و "كارْبت سِيتي"(مدينة السجاد) و"دْرَايْ كلين" (التنظيف الجاف)... الخ، مما أدى إلى التدهور المستمر في مستوى أداء اللغة لمهمتها الأساسية كَوسيلة التخاطب، وكونها الوعاء الفكري والثقافي لحضارتنا..

وبينما أكتب هذه الكلمات عن العنصر "الحضاري" أقرأ في "مواقف" الأستاذ أنيس منصور بصحيفة الأهرام " ... وتندهش كيف أننا لا نعرف لغتنا.. كيف أننا نستهين بها إلى هذه الدرجة ! ... كأن اللغة العربية هي اللغة الثالثة أو الرابعة... وتندهش أكثر عندما تعرف أنه لا توجد عند كثير من الشباب لا لغة أولى ولا ثانية. أو أنك تجد من يحسن النطق بالإنجليزية أو الفرنسية ويتباهى بأنه "مش ولا بد في اللغة العربية"... دون خجل ودون أن يصفعه أحد على خده الأيمن والأيسر و... ! ثم يتساءل الأستاذ أنيس منصور .. " أين الخطأ ؟ ومتى بدأ ؟ وكيف استمر ؟ .. وكيف يمكن إصلاحه ؟

وأعود فأكرر ما بدأت به هذا المقال من أن "تعريب التدريس يجب أن يعتبر جزءاً لا ينفصل عن تعريب المجتمع ككل". وأجعله فصل الختام.

المصطلح الطبي لعلم التشريح

د.سوسن عبد الرحمن (*)

المحور الثاني : المصطلحات والترجمة

مقدمة:

يتم تدريس علم التشريح في جمهورية مصر العربية حتى الآن باللغة الإنجليزية، وأثناء شرح المادة بهذه اللغة، كان من المعتاد، لتسهيل وتثبيت الحفظ، أن يذكر أصل المصطلح اللاتيني أو الإغريقي حتى يتيسر للطالب أن يفهم كيف يختلف اسم عضو من الأعضاء عن وصف ملحقاته، فمثلا إذا ذكرت المعدة سميت stomach وإذا ذكرت أعصابها وأوعيتها الدموية ونسبت إليها سميت Gastric nerves and vessels ويفسر هذا بأن الأصل اللاتيني للكلمة Stomach تسمى Gastrula وكذلك الطحال (Spleen) والكلى (Kidneys) ولكن الاتصال بينهما يسمى Lieno renal ligament لأن الطحال في الأصل اللاتيني Lien والكلية Rene وكذلك الكبد Liver وشريانه المغذي Hepatic artery لأن أصله اللاتيني Hepar، ومن الأصول الإغريقية جاءت كلمات أخرى مثل Kephale رأس و Enkephalos ما بداخل الرأس أي الدماغ (Brain) وكلمة an معناها Without أي بدون فتصبح كلمة An enkephalos: Without brain وكذلك Hydor=Water وتكون زيادة السائل في المخ Hydor kephale وهي Hydrocephalus وكلمة myelos هيmedulla ومنها جاءت spinal medulla: الحبل الشوكي، وفي الأطراف كلمة extremity = melos,part= meros وعليه فإن meromelia غياب جزء من الطرف و Amelia غياب الطرف كله. وكلمة Cryptos: غير ظاهر كما في Cryptorchidism أو الخصية داخل البطن.

وهناك العديد من هذه الأصول التي سهلت لنا الدراسة بغير اللسان الأم، فإذا انتقلنا لما حدث عند ازدهار العلوم عند العرب، نجد أن الأرقام العربية أخذت بشكلها 1234 والصفر العربي الأجوف اشتُقت منه كلمة Sphere ، وكلمة أضف أصبحت Add وطرح كذا من كذا صارت من هي Moins، والضرب في أصبحتFoix. وأما في الطب فقد استخدمت كلمة Signs & Symptoms كما هي ولو دققنا فيها فإن Symptom هي سمت الشيء أي مظهره و Sign هي سومة أو العلامة أي علامات ومظاهر المرض، وبادري صارت Prodromal، وضلالة هي Delusion، وبؤبؤ هي Pupil (حدقة العين) وزنار هي Zone و منطقة ونخز هي Necrosis، وOdd هي إد وتقنية هي Technology وهي كلمة عربية نسبت لاسم شخص يمني كان يجيد عمله وكان اسمه تقني. وهناك أيضاً العديد من الكلمات لكن ما أقصده من هذه المقدمة أن إرجاع المصطلح للأصل العربي للكلمة حتى نصل إلى ترجمة مطابقة للأصل وللمحيط المستعمل فيه تؤدي أحياناً إلى استخدام كلمات عربية قديمة جداً، وعفواً، قد تكون ثقيلة على الأذن وغير متداولة على الإطلاق، وخصوصاً في هذا الزمان ، ولأن المصدر الذي تنهل منه الترجمات يكاد يكون واحداً بالنسبة للعلماء والباحثين فإننا نجد هذه المصطلحات في جميع المعاجم ، ولنضرب مثلاً لبعضها مثل

(*)أستاذة التشريح بكلية الطب – جامعة عين شمس – جمهورية مصر العربية

كلمة عفج "الاثني عشر" قيل عنها في لسان العرب لابن منظور (ولد 630 وتوفي 711 هـ) أن العفج هو المعي ما سفل منه وهنا يصبح المسمى خاطئاً، وقيل معناها ما يصير إليه الطعام بعد المعدة وهنا يصبح المعنى صحيحاً، ولكن للكلمة معاني أخرى مثل عفج جاريته أي نكحها وعفج غلاماً أي فعل به مثل قوم لوط فلم الإصرار على مصطلح ثقيل ويحتمل معاني كثيرة.

والبنكرياس قيل عنهُ معثكلة والعُثكول هو الشمراخ وما عليه من البذر في النخل بمنزلة العنقود من الكرم (العنب) وهذا ليس وصفاً صحيحاً للبنكرياس الآدمي. قد يجوز هذا الوصف بالنسبة للجرذ ولكن ليس للإنسان وعند إرجاع الكلمة للأصل الإغريقي نجد أن هذا الوصف أدق Pancreas:whole flesh فلم لا تستخدم الكلمة كما هي.

أما الظنبوب فهو حرف الساق اليابس من قُدم، وقيل ظاهر الساق وقيل هو عظمة، وأعتقد أن الشريان أو العصب الظنبوبي الأمامي يمكن أن يسمى القصبي الأمامي وكلمة القصبة أخف وأسهل من كلمة الظنبوب.

والقُذال هو جُماع مؤخر الرأس والقذال هو مادون القُمَحْدوة إلى قُصاص الشعر، والقَمَحْدوة هي قمة الناشزة القذالية الظاهرة القمحودة = Inion الناشزة القذالية الظاهرة Externaloccipital protuberance وكما نرى جميعاً الكلمات شديدة الصعوبة حتى في نطقها.

ويمكن أن تكون القمحودة هي قمة البروز الظاهر في العظم المؤخري للجمجمة، أما الفهقة فهي العنقية الأولى أو الحاملة التي سميت Atlas نسبة لاله الإغريق أطلس الذي يحمل الدنيا على كَفَيْه، والتكنيف هو انحشار رأس الجنين في الحوض والعصبون هي الخلية العصبية وحمجي Infectous واحتشار Infestation إلى آخر هذه الكلمات التي تتوارثها ويجب على المعاصرين من علماء التشريح أن يتخففوا منها كما فعل الأمريكيون في اللغة الإنجليزية فأصبحوا يكتبونها كما تنطق فمثلاً Fetus حذفت منها حرف o وكلمة center بدلاً من centere و Labor بدلا من Labour فلم لا تكتب المصطلحات الجديدة كما هي، ولا نجد غضاضة في أن نقول ميتوكوندريا بدلاً من متقدرات ويكتب المصطلح بلغته، إنجليزية كانت أو فرنسية وينطق للطالب نطقاً سليما ليتيسر عليه فيما بعد متابعة البحث العلمي على المستوى العالمي سواء في وطنه أو خارجه ونسهل عليه استخدام شبكة ألـ Internet بكل إمكاناتها وكلنا يعلم أنه ليس بها لغة عربية في المراجع حتى الآن.

ومع تقدم علوم الحياة على مستوى الجزيئات Molecular Biology سنجد آلافاً من الكلمات ليس لها مقابل في لغتنا وسنضطر لكتابتها حرفيا كما هي وبلغتها الأجنبية، وقد بدأنا نكتب كلمة Ribonucleic acid حمض ريـــبي نووي، ولكن ما أود أن ألفت النظر إليه هو أنها تختصر في المعاجم إلى "رنا" وهي RNA وهذا غير سليم لأن رنا بحروفها المتصلة لها معنى آخر تماماً والفعل رنا / يرنو.

وإذا كانت هناك كلمات لا نعرف أصولها في اللغة العربية مثل كلمة "الدُشبذ" وهي Callus فتترجم كما ترجمها أ.د. الرخاوي إلى مادة التئام العظام في الكسور فلا ضرر أن تقوم عدة كلمات بسيطة مقام كلمة واحدة شديدة الصعوبة.

ثانياً : هناك بعض الترجمات جانبها التوفيق أو الدقة مثل كلمة الثنية في العمود الفقري وأعتقد أن التحدب والتقعر أصح من الثنيات.

والجهاز السمبثاوي يسمى التعاطفي والودي والمستقل والقحفي. ولو ناقشنا كلمة الودي فهو يدخل في أعمال غير ودية على الإطلاق مثل الفكاك والعراك ولو ناقشنا كلمة المستقل فهو ليس مستقلا وإنما تحت السيطرة الكاملة من الجهاز العصبي المركزي Cerebral cortex&hypothalamus وبعض الشرايين مثل الشريان الفرجي Internal pudendal لا يغذي الفرج فقط وعليه فالترجمة قاصرة. والشريان المشيمي في المخ Choroidal؟؟

والشلل البصلي وكلمة bulbar قد استعبدت والوهن العصبي يطلق على كل من Neurathenia و Neurataxia والأولى صحيحة والأخيرة معناها رنح وكلمة الحرث(Tilth) تطلق على الانغراس Implantation والانغراس أصح، والحرث نتيجة له وأخيراً تأتي مشكلة التشكيل في اللغة العربية وهي أحياناً تؤدي لاختلاف النطق واختلاف المعنى مثل الطية القمعية الحوضية Infundibulopelvic Ligament والقُمعية بضم القاف غير القمعية بفتحها والقُمع غير القَمع.

وختاماً أرجو من علماء التشريح المعاصرين أن لا يتم تنسيق التعريب في هذا العلم جملة ولكن بشيء من التخصيص. فمثلاً تناقش مصطلحات الأطراف ثم يليها تنسيق مصطلحات كل جزء في جسم الإنسان على حدة وتصدر توصيات باستبعاد المسميات والمصطلحات القديمة ونستخدم من المصطلحات فقط ما يتسم بالبساطة في النطق والفهم والتي نتفق على أنه من الممكن أن يتداولها العرب جميعهم ولهذا يراعى أن يكون التنسيق بين ممثلين من أكبر عدد من الدول العربية على أن يتم التحديث في المعاجم مع بداية قرن جديد ليواكب التعريب التقدم العلمى المذهل والسريع.

إسهام في التسمية التشريحية العربية

د. يوسف مخلوف (*)

تقديم

تجسد التسمية التشريحية Nomina Anatomica الحالية تطوراً عبر القرون أسهمت فيه حضارات مختلفة ومنها بالطبع الحضارة العربية الإسلامية. وكان كل بلد يستخدم مصطلحات خاصة به بحيث أن عنصراً تشريحياً واحداً أصبح يعرف بأسماء متعددة ومختلفة، مما شكل مصدر التباس.

وقد كان المشرِّحون الألمان أول من بادر إلى وضع تسمية ذات سمة عالمية ومكونة من كلمات لاتينية. اعتمدت التسمية المعروفةبـ B.N.A (Basler Nomina Anatomica) في البلدان الناطقة بالألمانية وسرعان ما امتدت إلى بلدان أخرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

شُكلت لجنة دولية للتسمية التشريحية في مؤتمر المشرحين الدولي الخامس الذي انعقد في اكسفورد عام 1950. وقد وضعت هذه اللجنة أسس التسمية التشريحية الدولية المستندة إلى تسمية B.N.A والتي تقضي بأن يسند إلى كل عنصر تشريحي مصطلحٌ واحد باللغة اللاتينية.وقد تُرك لكل بلد الخيارُ في ترجمة المصطلحات اللاتينية تبعاً لحاجات التعليم.

وقد قُدِّمت أول طبعة من التسمية التشريحية Nomina Anatomica في مؤتمر المشرحين الدولي السادس الذي انعقد في باريس عام 1955.

وقد رغب كاتب المقالة في تقديم إسهامه في التسمية التشريحية العربية استناداً إلى تعلمه باللغة العربية في كامل مراحل الدراسة منذ المدرسة الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة والحصول على الإجازة في الطب من جامعة دمشق – وكان التخصص في التشريح في جامعة مونبلييه في فرنسا – ومن ثم تدريس التشريح باللغة العربية في كلية الطب بجامعة دمشق مدة أحد عشر عاماً.

ملاحظات حول التسمية التشريحية الدولية:

ليست التسمية التشريحية الدولية تسمية جامدة مطلقة، فهي تخضع للمراجعة المستمرة ويوجد تطور واضح ما بين طبعتها الأولى عام 1955 وطبعتها السادسة عام 1989، وتقوم بالمراجعة لجان فرعية منبثقة عن مؤتمرات التشريح الدولية وقد تتضمن المراجعة نوعاً من "التسوية"، ويمكن الإشارة إلى أمثلة لمصطلحات غير مقنعة في الطبعة السادسة:

1- نجد مصطلح Commissura grisea أي **الصوار (الملتقى) السنجابي**، وهذا المصطلح يخالف تعريف "الصوار" الذي يتضمن وجود ألياف عابرة لا مادة سنجابية.

2- نجد المصطلحين Rostralis **رأسي**، و Caudalis **ذيلي** اللذين يشيران إلى علوي وسفلي على التوالي.

فهذان المصطلحان إن كانا يصحان عند الجنين أو الثدييات غير الإنسان لعدم وجود مفهوم الوضعية التشريحية المستند إليها في وصف عناصر الجسم البشري فهما عند الإنسان لا معنى لاستخدامهما في الوضعية

(*)أستاذ جامعي من جامعة دمشق – سوريا

التشريحية المتفق عليها، والأبسط أن يستخدم المصطلحان علوي وسفلي بدلاً من المصطلحين رأسي وذيلي.

ملاحظات حول التسمية التشريحية العربية:

تفتقر المصطلحات التشريحية العربية إلى التنسيق الكافي ما بين المشرِّحين في البلدان العربية وتعاني من عدم إيلاء التخصص في التشريح الاهتمام اللازم. وهنالك قدر من الصعوبات ناجم عن استخدام المصطلحات القديمة (بخاصة الفرنسية منها) وعدم تدقيق المعنى الأصلي لبعض المصطلحات اللاتينية. يضاف إلى ما سبق صعوبة اقتراض المصطلحات الأعجمية ومسألة استخدام المترادفات. نتطرق إلى هذه الملاحظات في النقاط التالية:

1- الحاجة إلى قدر أكبر من التنسيق بين العاملين في التشريح في الأقطار العربية المختلفة:

توجد كتب تشريح مترجمة في أغلب البلدان العربية حتى في تلك التي لا يتم التدريس الجامعي فيها باللغة العربية، وقد تمت هذه التراجم على مدى عقود من الزمن، ويلاحظ أن كل قطر له إسهامه وخصوصيته، بل حتى إنه يوجد أحياناً تباين ما بين جامعات القطر الواحد، حيث تستخدم مصطلحات مختلفة للعنصر التشريحي الواحد. وهكذا يتضح أن العاملين في هذا المضمار غير مطلعين أحياناً على تجارب الآخرين أو أنهم غير معنيين أحياناً بتقدير أعمال الآخرين، أو أن بعضهم يندفع بادئاً من "نقطة الصفر" غير آخذ بالحسبان الأشواط والمراحل التي بلغتها جهود الآخرين،حتى إن بعض كتب التشريح ، المعروفة مثل كتاب Clinical Anatomy لمؤلفه Snell وكتاب Cunningham'S Manuel of practical Anatomy لمؤلفه Romanes ومصور Sobotta قد ترجم كل منها ترجمات مستقلة مختلفة في بلدان عربية مختلفة.

2- ضرورة إيلاء علم التشريح الاهتمام اللازم:

هنالك قسم من صعوبات الترجمة ناجمٌ عن عدم إيلاء علم التشريح، كاختصاص،الاهتمام اللازم نظراً لعدم وجود حافز مادي مجزٍ مقابل الجهود الكبيرة التي يتطلبها العمل في هذا الاختصاص. فإضافة إلى العملية التدريسية أملت ندرةُ العينات التشريحية على المشرحين القيام بتشريح النواحي بأنفسهم بقصد الحفاظ على العينات ما أمكن، ويضاف إلى ذلك التعرض إلى روائح مخرشة ومناظر أقل ما يقال عنها إنها غير مريحة. وأما على صعيد البحوث ضمن نطاق التشريح، فهي تتطلب وسائل مكلفة غالباً ما لا تكون متوفرة، وهذا ما جعل بحوث التشريح ترتبط ارتباطاً مباشراً بالاختصاصات الطبية والجراحية الأخرى، وأدى ذلك بدوره إلى استخدام التخصص بالتشريح جسر عبور إلى اختصاص سريري آخر أو إلى عضوية الهيئة التدريسية. وهكذا تراجعت الحوافز التي تدعو إلى التخصص في التشريح، ودفعت هذه الحالة بعض الأطباء غير الاختصاصيين في التشريح إلى القيام بترجمة كتب في هذا الاختصاص مما زاد الطين بلة.

3-الالتباس الناجم عن استخدام المصطلحات الفرنسية القديمة:

هنالك قدر من اللبس في المسميات التشريحية العربية عائد إلى الاستناد في ترجمتها إلى التسمية الفرنسية القديمة، ونقدم مثالين على ذلك لا يزالان شائعين في الكتب المدرسية، وهما مصطلح"البصلة السيسائية"ومصطلح "الحليمات الكأسية".المثال الأول هو مصطلح البصلة السيسائية المأخوذ من المصطلح الفرنسي Bulbe rachidienne ؛ فالبصلة تقع في جوف القحف وليس لها علاقة بالسيساء Rachis أي"بالعمود الفقري "، ولا معنى لوصفها بالسيسائية، وقد تجسدت تسميتها التشريحية

أخيراً في المصطلح Medulla oblongata أي النخاع المتطاول، ولم يبق لمصطلح "البصلة السيسائية "سوى الدلالة التاريخية. المثال الثاني هو مصطلح الحليمات الكأسية المأخوذ من المصطلح الفرنسي Papilles Calciformes ، فهو مصطلح قديم أسندت إليه التسمية التشريحية الدولية اسم الحليمات المحوطة Papillae vallatae. وقد تنبه الفرنسيون منذ مدة طويلة إلى ضرورة استخدام التسمية التشريحية الدولية وعزز ذلك الاتجاهُ نحو توحيد أوروبا، بل إن هنالك ميلاً لدى الفرنسيين يهدف في النهاية إلى استخدام المسميات التشريحية باللغة اللاتينية على الرغم من مقاومة الجيل القديم لذلك؛ ومثل هذا الاستخدام أمر تستوعبه طبيعياً الفرنسية، بينما لا تتقبله اللغة العربية مما يحتم ترجمة التسمية التشريحية الدولية إلى اللغة العربية.

4- الالتباس الناجم عن تدقيق المعنى الأصلي للمصطلح اللاتيني:

نأخذ مثالاً على ذلك مصطلح "العضلة الحووية" Musculus splenuis (والتي لها قسمان رأسي وعنقي). فالمصطلح حووي يقابله المصطلح اللاتيني splenuis الذي يعود أصله إلى المصطلح الإغريقي Splénion الذي يعني عصابة مشدودة والذي يعود بدوره إلى مصطلح إغريقي أقدم هو **Splên** الذي يعني أيضاً نوعاً من العصابة. ولكن هذا المصطلح الإغريقي Splên يعني أيضاً الطحال (مع العلم أن للطحال تسمية تشريحية مرادفة هي Lien) مما دفع إلى ترجمة مصطلح splenuis إلى طحالي . ويبدو جلياً أن لا علاقة للعضلة بالطحال، والأصح هو استخدام ترجمة صحيحة لمصطلح Musculus splenuis والتي هي العضلة الحووية أو **العضلة العصابية** بدلاً من العضلة الطحالية، ويمكن تفضيل مصطلح "عُصابة " على مصطلح "حوية " لأن النسبة منه أبسط وبالتالي يفضل استخدام مصطلح**العضلة العصابية**.

5- مسألة الاقتراض:

اقترضت اللغات الأوربية بعض المصطلحات العلمية من اللغة العربية حين كانت اللغة العربية لغة العلم، ونذكر مثالين على ذلك في المسميات التشريحية هما المصطلحان Saphena و Nucha المشتقان من المصطلحين العربيين صافن وَنقرة على التوالي. وعند ترجمة التسمية التشريحية الدولية إلى اللغة العربية قد لا نجد مقابلاً مقنعاً في اللغة العربية لبعض المصطلحات التشريحية،وحينها يمكن اقتراض المصطلح اللاتيني واستخدامه في اللغة العربية بانتظار العثور على مصطلح عربي مُرْضٍ؛ ومثال ذلك مصطلح Ischiadicum الذي عُرِّب باسم الإسْك .. وهذا الاقتراض ليس عيباً في اللغة بل يمكن عده أحد جوانب غناها.

6- مسألة المترادفات:

يمكن للعنصر الواحد أن يكون له في اللغة الأجنبية أكثر من اسم، ومثال ذلك **الرحم** إذ تستخدم له ثلاثة مصطلحات المصطلح **الأول هو Hystera المشتق** من اللغة الإغريقية والذي تشتق منه عدة مصطلحات منها مثلاً Hysterectomie **أي استئصال الرحم**،والمصطلح الثاني هو Uterusالذي هو الكلمة اللاتينية المعتمدة في التسمية التشريحية. أما المصطلح الثالث **فهو Metra** ومنه اشتق مصطلحEndometrium **أي** بطانة الرحم. مثال آخر هو الخصية التي يستخدم لها مصطلحان: الأول هو Testis المعتمد في التسمية التشريحية ومنها يشتق مثلاً Testectomieأي استئصال الخصية، والثاني هو Orchis الكلمة الإغريقية التي تشتق منها عدة مصطلحات منها مثلاً Orchitis أي التهاب الخصية.

وهكذا فإن استخدام أكثر من اسم للعنصر الواحد في حالات محصورة لا يشكل ضرراً ولا يضر بمبدأ اعتماد اسم واحد للعنصر الواحد، ولعل في مسألة المترادفات هذه عاملاً يسهم في تسهيل التقارب بين الترجمات المختلفة في الأقطار العربية على أمل أن يقود التحاور والتنافس بين هذه الترجمات إلى تثبيت المصطلح الأفضل بين عدة مصطلحات معنية بعنصر واحد.

خاتمة:

بُذلت جهود كبيرة لوضع تسمية تشريحية عربية عبر عقود من الزمن. وقد اتخذ ذلك أحياناً طابع أعمال قطرية أو فردية في بلدان عربية مختلفة بحيث صار العنصر التشريحي الواحد يسمى أحياناً بأسماء متعددة مختلفة. ونظراً لزيادة وسائل الاتصال، كان لا بد من الاتجاه نحو اعتماد مشترك للمصطلحات الأدق والأنسب. ورغم التقدم الحاصل فإنه لا تزال هنالك إمكانات للتحسين تستند فيما تستند إلى النقاط التالية:

- الاستفادة من الأعمال السابقة ومتابعة المسيرة وتجنب العودة إلى الانطلاق من "نقطة الصفر".
- ترجمة عدد أكبر من كتب التشريح من آداب عالمية مختلفة: إنكليزية وفرنسية وألمانية إلخ..
- استناد الترجمة إلى التخصص في التشريح من جانب والتسمية التشريحية الدولية مع حد أدنى من الاهتمام باللغة اللاتينية من جانب آخر.
- التنسيق بين العاملين في التشريح في البلدان العربية المختلفة.
- البعد عن التوجه نحو قرارات "توحيد" مُلزِمة تجنباً لإيحاء القسر الذي يولد منعكس الرفض.
- إيلاء علم التشريح الاهتمام اللازم وتشجيع العاملين في مضمار هذا الاختصاص.
- العدول كلياً عن استخدام المصطلحات القديمة وعدم قبول الأخطاء الشائعة.

المصـــادر

1-Bossy . J – la Grande Avanture du Terme Médical. Sauramps Médical 1999.

2-Bossy .J & coll – Anatomie clinique (neuro-anatomie), springer 1990.

3-Gradner. E, Gray. D.J, O'rahilly. R, Anatomie . Doin(Paris)1979.

4-Kahle. W, Leonhardt. h , Platzer.W. Anatomie. Flammarion (Paris) 1986.

5-Kamina. P. Dictionnaire Atlas d'Anatomie. Maloine S.A.

6-Laboratories Sandoz – Atlas Anatomique Sandoz 1973.

7- Nomina Anatomica –Churchil livingstone 1989.

8- Romanes G.J – Cunningham's Manuel of Practical Anatomy. ELBS (Oxford) 1984.

9-Rouviere. H- Precis d'Anatomie et de Dissection Masson (Paris) 1976.

10-Winkler.G-Manuel d'Anatomie Topographique et Fonctionnelle. Mansson & cie Editeurs (Paris) 1974.

11- محمد هيثم الخياط وآخرون- المعجم الطبي الموحد. مدليفانت (سويسرا) 1983.

12- يوسف مخلوف- التشريح العام وتشريح الأطراف- منشورات جامعة دمشق- 1995.

13- يوسف مخلوف- التشريح الناحي والعملي- الهيكل والأطراف- منشورات جامعة دمشق 1995.